كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء
بالإسكندرية

اقرأ وافهم
روايات إيمانية

البحار المغامر



تدور الأحداث حول عصر البابا بطرس خاتم الشهداء

كنيسة القديسيْن
مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء
بالإسكندرية
ت: ٥٥٠٨٣٩٥ / ٠٣
٥٤٨٧٧٢٨ / ٠٣

اقرأ وافهم

روايات إيمانية

البحار المغامر

(تدور الأحداث حول عصر البابا بطرس خاتم الشهداء)

المؤلف /
صاحب موسوعة [illegible]

اسم الكتاب : **البحار المغامر**

الناشر : كنيسة القديسين - الإسكندرية

المؤلف : صاحب موسوعة " اقرأ وافهم"

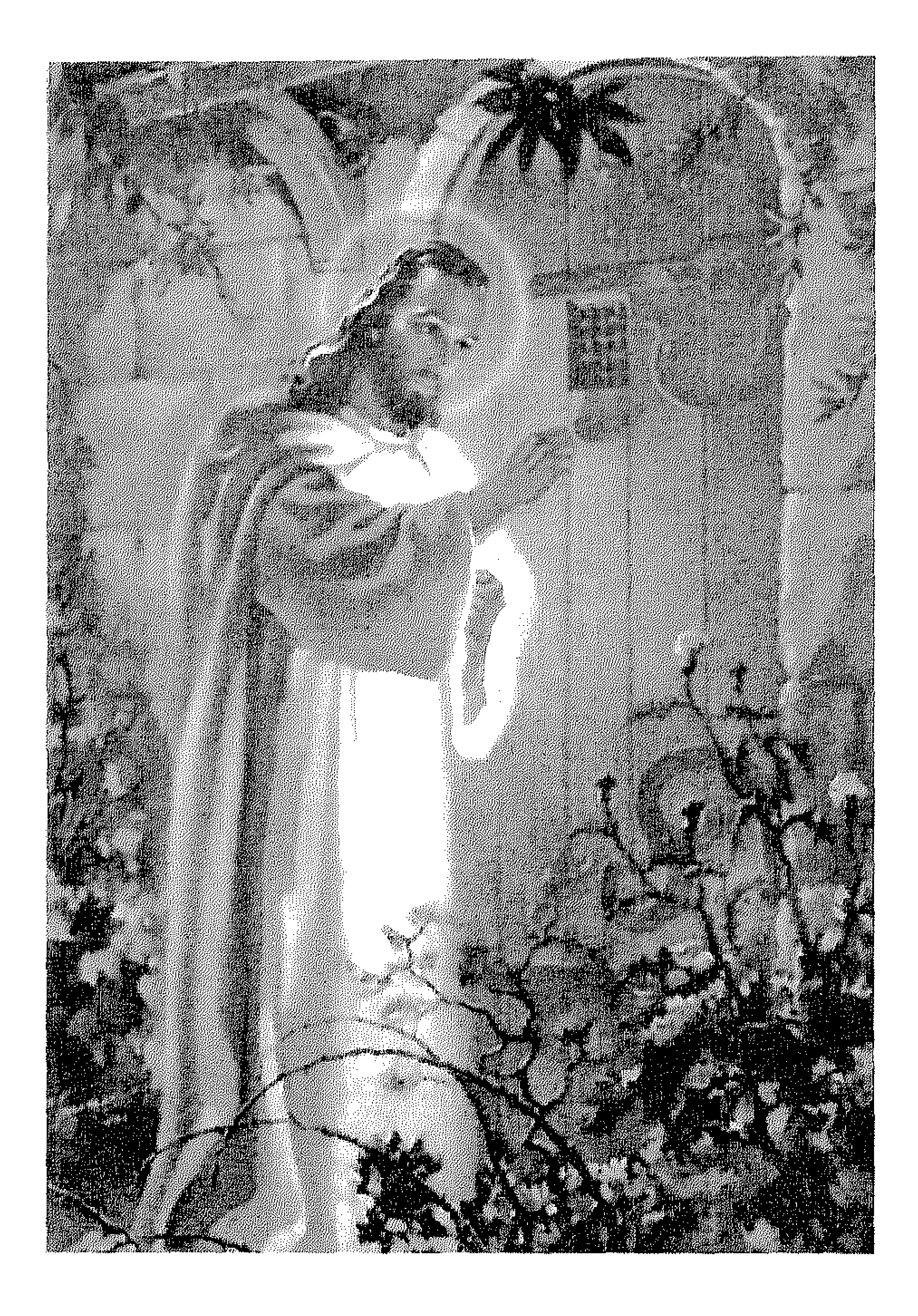
الطبعة : الأولى - ٢٠١١

فصل ألوان وطباعة:

مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط.

موبايل: ٠١٢٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٠٣٤٥٩٦٤٥٢

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٥٤٩٦



" هأنذا واقفٌ على البابِ وأقرَعُ . إن سَمِعَ أحدٌ صوتي وفتح البابَ، أدخلُ إليهِ وأتعشَّى مَعَهُ وهو معي " . (رؤيا ٣ : ٢٠)



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

تصدير

مُنذ نشرت روايتي الأولى "**غروب**" عام ١٩٩٧، تحت سلسلة "**روايات إيمانية**"، أدرجت ضمن هذه السلسلة عدة روايات صدرت تباعاً باستثناء روايتيْن هما "**البحار المغامر**"، و "**جبال طرسوس**" وذلك لأنني دخلت في دوامة سلاسل أخرى استغرقت كل وقتي، وكم أشكر الله إذ أعطاني بركة سبع سلاسل تندرج تحت موسوعة "**اقرأ وافهم**" .. وظللتُ أشعر بالدين تجاه قرّاءي الأعزاء، الذين طالما طالبوني بسداد ديني، بإصدار هاتين الروايتين.

وإذ أكتنز فرصة مرور سبعة عشر قرناً على استشهاد بابانا الحبيب الأنبا بطرس خاتم الشهداء، يسرّني أن أُقدِّم روايتي "**البحار المغامر**" والتي تدور أحداثها حول العصر الذي عاشه البابا بطرس، والمدينة التي أمضى فيها حياته، وإن كانت هذه الرواية قد استنفدت منّي جهداً ووقتاً وتركيزاً وفكراً، وقرأت من أجل إصدارها عشرات الكتب وآلاف الصفحات، فإنني أُهدي

روايتي هذه لبابانا الحبيب "**الأنبا بطرس خاتم الشهداء**" مُلتمساً صلواته عن ضعفي وعن كنيسته وشعبه.

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد. آمين.

صاحب موسوعة "اقرأ وافهم"



الفصل الأول : الغطاس الماهر

في صباح يوم ١٩ يونيو (١٢ باؤنى) سنة ٢٨٨م خرج "**ديمتري**" ذو الستة عشر ربيعاً من منزله قاصداً شاطئ البحر، مُصطحباً معه توأمه "**صفنيا**"، فهما ابنان لـ "**منسّى**" الرَّجُل اليهودي المُتشدِّد الذي يعمل بالتجارة والمال، فيُقرض أمواله للغير بالربا الفاحش، حتى يكاد رأس ماله يتضاعف من عام إلى عام، وأمهما "**سوسنا**" المرأة الفاضلة التي تعبد يهوه بإخلاص مع بناتها "**راحيل**"، و "**دينة**"، و"**ميراب**"، وتسكن أسرة "**منسّى**" الحي اليهودي بالإسكندرية، ووجودهم مُتجذِّر فيها، فمنذ نحو ألف عام أقبل عدد كبير من يهود فلسطين إلى مصر مُصطحبين معهم إرميا النبي، وتزايد عددهم حتى قال "**فيلون**" (٣٠ ق.م ـ ٥٠م) أن عددهم وصل في الإسكندرية إلى مليون شخص، وإن كان هذا العدد مُبالغ فيه كثيراً لكنه يُظهر كثرة عددهم في المدينة التي يقلّ تعداد سكانها عن مليون شخص. وبعد تدمير أورشليم وإحراق هيكلها سنة ٧٠م على يد الوالي الروماني "**تيطس**" جاء عدد كبير منهم إلى مصر والإسكندرية، وبالرغم من أن يهود الإسكندرية ظلّوا على ولائهم لروما، إلاَّ أن الرومان

خشوا منهم لئلاً يجعلوا معبدهم الفاخر "**أونياس**" (ليونتوبوليس) بديلاً لهيكل أورشليم، ولذلك خرّبوا هذا المَعبد وسلبوا محتوياته وكنوزه، ولأن يهود أورشليم أحرقوا في ثورتهم معبد "**جوبيتر كاميتو لنيوس**" كبير آلهة الرومان، لذلك فرضت روما عليهم أن يدفعوا ضريبة الدرهميْن - التي كانوا يدفعونها لهيكل أورشليم - لتعمير معبد جوبيتر الذي أحرقوه، بل ضاعفوها أربعة أضعاف فصارت ثمانية دراهم، وبدلاً أن كان يدفعها البالغون فقط من سن العشرين إلى الستين فُرِضت على كل يهودي من سن ثلاث سنوات فما فوق، بل فُرِضت أيضاً على العبيد الذين هم في حوزة اليهود، ولم يكن الهدف من هذا تعمير معبد جوبتر بقدر ما كان تأديباً لليهود، ولذلك ظلّت هذه الضريبة تُحصّل حتى القرن الثاني الميلادي.

و"**الحي اليهودي**" بالإسكندرية من أكبر أحياء المدينة، يحدّه من الشرق أسوار المدينة، ومن الغرب "البروخيوم" (الحي الملكي) ومن الشمال البحر المفتوح، ومن الجنوب أهم شوارع الإسكندرية الطولية قاطبة، وهو "**الشارع الكانوبي**" (شارع أبو قير) وللحساسية المُفرطة لليهود، وبسبب الاضطرابات العنصرية، أقاموا أسواراً خاصة تحيط

بحيّهم ليحتموا خلفها، فطالما حدثت تصادمات دامية بينهم وبين الإغريق وتدخّلت القوات الرومانية لفض الاشتباكات وقمع الاضطرابات، فيقوم كل من اليهود والإغريق بإرسال الوفود إلى روما لتقديم شكواهم للإمبراطور، وبينما كانت مقابر الإسكندرية تقع خارج أسوار المدينة غرباً وشرقاً، فإن اليهود احتفظوا بمقابرهم داخل أسوار المدينة في الجهة الشرقية الشمالية.

و"**يهود الإسكندرية**" لهم حياتهم الخاصة ومعابدهم و"**مجلس الشيوخ**" الخاص بهم، ذاك الحق الذي حرم منه الرومان السكندريين تخوّفاً من ثوراتهم المُتكرِّرة ونزعتهم المُتجدِّدة نحو الاستقلال، وحافظ اليهود على كيانهم ونقاء جنسهم، فالتزاوج محصور بينهم، ويرفضون الزواج المُختلط، وإن كان بعضهم قد تخلّى عن تقاليدهم القديمة وشابهوا الاغريق (اليونانيين) في ملابسهم، ودخلوا في تعاملات تجارية ومالية مع جميع طبقات المجتمع، وتعلّموا اللغات اليونانية والمصرية، ولكن الاغريق لم يستريحوا لهم، حتى كتب أحدهم لصديقه "*مثل أي شخص آخر عليك أن تحترس من اليهود*" (١) ومع هذا فإن بعض اليهود ظلّوا مُتمسكين بمبادئهم حتى أنك تجد جماعة "المتأملين في الإلهيات" في

جانب من جوانب الحي، وقد تخلّوا عن الزواج وسلكوا في طريق الفقر الاختياري، وشغلوا أوقاتهم بالصلوات والتسابيح بالمزامير.

وصل "**ديمتري**" وتوأمه "**صفنيا**" إلى شط البحر، وسريعاً ما خلع كل منهما ملابسه، وألقى بنفسه في أحضان المياه الدافئة، فإن المياه تكتسب الحرارة ببطء وتفقدها ببطء، فالحرارة التي تكتسبها طوال اليوم من شمس الصيف اللافحة تظل محتفظة برصيد منها للصباح، و"**ديمتري**" يهوى السباحة التي تعلّمها منذ طفولته، بينما يتهيّب "**صفنيا**" أمواج البحر العالية لأنه تعرّض لحادث غرق منذ ست سنوات، وقد أنقذه توأمه "**ديمتري**" الذي يجيد السباحة والغطس والإنقاذ، فصفنيا يسبح في الماء طالما قدماه تلمسان الأرض. أمّا في هذا اليوم فوجد في قلبه شجاعة لم يعهدها من قبل، فالأمواج أخذت تعلو وتتلاطم ووقف هو يتصدّى لها فترفعه فتطوح وهو سعيد بهذا ومطمئناً، فمادام "**ديمتري**" بجواره، فما الداعي للخوف والقلق والتهيب؟ وبينما يُصارع صفنيا الأمواج تارة يحاول أن يقفز فوقها، وتارة يغطس تحتها، وتارة يتصدّى له فتقلبه، انشغل "**ديمتري**" بهوايته المُفضلة، وهى الغطس تحت الماء، وشيئاً فشيئاً اشتدت

الرياح أكثر وارتفعت الأمواج أعلى ووقف صفنيا صامداً في مواجهتها كلّما أسقطته موجة يسرع ويقف قبل أن تلحقه الأخرى، وفجأة صرخ "**صفنيا**" مُستغيثاً بأخيه السباح الماهر، فإن الأمواج المرتدة قد سحبته للداخل، وكلّما وقف لا يجد تحته أرضاً تحمله .. تتابع الأمواج وسرعتها لا يُعطهِ فرصة لالتقاط الأنفاس، وضاعت صرخاته أدراج الرياح لأن "**ديمتري**" الذي يغوص في الماء لا يسمعه، ويبدو أنه فقد الإحساس بتوأمه .. "**صفنيا**" يضرب الماء بذراعيه ويركله بقدميه محاولاً الاقتراب من الشاطئ دون جدوى، فالأمواج تقوى عليه وتصرعه، وبينما يحاول التقاط الأنفاس انسلت المياه إلى حنجرته، وسريعاً ما أُنهكت قواه وبدأ يغوص ويطفو في لجج البحر، مثله مثل المئات الذين لفظوا أنفاسهم في تلك المنطقة الخطرة من البحر المفتوح. كل هذا حدث في أقل من دقيقتيْن، هى مدة غطسة من غطسات "**ديمتري**" الذي خرج ليلتقط أنفاسه ويواصل غطساته، غير أنه لم يلمح أخيه لا في المياه ولا على الشاطئ، وإذ لاحت منه نظرة للداخل هُيئ له أنه أخيه هناك، فاندفع في لمح البصر وإذ بيديه تقبضان على "**صفنيا**" الذي بدأ بلا حراك، فجذبه إلى الشاطئ وقَلَبَهُ رافعاً إياه لأعلى، فأفرغ كم من الماء كان قد

ابتلعه، ثم نفخ في فمه قبلة الحياة، وأخذ يعيد المحاولات مراراً وتكراراً مُستصرخاً السماء فشعر بأن الحياة تعود إليه رويداً رويداً، وهو لا يدري إن كان "**صفنيا**" قد فارق الحياة ثم عاد إليها، أم أنه وصل إلى درجة الموت والرب أنقذه.

وعاد "**ديمتري**" وتوأمه إلى البيت، وقد أقسم "**صفنيا**" بِاسم رب الجنود أنه لن ينزل ثانية إلى ماء البحر، بل أنه لم يطق أن ينظر للبحر، فأخذ يلح على أبيه "**منسى**" أن يسمح له بالسفر إلى أورشليم ليتاجر هناك ويربح، وإذ فشلت الأسرة في تغيير رأي "**صفنيا**" انتهز والده حضور بعض التجار الذين يعرفهم جيداً من أورشليم ويثق فيهم، وأوصاهم بابنه، فسافر معهم "**صفنيا**" إلى مدينة أورشليم بعد أن زوّده والده بالمال اللازم ليبدأ حياته في أرض الأجداد. أمّا "**ديمتري**" فقد عشق الإسكندرية وبحرها وشوارعها وشعبها وفنارها ومكتبتها ومعابدها واحتفالاتها، وكل ما فيها .. ففي يوم ١٢ باؤنى يوم الاحتفال بوفاء النيل، تحتشد الجماهير وتتزاحم لتستمع للتراتيل والمدايح، وتبصر مواكب الصور والتماثيل المُقدّسة، وتشتم رائحة البخور، وتأخذ نصيبها من تقدِمات النبيذ والعسل والكعك والمأكولات الأخرى، وتضج المدينة العظمى بالحيوية والنشاط.

فالإسكندرية هى المدينة المنفتحة على الداخل والخارج، الطرق البحرية تربطها بكافة مواني البحر الأبيض، والطرق النهرية تربطها بمصر الوسطى والعليا، والقناة التي تربط بين نهر النيل وبين "**هيرونيوس**" (خليج السويس) والتي أعاد الإمبراطور "**تراجان**" (٩٨ ـ ١١٧م) فتحها، تربطها ببلاد الشرق حتى الهند والصين، كما أن هناك طريقاً بريّاً على ساحل البحر يتّجه من الإسكندرية إلى "**باراثيوم**" (مرسى مطروح) و "**كاتاباغيوس**" (السلوم) ويصل إلى "**قرنبائية**" (طرابلس) وينتهي بقرطاجنة (تونس) وقد زُوِّد هذا الطريق الطويل جداً بمحطات للراحة وحانات لنزول القوافل، وأبار جوفية للتزوّد بالمياه، وتُحصّل الدولة الضريبة من هذه القوافل مقابل توفير هذه الخدمات لها، وأيضاً لحمايتها من عصابات اللصوص.

وهكذا تجد في الإسكندرية أجناس وأجناس، فهى دائماً محط الأنظار، فالاغريق يمثلون جزءاً كبيراً من عدد السكان ويسكن مُعظمهم في الحي الملكي، والرومان يقيمون بالمدينة وبأيديهم السُّلطة، والمصريون يزدحمون في حي راكوتي، وحتى بعد رحيل الفُرس عن المدينة ظلّ بعضهم مُفضلاً البقاء في هذه المدينة الرائعة. كما أقبل التجار من كافة

بقاع الأرض، من أثينا، ومقدونيا، وأسيا الصغرى، وسوريا، وفينيقيا، وبلاد العرب والحبشة والهند والصين. وأيضاً مناخ الإسكندرية المعتدل يجتذب السياح بقصد الاستشفاء، أو بقصد الاطلاع على الحضارة الفرعونية الساحرة .. يشاهدون الأهرامات بأمجادها الغابرة، و"**أرسينوي**" (الفيوم) حيث عبادة التمساح، وقصر التيه، حتى صارت السياحة تمثِّل جانب هام من الدخل القومي.

ناهيك عن القادمين من مختلف البقاع المصرية، فبعضهم جاء ليعمل لأن فرص العمل بالمدينة أفضل، وبعضهم جاء للسياحة ومشاهدة معالم الإسكندرية بفنارها ومكتبتها وأكاديميتها ومعابدها، وبعضهم من الفلاحين الذين جاءوا هرباً بعد أن أثقلت الضرائب كواهلهم، فتركوا أراضيهم وأهاليهم وتاهوا وسط زحام هذه المدينة، حتى أنه في سنة ٢١٥م أصدر الإمبراطور "**كاراكالا**" (٢١١ - ٢١٧م) مرسوماً بترحيل هؤلاء الفلاحين خارج المدينة، **فجاء بالمرسوم**: *"كافة المصريين المُقيمين بالإسكندرية ولا سيّما المزارعين منهم من فرّوا من أماكن أخرى، ويمكن العثور عليهم بسهولة، لابد أن يُطردوا بكل وسيلة ممكنة، باستثناء تجار الخنازير، ومن يعملون في النهر (على السُّفن النهرية) ومن يُحضرون*

البوص لتدفئة الحمامات. واطردوا الباقين الذي يثيرون الصخب والضجيج في المدينة بأعدادهم الكبيرة بلا أي منفعة. وإني أعلم أن في احتفالات "سرابيس" وبعض أيام الاحتفالات الأخرى، أو حتى في أيام أخرى فإن المصريين قد اعتادوا أن يُحضروا معهم ثيراناً وغيرها من حيوانات الاضحيات، وهؤلاء لا ينبغي تقييدهم. إن من يجب طردهم هم أولئك الذين هربوا من موطنهم الأصلي لتجنُّب التزاماتهم الزراعية، وليس أولئك الذين يتجمّعون هنا لمشاهدة مشاهد ***الإسكندرية أمجد مدينة***، *أو أولئك الذين يسعون للتمتع بمباهج حياة المدينة، أو من يأتون لأعمال ومهام طارئة ومؤقتة . وفيما يتعلق بنساجي الكتان فإن المصريين الحقيقيين يمكن التعرف عليهم بسهولة من خلال لهجتهم أو ملامحهم وبنيانهم الذي يفصح عن اختلافهم عن الآخرين. هذا بالإضافة إلى طريقتهم في المعيشة التي تظهر أن المزارعين غرباء عن حياة المدينة"* [٢].. لقد أراد الأباطرة الرومان الحفاظ على شخصية الإسكندرية اليونانية، فتمتع اليونانيون بالامتيازات، ثم اليهود، أمّا المصريون فكانوا يعاملون في بلادهم كالعبيد.

والإسكندرية هى مقرّ الأسطول البحري، ففيها يعيش الآلاف من ضباط وجنود البحرية، سواء من الرومان أو من المصريين الذين يطمعون في نهاية خدمتهم التي تستمر ٢٦ عاماً في الحصول على الرعوية الرومانية، وأيضاً على المكافأة المالية المُجزية، كما يوجد بالإسكندرية فرقة رومانية من المُشاة لحماية المدينة يفوق عددها الستة آلاف.

والإسكندرية هى مدينة النشاط الصناعي، فتوافر المواد الخام مثل الكتان والصوف والجلود والبردي والكروم والرمال التي يُصنع منها الزجاج، والطمي الذي يُصنع منه الأدوات الفخارية، وأيضاً توافر الأيدي العاملة القادمة من الريف والرخيصة، وأيضاً سهولة تصريف المنتجات، كل هذا ساعد على قيام صناعات مُميّزة في الإسكندرية مثل "**صناعة الزجاج**" والعاملون فيها يبرعون في اختيار نوعية الرمال التي يحصلون منها على الزجاج النقي، ويعتبرون تلوين الزجاج سرّاً من أسرار الحرفة، فيصدّرون هذه الزجاجيات المختلفة الأحجام والأشكال بألوانها البديعة، سواء فارغة، أو معبأة بالعطور والزيوت ونبيذ مريوط المشهور.

و"**صناعة الورق**" من نبات البردي الذي ينمو على جوانب بحيرة مريوط أو في أماكن مختلفة بمصر، فساق

النبات عبارة عن لباب ليفي ذي عصارة لزجة، يُقطَّع طولياً إلـى شـرائح، توضـع مُتجاورة ويوضـع فوقها طبقة أخرى متقاطعة معها، وتضغط الطبقتان فتلتصقان بواسطة العصارة اللّزجة، ثم تُطرق بمطرقة خشب لتسوية الألياف الخشنة، فتحصل على ورقة صالحة للاستخدام، وتُلصق أطراف هذه الأوراق بمعجون خاص فتكون لطفات طويلة، يقص منها التاجر حسب الطلب، وأصحاب المستنقعات التي ينمو فيها نبات البردي يحدّون أحياناً من إنتاجهم للحفاظ على مستوى الأسعار في السوق، ويستخدم ورق البردي في المكتبات العامة والخاصة، وتستورد روما كميات ضخمة من هذه الأوراق بأنواعها المختلفة من جهة الجودة والسعر، بل أن كثرة الكمية التي تستوردها روما دفعتها لتشغيل الجنود في أوقات السلم بمصانع الورق.

كما اشتهرت الإسكندرية بـ "**صناعة النسيج**" ولا سيما الكتان المصري الذي يُستخرَج من نبات القنب حتى أن الإمبراطور "**جالينوس**" قال: "*هل نعيش بدون كتان مصر*" فالجيش الروماني يستهلك كم هائل من المنسوجات في صناعة الملابس، واشتهرت الإسكندرية بنسيج Polymita ويحفظ عمال النسيج طريقة تلوينهم وصباغتهم للملابس

كسرّ من أسرار الحرفة، ومن أجل أهمية هذه الصناعة يُعفى العاملون فيها من الخدمات الإلزامية التي تفرضها الدولة (حيث يُكلّف البعض بالقيام ببعض الأعمال بدون مقابل). كما أن الإسكندرية تستورد الحرير والقطن من الهند وتنسجه وتصدّره للخارج، وإن كان هناك مناطق في مصر فاقت الإسكندرية في صناعة النسيج مثل أخميم ونقادة.

وجدير بالذكر أن بعض أساتذة الموسيون قد هجروا الإسكندرية وذهبوا ليقيموا في مدينة "**أخميم**" التي تتميّز بمعبدها الضخم الذي تقف على بوابته تماثيل الفراعين الذي يصل طولها إلى ٣٠ متراً، ونحو نصف سكانها من المسيحيين.

وأيضاً تستورد الإسكندرية الزيوت العطرية وتقوم بتصنيعها وتصديرها للخارج، ولأن صناعة العطور تحتاج لرأس مال ضخم لذلك يخضع عمال هذه الحرفة لرقابة صارمة في معاملهم. وأيضاً عَرفت الإسكندرية **صناعة العقاقير الطبية** بما ورثته من خبرة الفراعنة في الطب والكيمياء، وتحصل على الأعشاب الطبية من مناطق مصر وأثيوبيا وبلاد العرب والهند، وعُرِفت الإسكندرية بمدرستها الطبية العريقة، وتمتع الأطباء المصريون بسمعة طيبة في

كافة أرجاء العالم، وكتاب "**المواد الطبية**" لصاحبه "**ديوسكوريدس**" يشهد بمدى تفوّق الطب المصري.

والإسكندرية هى مدينة الرواج التجاري، وصفها "**يوليوس قيصر**" بأنها المدينة "*الشاسعة المساحة الواسعة الثراء*" [٣] وطوال تجوالك في المدينة تسمع لغات عديدة ولهجات شتى، فقد اجتمع فيها المصريون واليونانيون والرومان والسريان والفرس والعرب والأثيوبيون والهنود. وتجار الإسكندرية الأغنياء لا يكتفون بالتجارة داخل المدينة، ولا يكتفون بالاستيراد والتصدير، إنما يذهبون في رحلات بحرية تجارية سواء إلى أثينا ويوتولي (إيطاليا) وماسيليا (مارسيليا) وغيرهم بالبحر المتوسط، أو إلى "ميليتس" بالبحر الأسود، أو إلى "رودس" و "ديلوس" بجزر بحر إيجة، أو إلى جزر قبرص وكريت ومالطة بالبحر المتوسط، أو يبحرون عبر النيل ومنه للبحر الأحمر فيصلون إلى أثيوبيا والهند والصين، فيستوردون العاج والتوابل والبخور والذهب والفضة واللؤلؤ والحرير والقطن والصبغة .. الخ والتجار السكندريون في إبحارهم يتشفعون بإله البحر "**بوسيدون**" ليحفظهم مع سفنهم من الغرق. وبسبب اكتشاف الرياح الموسمية في المحيط الهندي زادت سرعة السفن،

فأصبح من الممكن قطع الرحلة من مصر إلى الهند والعودة في نفس العام، فالرياح الموسمية تدفع التجار إلى شواطئ الهند الغربية، حيث ينهون أعمالهم وينتظرون حتى تهب الرياح في الاتجاه العكسي فتدفع سفنهم نحو مواني مصرنا الحبيبة، فاحتكر تجار الإسكندرية تجارة الهند، وصار لهم نحو ١٢٠ سفينة ضخمة، ونظرت الهند للإسكندرية على أنها رمز للعالم الغربي، واستفادت الدولة الرومانية من الضريبة المزدوجة التي تفرضها على هذه البضائع تارة لدى استيرادها وتارة أخرى لدى إعادة تصديرها لدول البحر المتوسط، وبسبب انتشار القرصنة في البحر الأحمر لذلك كان لهذه الرحلات مخاطرها وتكلفتها، ممّا رفع سعر هذه البضائع من أماكن المنبع لتتضاعف عشرات المرّات عندما تصل للمستهلك الغربي، حتى قال "**بلينيوس**": "*هكذا ندفع غالياً من أجل كمالياتنا ونساءنا .. مقابل بضائع تُباع لنا بأثمان تبلغ مائة ضعف ثمنها الأصلي*" [٤] وهكذا صار التجار الأثرياء في الإسكندرية ينافسون أغنياء روما، وبعضهم تمكّن من الحصول على مناصب عُليا في القصر الإمبراطوري بروما.

وتعتبر الواردات التي تدخل للإسكندرية عن طريق ميناء مريوط أضعاف الواردات التي تصل إليها عن طريق الميناء البحري، وصادرات الإسكندرية من الميناء البحري تفوق وارداتها من نفس الميناء، وعلى كلٍ فإن صادرات الإسكندرية تفوق الواردات، ويكفيك أن تسير قليلاً في حي الميدان (حي الميناء) لترى مدى الازدحام، وتُدرك حجم التعامل التجاري الداخلي والخارجي، فالمخازن المُتسعة والتي تضج بالحركة تشهد على عظم النشاط التجاري لهذه المدينة، فإن كانت الإسكندرية تشغل مركز المدينة الثانية بعد روما من الجهة السياسية، فإنها تشغل المركز الأول بلا منازع في النشاط الاقتصادي والحضاري والعلمي. وداخل المدينة تنتشر محلات الجزارة والحلاقة والعطارة والنجارة والأحذية والحانوتية وتحنيط الجثث، والأفران وغيرها، وفي الأحياء الراقية تجد محلات المجوهرات والتحف والتماثيل .. الخ.

والإسكندرية هى مدينة الديانات المختلفة، فالجالية اليهودية الضخمة تتمتع بكافة حقوقها في ممارسة العبادة وبناء المعابد الفاخرة، والإغريق يفتخرون بمعابدهم الضخمة، والرومان لهم السلطة واليد الطولى في المدينة فيشيدون ما

يشاءون من المعابد، ويؤلّهون أباطرتهم ويعتبرون أن شخصياتهم مقدَّسة، ويضعون تماثيلهم في معابد الآلهة، ويقدِّمون لهم العبادة، وهناك كاهن خاص يهتم بهذا في الإسكندرية، ومن أهم آلهة الرومان "**أبوللون**" (الإله العظيم والروح الطيبة) و"**جوبيتر**" كبير الآلهة. وليس هناك قيداً على المصريين في عبادة آلهتهم القديمة، والطائفة الوحيدة التي لا تستطيع ممارسة عبادتها جهراً هم المسيحيين الذين طحنتهم الاضطهادات المُفرطة من أباطرة الروم، وإن كانوا في هذه الأيام ينعمون بشيء من السلام، فمنذ تولّي "**دقلديانوس**" الحكم سنة ٢٨٤م وهو لم يسئ إليهم للآن، ممّا جعل "**البابا ثاؤنا**" أن يفكّر جديّاً في إنشاء كنيسة ضخمة بالحي المصري.

والذي يتمشّى في شوارع الإسكندرية يلحظ العبادات المصرية ولا سيما لإيزيس، وأوزيريس، وحورس، وآمون، والعجل أبيس، والبقرة حتحور، ورع كبير الآلهة. أمَّا عبادة النيل فشيء أساسي في كل الأراضي المصرية، ويوم ١٢ باؤنى هو يوم عيده، فتكثر الضحايا والتقدِمات التي تقدّم له والتي تصل في عددها إلى ستة عشر نوعاً، وبالأمس القريب وزَّع الكهنة المصريون النص الآتي:

"سيتم الاحتفال ببدء فيضان نيلنا المُقدَّس بإقامة الشعائر المُقدَّسة لجلب الخير والبركة. لقد وصل الماء، فتحية للينابيع عندما ترتفع في نهر إيزيس ذي المياه الجارية.

فلتسيطر على ينابيعك يا نيل الفيضانات العديدة .. لتصل إلينا سخياً مُتدفقاً. ولتنشر الغرين المُخصِب في فيضانك..

فهل لك أن تمنح عذوبتك لمصر كلها، مُخصِباً إياها كل عام، مثل هذا الفضل..

انظروا كيف أن الفيضان كالذهب لكل شيء ولكل فرد، أمّا أنتم أيها المُنشدون فردِّدوا الأناشيد ثلاث مرات في احتفالكم بتدفُّق المياه في مجاريه..

ارتفع أيها النيل وواصل الارتفاع بنشوة حتى تصل إلى ستة عشر ذراعاً " [٥].

وهذه العظمة التي توسمها المصريون في آلهتهم احتقرها الشاعر "**جوفينال**" قائلاً: *"من ذا الذي لا يعلم أن مخلوقات غريبة تقدّسها مصر المجنونة ؟ فهذه المنطقة تعبد التمساح، وتلك يمتلئ قلبها رهبة من أبي منجل ملتهم الثعابين ..*

هناك يعبدون القطط، وهنا السمك. وهناك مدينة بأكملها تعبد الكلب" (٦).

ويحرص الكهنة المصريون على أن تكون رؤوسهم حليقة، ومن يتجرّأ منهم ويترك شعره يتعرّض لغرامة ضخمة تصل إلى ١٠٠ دراخمة، ويرتدون الملابس الكتانية، ويحرصون على الختان، وقد امتزجت عبادتهم بالسحر والأحجبة والتمائم، فيكثرون من التعويذات التي تجلب الحب، حتى أنهم يضعون بعضها مع مومياء الميت اعتقاداً منهم بأن قوة السحر تجبر روح الميت على القيام بالمهمة المطلوبة، وجاء في إحدى التعويذات "*أن تدعو الإله العظيم الجبار بأن يجعل فلانة الفلانية تقع في حُبك من أول نظرة وبخضوع تام وأن لا تستطيع المقاومة، وبعد ذلك عندما تراها تأخذ ثلاثة أنفاس عميقة بينما تنظر إليها بإمعان، وفي هذه اللحظة سوف تبتسم لك، وهي علامة على أنها وقعت في حُبك*" (٧).

وبسبب تغلُّل سُلطة رجال الدين لدى الشعب المصري، لذلك حد الرومان من سُلطتهم، إذ استحدثوا وظيفة "**أديوس لوجوس**" أي "كبير كهنة مصر والإسكندرية" وهي وظيفة إدارية، والذي يشغلها يشرف على المعابد المصرية

وحساباتها، ويصير حلقة الوصل بين الكهنة والدولة، وسار الرومان على نفس المنهج الإغريقي الذي بدأه الإسكندر الأكبر، وهو محاولة التوفيق بين الأديان، والبعد عن الصراع الديني، فظهرت حركة التوفيق بين آلهة المصريين وآلهة اليونانيين والتي عُرِفت بِاسم "Syncretism" فاعتبر الإسكندر ومن بعده ملوك البطالمة أن "**أمون**" الإله المصري هو "**زيوس**" الإله اليوناني، كما عبد اليونان والرومان "**الإلهة إيزيس**" مانحة الحياة السخية، وانتشرت عبادة إيزيس في روما ودعوها بأسماء عديدة، فهي أفروديت، وهيرا، وسيليني، وعذرية التوالد، والمرحة، والشجاعة، والمُنقذة، وفائقة القدرة، والمُعظَّمة، والملكة المُقدَّسة، والربّة الفاتنة، وقائدة ربات الفنون، وواهبة القوانين، وأقام الإمبراطور "**دوميتيان**" معابد لإيزيس، وسرابيس في روما، بل انتشرت عبادة "**الربّة إيزيس**" في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، حتى أنها وصلت إلى الهند وفارس عن طريق تجار الإسكندرية.

ومن المعابد الهامة في الإسكندرية معبد "**السيرابيوم**" المُخصَّص للإله "**سيرابيس**" الذي وضع بطليموس الأول سوتر أساسه على ربوة عالية بحي راكوتي المصري، وأكمله

ابنه بطليموس الثاني فيلادلفوس الذي أمر بترجمة التوراة من العبرية لليونانية، فخرج تحفة معمارية غاية في الروعة، يزدان بالأعمدة الرخامية والتماثيل الناطقة، كما أُلحق به مكتبة علمية حوت نحو أربعمائة ألف كتاب، وفتحت أبوابها للدارسين.

وأيضاً نجد في الحي الملكي من المعابد الفخمة معبد "**قيصريوم**" الذي أقامته كليوباترا تكريماً لزوجها "**ماركوس أنطونيوس**" وتسمّى على اسم ابنها "**قيصريون**" الذي أنجبته من يوليوس قيصر زوجها السابق، وأُقيم أمام هذا المعبد مسلّتان أحضرتهما كليوباترا من معبد الشمس بهليوبوليس (وقد قُطعتا من مجراهما بأسوان قُرب الشلال الأول للنيل، ونُقِشت عليهما أعمال أحد الفراعنة باللغة الهيروغليفية) وأحاطتهما بالأعمدة الرخامية البيضاء، والحقيقة أن البطالمة حاولوا أن يصبغوا الإسكندرية بالصبغة الفرعونية، ولذلك تجد المسلاّت والتماثيل الفرعونية مُنتشرة في الميادين والشوارع والمعابد كنوع من الوحدة الوطنية في هذه المدينة الإغريقية.

والإسكندرية مدينة إغريقية ضمن أربعة مدن إغريقية أُقيمت في مصر وهى:

١ . **نقراطيس:** في دلتا النيل أُنشئت في أواخر القرن السابع قبل الميلاد بيد أحد الفراعنة اعترافاً منه بالخدمات التي قدَّمها له الإغريق، فهى أقدم مدينة إغريقية في مصر.

٢. **الإسكندرية:** أسّسها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٠ ق.م، وهى أعظم وأهم المدن الإغريقية في مصر.

٣ ـ **بطلمية** (مركز المنشاة بسوهاج): أنشأها بطليموس الأول في القرن الثالث قبل الميلاد.

٤ . **أنتينوبوليس:** أسّسها الإمبراطور الروماني "**هدريان**" سنة ١٣٠م على موقع مدينة مصرية قديمة في مصر الوسطى، ليُخلّد ذكرى صديقه "**أنطنيوس**"، ذاك الشاب الوسيم الذي قام برحلة نيلية وغرق في تلك المنطقة.

وتتميّز المُدن الإغريقية بتقسيمها المُنظّم، وتسجيل سكانها طبقاً للأحياء التي يقطنونها، ولكل مدينة مجلس شورى، وإن كانت إسكندرية قد حُرِمت من هذا الحق مئات السنين تخوّفاً من استقلالها عن روما، فإنه في سنة ٢٠٠م قرّر الإمبراطور "**سبتميوس سيفيروس**" (١٩٣ ـ ٢١١م) منح كل عواصم الإقليم المصري تكوين مجالس، فكوّنت

الإسكندرية مجلس الشورى الخاص بها، وسكان هذه المُدن يتمتّعون بمزايا يحسدهم عليها الآخرون، فيُسمح لهم دون بقيّة سكان مصر بشراء أراضي الدولة، والأراضي التابعة لهذه المُدن تتمتّع بالإعفاء الضريبي، ولا يخضع سكان المُدن الإغريقية لضريبة الرأس التي تُفرض على كل مصري بلغ عمره الرابعة عشرة عاماً، وأيضاً يُعفون من الخدمات الإلزامية التي تُفرض على المصريين بلا مُقابل، ويمكن لسكان هذه المدن الالتحاق بالجيش الروماني، ولأن أسماء سكان الإسكندرية مُسجَّلة في سجلات الدولة، لذلك ليس كل من يقيم في الإسكندرية يتمتّع بالمزايا السابقة.

والإسكندرية هى مدينة العلم والثقافة فالمدارس بمستوياتها المُختلفة تنتشر بالمدينة، ويبدأ الأولاد والبنات في الذهاب لهذه المدارس من سِن العاشرة يتعلّمون مبادئ اللغة اليونانية والحساب وبقيّة العلوم، وكان التعليم يبدأ بتعلّم الحروف الأبجدية ثم الكلمات المكوَّنة من حرفين، ثم ثلاثة، ثم أكثر من ذلك، ثم يدرس الطالب النحو والبلاغة والأدب والرياضة والفلسفة، وتعتبر أشعار هوميروس هى حجر الزاوية في هذا العصر الروماني، فلو قلت "الكتاب السادس" فأنت لست في حاجة أن تذكر أنه من الإلياذة، والذي حوى

أهـازيج النصـر ومراثـي أبطـال أسـبرطة وأغـاني المـآدب، وبجـوار أشـعار هوميروس يـدرس المثقفون روايات مناندر، وقصـائد كاليمـاخوس، وروايـات إيسـخيلوس، وسـوفوكليس، وكوميديا هوبسيكراتس Hypsicrates.

وكثيـر مـن المُعلِّمـين مـن العبيـد، فلـيس شـرطاً أن يـأتي العبيد من بيئة مُتدنية، بل أن بعضهم كانوا في أشراف القوم ومثقفيه وسقطوا في أَسر القراصنة فباعوهم كعبيد، ولذلك كُلّف بعضـهم بالتدريس، وقـام بعضـهم بالوظـائف الكتابيـة، وأمسـك بعضـهم حسـابات أراضـي وأنشـطة أسـيادهم فكـانوا بمثابة وكلاء لهم، وكثير من الأسياد أُستأمنوا عبيدهم على ممتلكاتهم، ولا سيما إذا كانوا من المسيحيين، فالمسيحيون في منتهى الأمانة. وقامت بعض السيدات بدور المعلمات، فارتفعت نسبة التعليم في الإسكندرية، وقلّت نسبة الأميـة، وتشـعر السـيدة المُتعلِّمـة بـالفخر، ففـي سـنة ٢٦٣م كتبـت السـيدة "**لوليـان**" التماسـاً إلـى والـي مصـر، جـاء فيـه "*إننـي سـيدة أتشـرّف بـأن لـدي ثلاثـة مـن الأطفـال مـن ذوي الامتيازات، وقد مُنِحت الحق في التصرُّف بنفسي والتفاوض دون وكيل قانوني لـي فيما يتعلّق بما أنجزه من أعمال. **كما أنني أعرف القراءة والكتابة**، وعلى ذلك فإنني فخورة بوجود*

هؤلاء الأطفال كما أنني غير أُمّية وأكتب بيسر وسهولة. ولذا فإنني ألتمس من سيادتكم .." (٨).

وعندما ينتهي الطلبة من التعليم في المدارس المحلية يلتحق المتفوِّقون منهم بالميزيوم (أو الموسيون Mousion) أي دار المعرفة أو العلوم، وهو بمثابة جامعة أو أكاديمية ضخمة تضم جميع التخصصات، كما يفد الكثيرون من داخل مصر وخارجها ليدرسوا في هذه الأكاديمية، ومن يحضر من خارج الإسكندرية قد يصطحب معه عبداً أو اثنين للاهتمام باحتياجاته، وطالما شجّع ملوك البطالمة العلماء والأدباء، فمنحوهم الإقامة في الميزيوم على نفقة الدولة. وكانت الندوات الثقافية التي تُقام في القاعة الضخمة المُلحَقة بمسرح المدينة يحضرها حاكم المدينة، وأيضاً بعض السيدات المُثقفات. وبالإسكندرية تنتشر المكتبات الخاصة لبيع الكتب المتنوّعة، فتجد كتب "**ديوجنيس**" عن الزواج، والخلاص من الألم وفضل الوالدين، وفائدة استخدام العبيد في المنازل، وتجد محاورات "**أفلاطون**" العشرين، وكتب أشعار "**هوميروس**" ومسرحيات الكوميديا التي ألّفها "**مناندرس**" وتجد قواميس يوناني / لاتيني، وكُتب مختلفة عن الديانات، وتجد الكتب رواجاً كبيراً في هذه المدينة

العُظمى، ومنها يعيش النُّسَّاخ وأصحاب المكتبات، وكثيرون يفدون للإسكندرية لشراء الكتب، فجمع الكتب يدخل في دائرة الزهو والافتخار .. **أمّا مكتبة الإسكندرية المكتبة الأولى في العالم كله فهى شيء آخر.**

والإسكندرية هى مدينة الرياضة ويعتبر "**الجمنازيوم**" من أحد معالم الإسكندرية الهامة، فيضم حلبات المُصارعة والملاكمة، وصالات المساج، وساحات الجري، والملعب الرياضي الضخم الذي تزيّنه الأعمدة، والأروقة العديدة التي تخدم الجهاز الرياضي واللاعبين، فهو المعهد الرياضي الثقافي الذي تُمارَس فيه الرياضات المُختلفة، كما يشغل الوافدون أوقاتهم بمناقشة الأمور العامة، وامتدت أهمية الجمنازيوم من العصر الإغريقي للعصر الروماني الحالي.

ويحقّق الرياضيون شُهرة واسعة مع ثروات ضخمة تفوق ثروات الفنانين، فأحد أبطال سباق المركبات حقّق خلال ٢٤ عاماً نحو مليون ونصف دراخمة، ومن الأسماء اللامعة في سماء الملاكمة "**موروس**" Moros الذي لم يُهزم خلال مائة مباراة فنال المواطنة لأربع عشرة مدينة منها الإسكندرية، وينضم الرياضيون إلى "جمعية هادريان أنطونيوس المُقدَّسة لإبطال الرياضة" تحت رعاية الإله "**هيراكليس**".

والإسكندرية هى مدينة الفن والمباهج العالية، فإحدى السيدات نصحت صديقتها التي ذهب زوجها إلى الإسكندرية بأن تتزوّج، لأن زوجها لن يعود لها ثانية، فأهل الإسكندرية يحبون السهر ليلاً، ولا سيما فترة الصيف، ويتأخرون في الاستيقاظ، وفي الاحتفالات بالأعياد مثل عيد وفاء النيل أو عيد قيامة أدونيس أو عيد ميلاد الإمبراطور أو تنصيبه، تضج المدينة بالزحام والصخب وتُقام الحفلات التمثيلية الشعبية والكوميدية والهزلية، وهناك فِرَق متجوِّلة للموسيقى والرّقص والألعاب البهلوانية تجوب شوارع المدينة، وبالإسكندرية صالات للموسيقى وأخرى للرقص ويوجد مُتخصِّصون في تصميم الرقصات، وقد زُيّنت المسارح بأنواع الجرانيت الوردي والرمادي والأسود، والرخام الأبيض والأرجواني الإمبراطوري، والمرمر المستورد من الخارج، وأحد المسارح المشهورة في المدينة صرف في خلال شهرين للممثلين ٦٠٠٠ دراخمة، وبينما يحصل عامل البناء الماهر على أجر يومي ٤ دراخمة فإن المُمثل في أحد العروض المسرحية أو أحد الأشخاص الذين يلقون أشعار هوميرس يصل أجرهم اليومي إلى أكثر من ٤٠٠ دراخمة، والممثل الكوميدي غالباً ما يكتب النص لنفسه ويغني ويرقص،

ويطوف ممثلوا المسرح المشهورين حول العالم، وينضمون إلى "جمعية الفنانين العالمية المُقدَّسة" مقابل رسوم تبلغ نحو ٢٥٠ دراخمة ويتم إعفاء أعضاء هذه الجمعية من الضرائب والخدمة العسكرية والسجن، وتتم ممارسة الفن تحت رعاية الإله "**ديونيسوس**".

ويجد التمثيل الارتجالي الضاحك رواجاً في المدينة بين الرجال والسيدات، وسيدات إسكندرية يبالغن في الاهتمام بأنفسهن، ومعظمهن يستأجرن مُرضِعات لأطفالهن، وأحياناً تقوم الإماء بإرضاع الأطفال، كما أن أجرة المُرضِعة قليلة فهى تتساوى مع أجرة العامل غير الماهر، وتتراوح الرضاعة من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات، وفي العادة هى سنتين.

وفي الإسكندرية تجد بائعات الهوى اللاتي يدفعن ضرائب كبيرة للدولة، فبينما يدفع العامل الحرفي ضريبة ٨ دراخمة على مزاولته المهنة، تدفع بائعة الهوى أكثر من مائة دراخمة، وبعض هؤلاء لا يسلكن ذلك الطريق الرديء إلاَّ بسبب الفاقة، وعندما أُتهم "**ديوديموس**" بقتل إحدى بائعات الهوى وقُدِّم للمحاكمة، قالت أمها "**ثيؤدورا**": "*أنه من أجل هذا السبب وافقتُ على إعطاء ابنتي للمسئول عن الماخور، حتى يكون لي مصدر للرزق أتعيّش منه، والآن وقد فقدت*

مصدر إعاشتي بعد وفاة ابنتي، ولذلك فإنني أُطالب بأن يُخصّص لي وأنا المرأة الفقيرة مصدر بسيط أتعيّش منه"[٩].

وبينما بعض الفقراء يلقون بأطفالهم في الشوارع، فإن الأغنياء يعيشون في ترف وبذخ يقيمون الولائم الضخمة، ولا سيما خلال الاحتفالات بالمناسبات الدينية، والرحمة لا تجد طريقها إلاَّ لقلوب المسيحيين.

بالرغم من الصدمة القاسية التي تعرّض لها "**ديمتري**" عندما أوشك توأمه "**صفنيا**" على الغرق إلاَّ أنه لم يصب بعقدة نفسية تجاه البحر .. كان يذهب ويلقي بنفسه في أحضانه ويغوص في أعماقه، يُعاتبه ويلومه على النفوس التي يقتنصها، ولكنه قط لم يُخاصمه ولم يُقاطعه، فمحبّته الغامرة للبحر كانت أقوى من كل شيء، حتى من توسلات ومخاوف ودموع أُمِّه التي كانت ترجوه أن يكُف عن الذهاب إليه. بل ظلّ "**ديمتري**" طوال هذا الصيف لعام ٢٨٨م يخرج للبحر يوماً فيوماً .. يرابض على الشط مثل نمر ينتظر الفريسة لا ليفترسها إنما لينقذها، فقد فرض "**ديمتري**" على نفسه أن يكون غطاساً لهذه المنطقة الخطرة بلا أجر ولا مقابل، وصنع عوامة من الخشب الخفيف الوزن (في حجم البطيخة الكبيرة) ولها شكل كمثري، تنتهي بحلقة في عنقها رُبطت بحبل متين، وإذا لمح "**ديمتري**" إنساناً أطبق عليه الموج وبدأ السحب يشده للداخل، ينقض في سرعة النمر نحو هذا الإنسان، وعِوضاً أن ينقض هذا الإنسان على من جاء لينقذه فيشل حركته ويرهقه، فإن "**ديمتري**" يقترب منه ولا

يلمسه، لأن الغريق يتعلق بقشاية، لذلك يقبض بشدة على عوامة ديمتري التي دفعها نحوه ويحتضنها بقوة ففي بقائها حياته وفي ضياعها موته المُحقّق، ويُطمئن "**ديمتري**" ذلك الإنسان المقهور، ويسحبه بهدوء إلى داخل البحر، حتى تخف حدة السحب، ويسبح به في اتجاه آخر إلى الشاطئ، وكم أنقذ "**ديمتري**" شباباً ورجالاً وأطفالاً وأحياناً بعض الشابات اللاتي يندفعن للبحر بملابسهن، وفي كل مرة كان يصارع الموج بعزيمة صادقة لينتزع ذاك الذي أوشك على الغرق من فم الأمواج الهادرة المتلاطمة السريعة، فهو يرى في كل واحد منهم صورة توأمه حبيبه "**صفنيا**"، وفي كل مرّة يُنقذ إنساناً لا يضبط نفسه بل تدمع عيناه دمعة الفرحة بنجاة إنسان من الموت، والسعادة التي يشعر بها "**ديمتري**" بعد عمل الخير أفضل من أي أجر كان يمكن أن يتقاضاه .. ألم يقل الإنجيل " **شدَّةٌ وضيقٌ، على كلِّ نفسِ إنسانٍ يفعلُ الشرَّ: اليهوديِّ أولاً ثم اليوناني. ومجدٌ وكرامةٌ وسلامٌ لكلِّ مَنْ يفعلُ الصلاح: اليهودي أولاً ثم اليوناني**" (رو ٢ : ٩، ١٠)
كما اعتاد "**ديمتري**" أن يمضي بقيّة يومه في المحل التجاري الكبير يساعد أبيه، وكذلك طوال أيام الخريف والشتاء.

ويوم سلَّم "**منسّى**" ابنه "**صفنيا**" لهؤلاء التجار الأمناء الذين يثق فيهم ثقته في نفسه، وقد تعامل معهم على مدار سنوات طويلة، ودائماً كانوا يبرون بوعودهم، يتميّزون بالصدق والقناعة، فلم يسعوا قط للربح القبيح، حتى أنه كان يسألهم دائماً: مادامت الفرصة مُهيأة للربح الأكثر، فلماذا تربحون أقل ؟ فكانت دائماً إجابتهم: "***إن كان لنا القوت والكسوة فلنكتفِ بهما***".

هذا في الوقت الذي كان يعبد فيه "**منسّى**" المال والتجارة، حتى أنه كان يُقرِض أمواله بنسبة ٥ % شهرياً، أي بنسبة ٦٠ % سنوياً، فكم وكم عندما يُقرِض أمواله بالإضافة إلى الفوائد العائدة من الرّبا، بالإضافة إلى تجارته، لذلك كان رأس ماله يتضاعف من عام إلى عام بدون مُبالغة، وكان ضميره مُستريحاً وهو يستغل وصية العهد القديم عندما كانت البشرية في طفولتها فسمحت لليهودي بإقراض الغريب بالرِّبا وأقراض اليهودي بدون ربا، وبالرغم أن الشريعة لم تُحدِّد نسبة الرّبا، ولم ترمي لذلك الرّبا الفاحش، فإن "**منسّى**" كان يفعل هذا بقلب مُستريح، ولو أقرض يهودياً يخفض نسبة الرّبا الشهرية من ٥% إلى ٤.٥% وهو يظن بهذا أنه يُطبّق الوصية ..

أمّا هؤلاء التجار الأُمناء فلم يفعلوا ذلك قط. إنهم مسيحيون، وهذا ما لم يلتفت إليه "**منسّى**" يوم سلَّمهم ابنه.

ويوم أن بدأ "**صفنيا**" رحلته إلى أورشليم كان قلقاً بشأن المال الذي يحمله، فلو فُقِد منه فربما أبوه يقتله، فلفّه في حزام حول وسطه، لا يُفارقه قط في حركاته وسكناته، وما أن مرَّ اليوم الأول حتى تأكّد "**صفنيا**" أن الأمور مع هؤلاء التجار مُختلفة تماماً عمّا كان يظنّه، فليس بينهم لصّ ولا حتى طامع فيما لغيره، فشعر بالأمان والسلام النفسي، فكل منهم يسعى في تقديم أي شيء له، حتى لو كانت ابتسامة وتشجيعاً. عندما يحطون الرجال وقبل أن يفعلوا أي شيء يُصلّون بخشوع ووقار شديد .. في جلساتهم يرنّمون ترانيم الحمد ومزامير داود، ويقرأون من الرقوق كلمات المسيح وأعماله .. لقد رأى فيهم صورة مغايرة تماماً عمّا كانت في ذهنه، وقد تعلّمها من أبيه أن المسيحيين كفرة مُبتدعين يستحقون القتل، فيسوعهم قد حُمِل به سَفاحاً، وأنه عُلّق على الصليب كأعتى المُجرمين، وادّعى المسيحيون أنه مات لكيما يفديهم، مع أن الله من المستحيل أن يقبل ذبائح بشرية، ثم أشاعوا كذباً أنه قام من بين الأموات وهو لم يقُم كشهادة الجنود الذين حرسوا قبره .. وإن كان في الناموس

كل الكفاية فما الحاجة ليسوع ؟! .. وهل بعد أن كلَّم الله موسى على الجبل وأعطاه الوصايا الإلهيَّة نحتاج لشيء آخر ؟!!

ووجد "**صفنيا**" نفسه أمام حقائق كان يظنها من قبل أنها أباطيل، وإذ شعر أن التاجر الحكيم "**يوحنا**" وهو أصغرهم سِنّاً، فهو في العشرين من عمره، قريباً منه، وقد استراح له كثيراً، بدأ يبوح له بأفكاره .. لم يغضب "**يوحنا**" ولم يعبس وجهه في وجه "**صفنيا**"، إنما أخذ يحاوره بالمكتوب في الأسفار المقدَّسة، وبالعقل والمنطق، وأخذ يفتح ذهنه نحو ما سجّلته أسفار العهد القديم .. استعرض أمامه المزمور (٢٢) وما حواه من نبوات واضحة وضوح الشمس عن يسوع المصلوب، فداود النبي الذي عاش ومات معزَّزاً مُكرَّماً يقول:

" **ثقبوا يديَّ ورجليَّ**" (مز ٢٢ : ١٦) ..

" **كل الذين يرونني يستهزئون بي. يفغرُون الشفاه وينغضُون الرأس قائلين: اتّكل على الرب فليُنجِّه. لينقذه لأنه سُرَّ به**" (مز ٢٢ : ٧، ٨).

"**يقتمون ثيابي بينهم وعلى لِبَاسي يقترعون**" (مز ٢٢ : ١٨).

وانتقل "**يوحنا**" إلى إشعياء (٥٣):

"**لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه**" (إش ٥٣ : ٢)

"لكـن أحزاننـا حملـها، وأوجاعنـا تحمَّلَهـا. ونحــنُ حَسِـبناهُ مُصـاباً مضـروباً مـن اللَّـه ومـذلولاً. وهـو مجـروحٌ لأجـل معاصينا، مسـحوقٌ لأجـل آثامِنـا. تأديـبُ سـلامنا عليـه، وبحُـبرُه شُـفينا. كُلُّنـا كغـنم ضَـلَلنا. مِلنـا كُـلٌّ واحـدٍ إلى طريقـهِ، والـرَّبُّ وَضَـعَ عليـه إثـمَ جَميعنـا. ظُلِـم أمّـا هـو فتـذلَّل ولَـم يفـتح فـاهُ كشـاةٍ تُسـاقُ إلى الـذبح، وكنعجــةٍ صــامتةٍ أمــام جازِّيهـا فلـم يَفـتح فـاهُ " (إش ٥٣ : ٤ ـ ٧).

ويبدأ "**يوحنـا**" **يضـع أمـام** "**صـفنيا**" **عشرات النبـوات**: عن نسل المـرأة يسـحق رأس الحيّـة (تك ٣ : ١٥) وزمـن صـلب المسيح (دا ٩ : ٢٤ ـ ٢٧) وتآمـر الرؤسـاء والملـوك عليـه (مـز ٢ : ١ ـ ١٤) وبغضـة اليهـود لـه (مـز ٦٩ : ٤، ٨) ورفـض حجـر الزاويـة (مـز ١١٨ : ٢٢، ٢٣) ودم العهـد الجديد (إر ٣١ : ٣١ ـ ٣٤) وخيانة يهوذا له (مز ٤١ : ٦ ـ ٩، ٥٥ : ١٢ ـ ١٤) وبيعـه بثلاثـين مـن فضـة (زك ١١ : ١٢، ١٣) ونهايـة يهـوذا الخـائن (مـز ٦٩ : ٢٥) وشـهود الزور (مز ٣٥ : ١١، ١٢) وأنـه مثل حَمَل بـلا عيب يُساق للذبـح (إش ٥٣ : ٧) وصـمته أثنـاء المحاكمـة (مـز ٣٨ : ١٣، ١٤) وتكليلـه بإكليـل الشـوك (نـش ٣ : ١١) والجلـدات (مز ١٢٩ : ٣) واللطم والبصق (إش ٥٠ : ٦) وصـلبه بين

لصين (إش ٥٣ : ١٢) والعطش وشرب الخل (مز ٢٢ : ١٧، ٦٩ : ٢١) وكلماته على الصليب (مز ٢٢ : ١، ٣١ : ٤، ٥) وطعنه بالحربة (زك ١٤ : ٦، ٨) وعدم كسر عظم من عظامه (مز ٣٤ : ٢٠) وتكفينه ودفنه (إش ٥٣ : ٩) وقيامته (مز ٣ : ٥، ٢٤ : ٧ ـ ١٠، هو ٦ : ٢).

وقطع "يوحنا" مع "صفنيا" رحلة لذيذة عبر رموز الصليب في العهد القديم: ذبح هابيل، وذبح إسحق، وبركة يعقوب لابني يوسف، وإلقاء يوسف في البئر، وخروف الفصح، وذبائح العهد القديم بأنواعها، وعصى موسى التي شقّت البحر الأحمر، والشجرة التي غيَّرت طبيعة ماء مارة، وصخرة حوريب، وموسى على التلة رافعاً يديه أثناء حرب عماليق، وعصفوري تطهير الأبرص، والحيَّة النحاسية، والغصن الذي جعل الحديد يطفو، ويونان في بطن الحوت .. الخ.

وكانت استجابة "**صفنيا**" استجابة الخَصِي الحبشي الذي بشَّره فيلبس، وما أن وصل إلى أورشليم إلاَّ وقصد كنيسة القيامة مُعلناً إيمانه، وهناك نال الصبغة المُقدَّسة، ومارس حياته العملية فتاجر وربح القليل كما يفعل المسيحيون، وليس كما تعلَّم من أبيه مُنذ صغره، وزار الأماكن المُقدَّسة،

وصار عضواً عاملاً في الكنيسة مُتمتِّعاً بحياته الجديدة في المسيح، وكلّما دخل قبر مُخلِّصنا الصالح كان ينسكب في الصلوات من أجل والديْه وتوأمه "**ديمتري**" وأخواته "**راحيل**" و"**دينة**" و"**ميراب**".

ومرَّت عدة شهور وفي شهر فبراير سنة ٢٨٩م عاد "**صفنيا**" للإسكندرية في زيارة سريعة، لأنه اشتاق جداً لذويه، وقبل أن يتوجّه إلى منزله مرَّ على والده في متجره، الذي فرح وتهلّل بلقائه، وأخذ يسأله عن كل صغيرة وكبيرة في تجارته وأرباحه، غير أنه لاحظ أن "**صفنيا**" قد حقّق أرباحاً قليلة، ولم يعُد يهتم بالمال والتجارة مثلما كان قبل سفره إلى أورشليم، كما أن لهجته وكلماته قد تغيّرت، فهي كلمات مسيحية، لعلّ التجار أغروه على ترك دينه ودين آبائه .. وجه "**منسّى**" سؤالاً صريحاً واضحاً لابنه: يا صفنيا هل صرتَ مسيحياً؟

وعلى الفور أجاب صفنيا: نعم يا أبي الحبيب.

ووقعت الإجابة وقع الصاعقة على رأس منسّى، فلعن في داخله اليوم الذي ترك فيه ابنه للتجار المسيحيين الذين خانوا الأمانة، ولكنه نجح في إخفاء نيران غضبه، وأظهر استحساناً، كذباً وخداعاً ومكراً، واسترسل "**صفنيا**" البسيط في

الحديث، وأباح لأبيه حبيبه بكل شيء، أمّا أباه فلم يكن يصغي إليه، إنما كان يصغي للأفكار الشيطانية التي كانت تنازعه، ترفعه وتطرحه، وإذ نيران الغيرة المُرّة على دينه ودين آبائه أخذت منه كل مأخذ، وإذ أدرك أن من المستحيل أن يعود ابنه إلى يهوديته، قدَّم له القهوة.

ومرَّت دقائق ليست بطويلة وبدأت أعراض التسمُّم الشديد تعتمل في جسد "**صفنيا**"، فأظهر والده انزعاجاً كذباً وخداعاً ومكراً، وقاده إلى المخزن الداخلي بحجة إسعافه، وخرج وأغلق عليه الباب من الخارج، وانتظر "**صفنيا**" عودة أبيه بالدواء وهو يعاني آلاماً لا تُطاق، فلم يعُد، وبدأت أنّات "**صفنيا**" ترتفع ولا مُنقِذ، والأب القاسي الشرير يرابض أمام الباب مُنتظراً موت ابنه، وبدأ الصوت يخفت والأنّات تختفي، وإذ بنور قوي يبرق داخل المخزن الداخلي ويتسرّب من أطراف الباب ممّا أزعج منسّى، وبدافع تلقائي فتح الباب ليجد ابنه مسجي على الأرض، وكل شيء قد انتهى، لم يبكي ولم ينتحب ولم يقرع صدره ولم يذرف دمعة واحدة، فقد تفوق قسوة الإنسان الشرير قسوة الوحوش المُفترسة التي لا يمكن أن تفترس أبنائها مهما استبد بها الجوع، وراح "**منسّى**" يتعامل مع زبائنه، وكأن شيئاً قط لم يحدث.

وعندما أمسى الليل أغلق "**منسّى**" متجره وحمل على كتفه جوالاً، وهو منظر قد اعتاد عليه أهل الحي، فإن منسّى يُفضّل أن يحمل ما يحمل على أكتافه من أن يؤجِّر حماراً يدفع فيه درخمة واحدة. واتخذ "**منسّى**" طريقه إلى شاطئ البحر حيث لا عين إنسان ترقبه، أمّا عين يهوه فهو مطمئن من جهتها، لأنه يشعر أنها تطوِّبه على عمله البطولي هذا.. ثم عاد "**منسّى**" إلى بيته ووضِعت أمامه المائدة فأكل حتى شَبِع، ولم يُبكِّته ضميره، ولم يُبكِّته منظر ابنه "**ديمتري**" الذي كان يعاني منذ ساعات، وبالضبط منذ أن شرب "**صفنيا**" فنجان القهوة، يُعاني من قلق فائق ودخل في كآبة شديدة، ممّا سبّب انزعاجاً شديداً لأُمّه "**سوسنا**" وأخواته. أمّا والده فليس على باله .. وماذا تفعل بأب فقد روح الأبوة ؟!!

وبينما نام "**منسّى**" ووجد النعاس طريقه لأجفانه، لم يغمض جفن لديمتري، الذي جافى النوم عينه، ودخل في ضيق شديد لا يعرف له سبباً، وما أن انبلج ضوء الصباح حتى خرج "**ديمتري**" إلى الشط ليجد بعض الهواء، فأنه يشعر أنه يختنق .. ذهب إلى ذات المكان الذي اعتاد الذهاب إليه.. ذات المكان الذي تعرَّض فيه توأمه من قبل للغرق فأنقذه وانتشله من فم البحر .. ذات المكان الذي طالما أنقذ

فيه نفوساً تعرَّضت للموت المُحقَّق غرقاً .. جلس البحار المُغامر وتحركت أحشاءه نحو توأمه "**صقليا**". ثم أخذ يجهش بالبكاء، وهو لا يعرف لهذا سبباً .. جلس البحار المغامر على شط البحر ولا توجد عين إنسان تراه، وإذ كان البحر ساكن صامت، والمياه صافية، لاحظ تجمعات من الأسماك تلهو في بؤرة مُعينة، وإذ بصوت داخله يُناديه لينزل إلى الماء، رغم أن برودة الشتاء مازالت تبسِط جناحيها على الثغر السكندري.

ونزل "**ديمتري**" إلى الماء، واتجه للمكان الذي تلهو فيه الأسماك ولاحظ أن هناك بعض أسماك القرش تسبح في المكان ففكّر أن يعود أدراجه، ولكنه لمح تحت الماء شيئاً تنهشه الأسماك فغاص وإذ هو جوال فأخذ يسحبه والأسماك لا تكُفّ عن نهشه، وعندما وصل إلى رمال الشاطئ فوجئ بإنسان داخل الجوال وقد تشوَّهت معالم وجهه وأطرافه، فحزن وتنهّد وسالت دموعه، وبعيداً عن المياه حفر على الشط وواراه الثرى. وأسرع إلى السُّلطات يُبلغها بالأمر لكتشف سرّ الجريمة وإذ بالمسئول يُظهر لا مبالاة مُحتجاً بأمرين، أولهما: أنه لم ترد له أيّة بلاغات عن اختفاء أحد، وثانيهما: قد يكون إنساناً فارق الحياة على ظهر سفينة عابرة

وقانون البحر يقول أنه يُلقى في البحر، فألقوه في اليمّ والأمواج حملته قُرب الشاطئ، ولم يقتنع "**ديمتري**" بهذا ولا بذاك، ولكن على كلٍّ عندما دفن هذا الشاب شعر براحة نفسية عميقة وعاد إلى طبيعته الأولى.

وعاد "**ديمتري**" إلى بيته، ولم يكن والده قد نزل إلى متجره، ففي هذا اليوم استيقظ مُتأخراً، وحكى "**ديمتري**" الحدث أمام أُسرته، فتأثرت أُمّه جداً، أمّا والده فقد أظهر اهتماماً شديداً جداً على غير عادته، وبدأ يسأل ديمتري عن تفصيلات الحدث، ثم أرسل ديمتري ليفتح المتجر، وتوجّه هو إلى المكان الذي أعلمه به ديمتري فأخرج الجوال وما فيه، ربطه بحجر، وسبح به إلى المياه العميقة وتركه ليغوص في القاع حتى لا يظهر مرّة ثانية.

وفي صيف عام ٢٨٩م تقدّم "**ديمتري**" للاختبار الذي نجح فيه بتفوّق، فصار جندياً مُميزاً (قابل للترقية) في الأسطول البحري الروماني، بالرغم من أن ذلك لم يأتِ على هوى أبيه الذي كان يطمع في بقاء ابنه بجواره يشاركه في تجارته وإدارة أمواله، ولا سيما أن الراتب الشهري الذي سيتقاضاه وهو ستون دراخمة يستطيع أن يحصل على أكثر منه من خلال العمل بالتجارة وسوق المال، بالإضافة إلى

كراهية "**منسّى**" للرومان الذين دمّروا أورشليم وأحرقوا هيكلها، ولكن أمام إلحاح ديمتري الشديد ورغبته الجامحة وافقه والده وهو يتحسّر لأن هذا الابن سيظلّ في خدمته العسكرية التي تطول إلى ستة وعشرين عاماً، وعندما يتزوّج وينجب لا تعترف الدولة بهذا لأنها تُحرم الزواج أثناء فترة الخدمة، وعليه أن ينتظر حتى نهاية خدمته فتعترف الدولة بزواجه وأبنائه، ويحصل على الرعوية (الجنسية) الرومانية، كما يحصل على مكافأة مالية ضخمة، وهى مبلغ ليس بقليل، فالجندي الروماني يحصل على مكافأة نهاية الخدمة ١٢٠٠٠ دراخمة، والجندي المصري أو اليهودي يحصل على أقل، ويمكنه أن يستثمر هذا المبلغ في شراء الأراضي الزراعية وتربية المواشي في أرياف مصر، وإن كان المصريون لا يرحبون بهم، لأنهم وهم في خدمتهم كانوا يلزمون الفلاحين بتقديم الطعام والإيواء لهم بدون مقابل، والقانون يعطيهم هذا الحق، ولكن بعد تسريحهم كانوا يعيشون كجيران مسالمين لهؤلاء الفلاحين المطحونين.

واجتاز "**ديمتري**" التدريبات بلياقة عالية، وأخذ مكانه بين نسور البحر، وكثيراً ما كان يُسمَح له بالمبيت في منزله، فيستيقظ مُبكِّراً ويقطع طريقه من جنوب الحي اليهودي حيث

منزله، ويسير في "شارع كانوب" الشارع الرئيسي المُتّسع في المدينة، ويمرّ على "**البروخيوم**" (الحي الملكي)، ذاك الحي الذي ضمّ في أحشائه أهم قصور مصر وأروعها، من قصور ملوك البطالمة إلى قصور الولاة الرومان إلى قصور عظماء الإسكندرية وأثريائها إلى قصور كبار الساسة ورجال الدين، و "**ديمتري**" في مروره بهذا الحي يمني نفسه أن يكون له في يوم ما قصر مثل هذه القصور، ثم يلوم نفسه على هذا التفكير الأناني مُتذكِّراً الفقراء المحرومين الذي يعيشون خارج الأسوار، وربما أطفالهم يمضون لياليهم بدون عشاء، فيشكر يهوه على ما هو فيه من نِعم وبركات.

كل "**قصر**" هو آية من الروعة والجلال، يرتفع الدور الأرضي عن الشارع عدة درجات، والأبواب صُنِعت من الأخشاب المستوردة تزيّنها النقوش، والأرضية أُفترشت بتربيعات الرخام، والجدران اكتست بالرخام المزخرف ذو الألوان البديعة، وفي أركان القصر تجد التماثيل الناطقة تنظر إلى ناظريها، والسُّرج الفضية والنحاسية تتخذ أشكال الطيور والحيات، وصور الفسيفساء تغطّي مساحات ليست بقليلة من صالات الاستقبال، والحيوانات والطيور والنباتات المُطرّزة على الستائر تكاد تكون حقيقية. أمّا أرضيات

وجدران الحمامات فقد اكتست بالرخام الأبيض، ويرقد في الحمام حوض رخامي ذو أرجل قصيرة منقوشة ليحوي في جوفه جسد أو جسدين من تلك الأجساد المُترفة المُنعَّمة التي تستمتع بحمام الماء الدافئ، ثم تخرج لتتطيّب بالأطياب والزيوت العطرية وترتدي ملابس الأرجوان (الحرير الطبيعي) ويحيط بالقصور البساتين اليانعة والحدائق الغنّاء، وفي كل مرّة يقطع "**ديمتري**" الحي الملكي يستمتع بتغاريد الطيور، ويشتمّ أريج الرياحين والزهور، فقد اعتاد سُكان هذه القصور اقتناء الطيور الجميلة والنباتات النادرة.

أمّا "**القصر الملكي**" فإن "*حجمه يماثل حجم المعبد في عصور الازدهار، وإن الأسقُف .. مُحدَّدة بالذهب، والجدران مُغطاة بالرخام وحجر البروفير الثمين. أمّا الألباستر .. ينتشر في كل صالات القصر .. خشب الأبنوس .. يغطّي كل الأبواب الضخمة في القصر، والذي حلّ محل الخشب العادي. أمّا زخرفة هذه الأبواب فهى رائعة .. العاج يُغطّي صالة المدخل، وغُطّيت الأبواب بطبقة صدفة ظهر السلحفاة الهندية. أمّا المجوهرات والأكواب فهى تملأ الموائد .. وكانت الأرائك مُتسعة جداً، ومُغطاة بأغطية ذات ألوان رائعة*" (١٠)

وأمام القصر ترى تمثالاً رائعاً من الجرانيت بطول ٨م للملكة

"**أرسينوي**" زوجة بطليموس الثاني فلادلفوس في صورة الإلهة إيزيس.

ودائماً تجد أمام المعابد والقصور بعض المساحات والطرق العامة التي ارتفعت فيها المسلاّت الفرعونية، كما ضم الحي الملكي المعابد الباهرة، ودار القضاء، والجمنازيوم الذي يقع على ناصية الشارع الكانوبي مع شارع الوادي، وحول هذا الحي الملكي التفت بقية الأحياء وكأنها جميعاً في خدمته، بل حقيقة هى هكذا، فالحي اليهودي (سوتيريا) شرقه وحي الميدان (الميناء) غربه، وجنوبه تقع الأحياء الأربعة الباقية من الشرق حي الأحراش (ميدان السباق) ثم البانيوم (السوما) ثم المتحف وأخيراً الحي المصري (راكوتي) في غرب المدينة .. وإن كنت تجد العربات التي تجرّها الحمير، وثمن الواحد منها يتراوح من ٣٠٠ ـ ٥٠٠ دراخمة، وكذلك العربات التي تجرّها الجمال، وثمن الواحد منها يتراوح من ٢٠٠ ـ ٨٠٠ دراخمة في الأحياء المختلفة، فإنك لن ترى مثل هذه العربات داخل الحي الملكي، لكنك تجد الخيول التي يمتطيها الفرسان في عجب وخيلاء.

ويسير "**ديمتري**" عبر الشارع الكانوبي حتى يصل إلى طريق "**الهيبتاستاديوم**" أي السبعة ستاد (الإستاد ١٨٦ متراً)

فهذا الطريق الرائع الذي يصل طوله إلى نحو ١٣٠٠ متراً قد أنشأه المهندس "**دينوقراطيس**" الذي خطّط مدينة الإسكندرية بأمر الإسكندر الأكبر، فربط هذا الطريق جزيرة فاروس بالشط، وكلّما عَبَر "**ديمتري**" هذا الطريق يتذكّر الطريق الذي شقّه الله في البحر الأحمر لأجداده، حتى عبروا ونجوا من بطش فرعون، والماء كان سوراً عن يمينهم وعن يسارهم، وطالما يقصد الشعراء طريق الهيبتاستاديوم يستوحون أشعارهم، وطالما يقصده الفلاسفة يتحاورون في قضاياهم، ونشأ عن هذا الطريق ميناءان، الشرقي والغربي.

و"**الميناء الشرقي**" هو الأكثر تحكُّماً في حركة السُّفن، فمدخله يقع بين "رأس لوخياس" (منطقة السلسلة) وجزيرة فاروس، وهذا المدخل يُغلَق بسلاسل ضخمة فلا تستطيع سفينة أن تدخل إليه أو تغادره إلاَّ بتصريح رسمي، بل أن السُّفن الداخلة إليه لابد أن تكون حريصة جداً على السلوك في الممر المُخصّص لها، والذي يصل طوله إلى نحو ٦٠٠م حتى تصل إلى حد الأمان، لأن القاع القريب الذي يقع على بعد سبعة أمتار تحت سطح الماء يزدحم بالصخور الضخمة، فهذا الميناء يُعتبر منيعاً على السُّفن التي تجهله، حتى أن المؤرّخ اليهودي "**يوسيفوس**" Josephus قال أن

"دخول ميناء الإسكندرية صعب جداً على السفن، وحتى في أثناء هدوء البحر لأن فتحته ضيّقة جداً، وبسبب الصخور المختفية تحت سطح البحر، التي ترغم السُّفن على الانحراف عن طريقها "[11] وقال "**سترابون**" Strabo ٢٠ق.م "أن الداخل إلى الإسكندرية عن طريق البحر يدخل من الميناء الكبير (الشرقي)، فعلى اليمين توجد جزيرة وبرج فاروس ومعبد إيزيس فاريا، وإلى اليسار توجد سلسلة الصخور ورأس لوخياس، والقصر المُقام فوقها .. إلى أسفل يوجد الميناء الصناعي المُغلق والخاص باستعمال الملوك (الميناء الملكي) والجزيرة الصغيرة "**انتيرودس**" *Antirhodos* وعليها قصر وميناء صغير، [هذه الجزيرة قد غاصت نحو سنة ٢٥٠م في الميناء الشرقي عقب زلزال قوي ضرب الإسكندرية] وفوق ذلك يوجد المسرح، ثم البوسيديون *Poseidium* وهو جزء من مجمع، وفيه معبد "**بوسيدون**" (إله البحر) وقد بنى "**أنطونيوس**" منزلاً ملكياً يُسمّى "**تيمونيوم**" *Timanium* بعد ذلك يأتي القيصريون السيزارير *Caesaruim* (معبد قيصرون) ثم الأمبوريون، الميناء التجاري، ثم أبوستاسيس (المخازن) وتتبعها أرصفة السُّفن أو (الترسانة) التي تمتد حتى الهبتاستاديوم"[12].

أمّا "**الميناء الغربي**" (يونوستوس) أي "العود الحميد" فهو مفتوح على البحر وأقل تحكُّماً وأماناً من الميناء الشرقي، ولذلك فهو أقل استخداماً، وبجواره الميناء الصناعي "كيبوتوس" أي الصندوق، ويشمل أحواض السُّفن، وفي هذا الميناء تصب ترعة المياه العذبة، وهى صالحة للملاحة وتمتد حتى بحيرة مريوط.

وسواء في الميناء الشرقي أو الغربي فإنك تجد السُّفن الصغيرة وزوارق الصيد، وسُفن الرُّكاب الضخمة التي تتّسع الواحدة منها لأكثر من ثلثمائة شخص، وأيضاً السُّفن التجارية الضخمة، التي تصل حمولة البعض منها إلى ثمانية عشر ألف أردب (نحو ٥٠٠ طن) يعلو هذه السُّفن البحارة المَهَرة من إسكندريين ويونان ورومان وقبرصيين وسريان .. الخ، والسُّفن التي تنقل الغلال تجد عليها "مُراقب الشحن" للحفاظ على شحنة السفينة من النقص أو من التغيير ولذلك فهو يحمل عينة مختومة تُقارن بشحنة السفينة، وعندما تمخر السُّفن عباب البحر ترتفع أشرعتها المختلفة الأشكال والألوان، فبعضها مثلث والآخر مستطيل والآخر مربع، كما تمتد من السفينة المجاديف التي تمسك بها قبضات قوية، لتزيد من سرعة السُّفن، وبالسفينة تجد

أماكن للمبيت ومراتب، وصهاريج لتخزين مياه الشرب، وأجراس لقرعها وقت الخطر، وعليها بعض زوارق النجاة.

ومع نهاية طريق "**الهيبتاستاديوم**" تستطيع أن تشاهد كيف تُولد السُّفن التجارية والحربية منذ أن يوضع القائم الرئيسي الذي هو بمثابة العمود الفقري، وتظل تُبنى فتنمو يوماً فيوماً حتى تكتمل تماماً، وتُجهَّز ويُدفَع بها إلى مياه البحر لتقضي فيه حياتها بالكامل، وأيضاً في نهاية الطريق تجد الترسانة البحرية التي تخدم قطع الأسطول البحري المرابض أمام الإسكندرية.

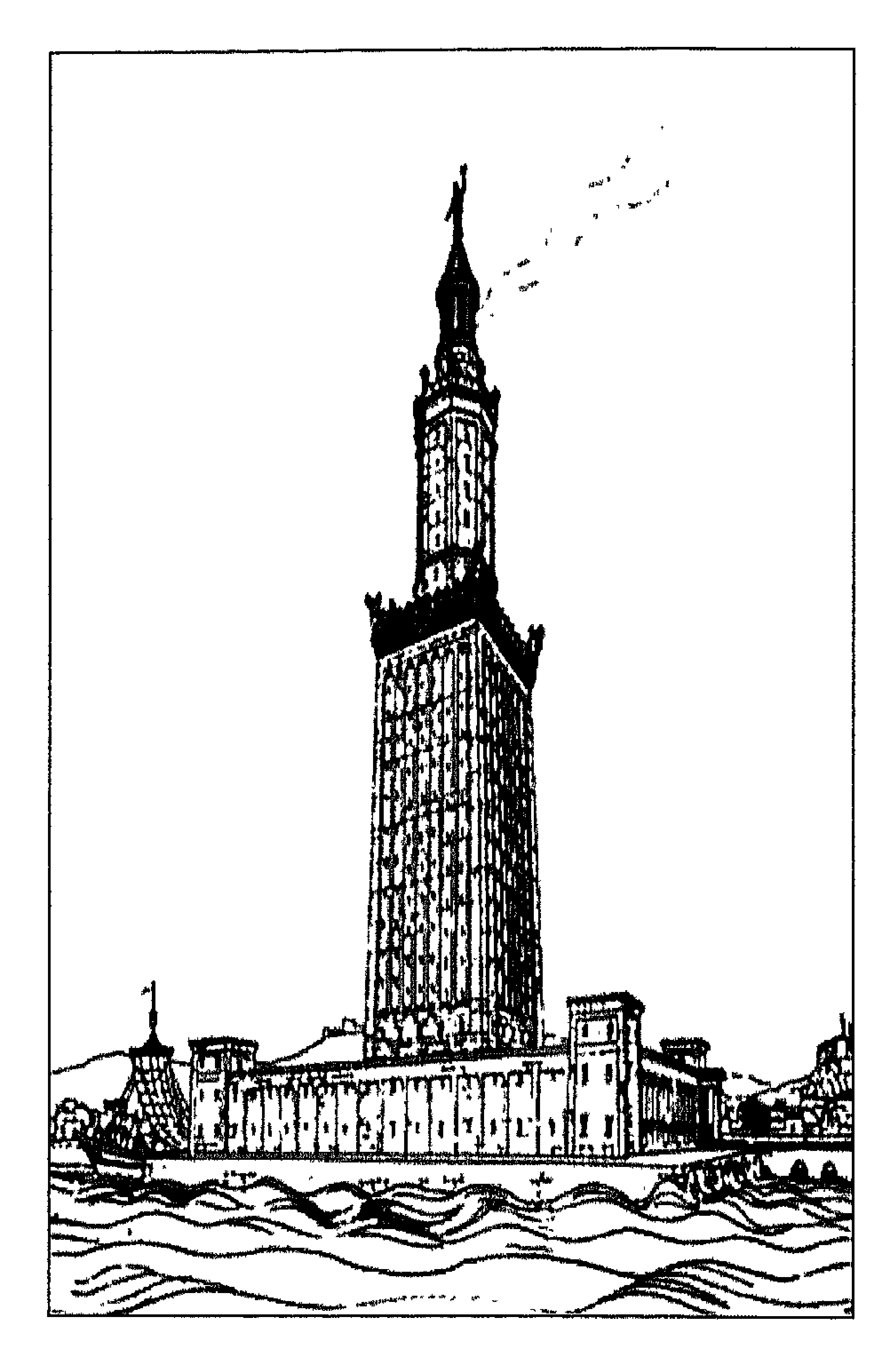
وأينما كنت في الإسكندرية داخلها أو خارجها، قريباً منها أو بعيداً عنها بعشرات الكيلومترات فإنك لا بد أن تشهد شعلة النار تشتعل في سمائها فوق جزيرة فاروس تلك الجزيرة البسيطة التي تردَّد عليها الصيادون والملاّحون قديماً، وجاء ذكرها في أشعار هوميروس في الأوديسة سنة ٨٥٠ ق.م. أمّا الآن فقد صارت أشهر جزيرة على وجه البسيطة كلها بسبب منارتها التي هى بالحقيقة أعجوبة من أعاجيب الدنيا السبع، وطالما وقف أمامها الآلاف عبر مئات السنين مشدوهين بذاك العمل الجبار .. إنه "**فنار الإسكندرية**" الذي أنشأه المهندس العبقري "**سوستراتوس**" بأمر من بطليموس

الأول سوتر سنة ٢٨٠ ق.م وانتهى العمل منه في عهد ابنه بطليموس الثاني فلادلفوس، وهذا المهندس هو الذي أنشأ مقياس النيل في منف، فارتفع الفنار يشق عنان السماء بنحو مائة وثلاثين متراً.

وهذا الطريق الصاعد من الجزيرة لمنطقة الفنار بطول نحو ٧٠ متراً الذي يفضي بك إلى منطقة الفنار، يؤكِّد لك أن ذاك الفنار أُقيم على أعلى منطقة صخرية شرق الجزيرة، وقد شُيِّد الفنار بحجارة ضخمة من الحجر الجيري بعضها يصل وزنه إلى نحو ٧٠ طناً، وأعمدة من الجرانيت المُزيّن بالمرمر، وفتحات أبواب الفنار ضخمة تصل إلى ارتفاع عشرة أمتار، والفنار يتكوّن من ثلاثة طوابق إن صح تسميتها طوابق، **فالطابق الأول مربع الشكل بارتفاع نحو ٦٠ متراً** يحوي في أحشائه ثلثمائة حجرة تستخدم لحفظ الآلات وسُكنى العمال، ويعلو كل رُكن من الأركان تمثال **والطابق الثاني ثُماني الشكل بارتفاع نحو ٣٠ متراً، والطابق الثالث مُستدير الشكل بارتفاع نحو ١٥ متراً،** ويعلو الطوابق الثلاث التي تعدّى ارتفاعها المائة متراً "**المصباح**" وهو عبارة عن شُعلة عظيمة من النار يُعكَس ضوءها على سطح مصقول من المعدن، فترشد السُّفن التي

تمخر عباب البحر على مدى ٤٥ كيلومتراً، وتعلو المصباح القُبة المُستديرة القائمة على ثمانية أعمدة، وفوق القبة يقف تمثال إله البحر "**بوسيدون**" الذي يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار، أمّا السُّفن التي على بُعد عدة كيلومترات فتراه صغيراً، وربما لا تراه، إنما تلمح الشعلة الضخمة وكأنها شعلة في يد إنسان يُحبّك ويدعوك إلى بيته.

و "*تتوسّط حوائط الفنار أبراج للحراسة وأسوار لحمايته من أمواج البحر .. الفنار يعتبر في نفس الوقت كمعهد ومرصد خاص مُلحق بجامعة الإسكندرية ومكتبتها لدراسة الفَلَك ورصد النجوم في القبة السماوية .. أما الفراغ الذي يتوسط المبنى .. يُستعمل في رفع المعدات الهندسية وآلات الرصد، بالإضافة إلى مواد إشعال كشافات الإنارة إلى قمة المبنى* " (١٣).



فنار الإسكندرية

وفي منطقة الفنار أُقيمت بعض المسلاّت التي تخُص سيتي الأول بالإضافة إلى نحو ثلاثين تمثالاً لأبي الهول يحمل كل منها اسماً لأحد ملوك الفراعنة من سيزوستريس الثالث إلى رمسيس الثاني، وأيضاً ترى ثلاثة تماثيل ضخمة من الجرانيت لثلاثة ملوك من ملوك البطالمة، وبذلك حملت المنطقة الطابع الفرعوني والإغريقي، فقد نجح الإسكندر الأكبر وخلفائه من ملوك البطالمة في مزج الحضارتين الفرعونية واليونانية والبُعد عن صراع الحضارات، فارتفعت تماثيل البطالمة جنباً إلى جنب بجوار تماثيل الفراعين. أمّا الربّة إيزيس فهى إلهة مُقدَّسة لدى المصريين واليونانيين وعلى ذات الجزيرة يقوم معبد "**إيزيس فاريا**" حامية البحار، والملكة كليوباترا التي ظهرت في شكل إيزيس أحبّها الجميع مصريين ويونانيين، وغرب جزيرة فاروس يوجد معبد إله البحر "**بوسيدون**" شفيع البحارة والمسافرين.

ومن المناظر المألوفة طوابير الدواب تحمل الأخشاب التي تستخدم وقوداً في مصباح المنارة فيعلو لهيبها إلى عنان السماء، ومن المناظر التي تحب أن تطيل النظر إليها طائر النورس الذي يُحلِّق بأعداد كبيرة، ينقض الواحد منها تلو الآخر، فيضرب الماء بمنقاره بقوة ثم يُحلِّق في

الهواء وقد اقتنص إحدى السمكات التي كانت تلهو مع أخواتها.

ومرت عدة أشهر على "**ديمتري**" وهو يتمتّع بحياته كبحري ويُظهِر تفوّقاً ومهارة وذكاءً وفكراً حتى صار مشهوراً بين أقرانه أُختبر ليشارك في مهمة "قنص القراصنة" بالبحر الأحمر، فانضم إلى سفينة "النسر المُنقض" سريعة الحركة ومعها سفينتيْن آخرتين، والمهمة بقيادة القائد "**ديجينيس**" .. أقلعت تلك السُّفن من الميناء البحري إلى قناة شيديا حتى بلغت الفرع الكانوبي للنيل، وسارت في القناة التي تصل النيل بالبحر الأحمر، فوصلت إلى "**هيرونيوس**" (خليج السويس) ومنه دلفت إلى أعماق البحر الأحمر .. لقد عاث القراصنة فساداً في هذا البحر، فطالما تعرّضوا للسُّفن التجارية ونهبوها، وأسروا بحاراتها وباعوهم عبيداً في سوق الرقيق.

والقرصنة لها تاريخها البشع في البحرين الأبيض والأحمر، بل أن "**مينيلاس**" ملك أسبارطة كوّن ثروته من السّلب والنّهب عن طريق القرصنة، وفي القرن الخامس قبل الميلاد تولّت "**أثينا**" مُكافحة القرصنة حتى كادت تقضي عليها، ولكنها عادت سريعاً بعد أقل من مائة عام، وفي

سنة ١٢٢ ق.م تصدّى أهل كريت مع المصريين للقراصنة الذين يهاجمون التجارة الكبيرة بين مصر وكريت وفينيقيا، وفي القديم كانت صقلية مركزاً للقراصنة حتى أنهم كوّنوا أسطولاً ضخماً من السُّفن المختطفة بلغ ألف سفينة، وكانوا يشاركون الملوك في حروبهم مقابل مبالغ مُجزية، وخرج القراصنة من كريت وكيليكيا وهاجموا سواحل أسيا الصغرى وسوريا وأَسروا أعداداً كبيرة من السكان وباعوهم كعبيد في جزيرة ديلوس، فقيل أنه كان يُباع في اليوم الواحد في أسواق الرقيق الأبيض نحو عشرة آلاف شخص، وقد استُغلّوا في المزارع الرومانية المُتسعة، فأصدر "مجلس الشيوخ" أمراً للقائد "**ماركوس أنطونيوس**" (جد ماركوس أنطونيوس الشهير) بمهاجمة قواعد القراصنة شرق البحر المتوسط، فهاجمها ودمّرها سنة ١٠٢ ق.م وحوّلها إلى ولاية رومانية، وإن كان هذا حدَّ من خطر القرصنة لكنه لم يقضي عليها، حتى اضطرت روما سنة ١٠٠ ق.م إلى إغلاق كل الموانى التابعة لها، وعانى الشعب الروماني من مجاعة بسبب نقص كمية الغلال الواردة لروما، وفي سنة ٨٢ ق.م قرَّر جنرال روما "**ميتريدات**" تطهير سواحل صقلية من القراصنة، فطالما هاجم القراصنة سُفن القمح المُتجهة من مصر إلى روما،

وفي سنة ٦٧ ق.م عيّنت روما دكتاتوراً للبحار تحت أمرته ٥٠٠ سفينة وآلاف الجنود، فتمكّن من أسر ٣٦٠ سفينة، وتدمير ١٠٠٠ سفينة وقَتل عشرة آلاف قرصان وأسر ٢٠ ألف آخرين، وفي هذه الأيام استولى القراصنة على سفينة تحمل بضائع ثمينة مملوكة لتاجر اسكندري له صلاته ونفوذه في القصر الإمبراطوري بروما، وعلى هذه السفينة علامة الأسدين، ومهمة هذه الحملة استرداد هذه السفينة.

ولمح قائد المُهمّة تلك السفينة المُختطفة ولمح عليها "**علامة الأسدين**" على جانبيها، فبدأت السُّفن الثلاث تحدِّد اتجاهاتها فأحاطت بتلك السفينة من على بُعد أكبر من مرمى السهام، وشك القرصان الأول في هذه السُّفن الثلاث، فأعلن حالة الطوارئ على ظهر السفينة المُختطفة. أمّا "**ديمتري**" ذاك البحار المُغامر، فقد أدهش قائده "**ديجينيس**" إذ فاجأه بخطة جديدة مُبتكرة للاقتحام، ولثقة القائد الزائدة في البحار "**ديمتري**" وافقه على خطّته واثقاً في رجاحة فكره وحُسن تصرُّفه، وبدلاً من الاعتماد على المواجهة التصادمية استخدم "**ديمتري**" بالأكثر عقله، وسُمِح له باختيار فريق معه مكوَّن من عشرة جنود من أصدقائه المعروف عنهم مهارتهم الشديدة في الغطس، فهؤلاء الفريق المتجانس هُم أبناء

غطسة واحدة، وحَمَل كل منهم مثقاب يدوي بسيط ووتد خشبي صغير، وسريعاً ما غاصوا في البحر بعيداً عن أعين القنّاصة التي تركّزت تماماً على ظهر السُّفن الثلاث التي تظاهرت أنها تُبحِر في سلام في نفس الاتجاه الذي تُبحِر فيه سفينة القراصنة التي أبطأت كثيراً في حركتها. أمّا القراصنة فاصطفوا على سطح سفينتهم كلٌّ منهم يقبض على قوسه وسهمه، منتظراً اقتراب تلك السُّفن، وانطلاق السهم الأول من القرصان الأول ليبدأ الهجوم على تلك السفن، فيمطرونها بوابل من السهام المشتعلة، وفي نحو نصف ساعة وصل فريق "ديمتري" إلى سفينة القراصنة دون أن يلمحهم أحد، وسريعاً ما أعمل كل منهم مثقابه ذو البريمة في جسم السفينة، والمثقاب بمجرّد أن يُغرَس في الخشب يجد طريقه بقوة الصد الذاتية الناتجة من البريمة مادامت يد الغطاس تديره بقوة، وبدأت المياه تندفع إلى قاع السفينة من عشرة ثقوب مُتفرِّقة قُطر كل منها نحو ٣ سم، وإذ أحسّ القرصان بحاسته البحرية أن هناك بداية خلل في السفينة، أومأ لأحد رجاله ليستطلع الأمر، فعاد على الفور يصرخ : سنغرق .. سنغرق، وهبط القرصان الأول ليرى بنفسه المياه التي بدأت ترتفع في قاع السفينة إلى نحو ٣٠ سم، وظن أن

السفينة قد احتكت بأحد جبال الشُعب المرجانية، وهو يُعرف بخبرته أنه يستحيل تدارك الموقف من داخل السفينة فأرسل أحد رجاله ليستطلع الأمر من الخارج، وقفز الرَّجُل في الماء ولم يعُد، فأسرع بإرسال رَجُلين قفزا في الماء ولم يعودا لأن "ديمتري" ورجاله شلوا حركتهم وأبقوهم معهم .. أمر القرصان الأول بقرع أجراس الإنذار وإرسال استغاثة للسُّفن القريبة، وأنزلوا زوارق النجاة من أحد جوانب السفينة بينما "ديمتري" ورجاله في الجانب الآخر، وسريعاً ما هربوا بتلك الزوارق مُتجهين للسُّفن التي اقتربت منهم سريعاً فاعتلوها ليكتشفوا الحقيقة المُرّة أنهم بدلاً من أن يستولوا على تلك السُّفن، فإذ بالسُّفن سُفن حربية عليها جنود أشداء وأنهم وقعوا في الأسر بحيلة بارعة .. في خلال هذه اللحظات الحرجة كان فريق "ديمتري" ينجز عملاً غاية في الأهمية وهو إغلاق الثقوب العشرة بالأوتاد الخشبية قبل أن تغوص السفينة للأعماق، ونجح الفريق، واقتربت إحدى السُّفن الحربية من السفينة المُختطفة، نقلوا إليها المضخات اليدوية التي وصلت حديثاً للأسطول البحري الروماني، وبدأ التخلُّص من المياه التي اندفعت في أحشاء السفينة، وعادت السفينة للتوازن، وتولّى بعض الجنود قيادتها، وانتهت المعركة قبل أن تبدأ، وانتهت

دون أن تُراق الدماء على مياه البحر الصافية، وعادت السُّفن تقطع رحلة العودة إلى مياه الإسكندرية وقد أعادت السفينة المُختطفة، فأُستقبلت استقبال الأبطال، وكُلّل القائد "**ديجينيس**" بإكليل الغار، إلاَّ أن الحضور بهتوا عندما رأوه يخلع الإكليل عنه ويطوِّق به عُنق "**ديمتري**" البحار المغامر، ويُعلن أمام الجميع الدور الهام الذي قام به "**ديمتري**" بينما همس أحد الجنود الحاقدين: وماذا فعل ديمتري أكثر مما فعلناه ؟! فكل ما فعله لا يتعدّى سوى لعبة صبيانية بالمثاقيب .. ولكن الجندي الآخر لم يوافقه الرأي، بل قال له: لولا هذه اللعبة الصبيانية لربما نشبت معركة ضارية مع القراصنة، ولربما انغرس في صدرك سهم من سهامهم وسالت دماءك على صفحات المياه ولفظت أنفاسك، وصرت وجبة شهية لأسماك القرش.

وبعد مرور شهرين على تلك المهمة التي أُعيدت فيها سفينة الأسدين، وقد أدلى مالكها بشهادة حسنة لدى القصر الإمبراطوري في حق القائد "**ديجينيس**" وجنوده ولا سيما "**ديمتري**" أنعم القصر على كليهما بمكافأة مالية مع الترقية، فتم ترقية ديمتري إلى "ضابط" تحت التدريب، ثم كلَّف القائد "**ديجينيس**" ديمتري باستلام طلبية ملابس بحرية من التاجر السكندري المشهور "**ويصا**"، وترك له حرية اختيار الفريق الذي يعاونه في هذه المهمة، وبلا تردُّد اختار "**ديمتري**" فريق المثاقيب الذي سبق اختياره في إنقاذ سفينة الأسدين من قبضة القراصنة، فجميعهم أبناء غطسة واحدة، وبينما من المُعتاد أن يُقدِّم المورِّد لمَنْ يتسلّم البضاعة ويفحصها رشوة أو على الأقل هدايا تتناسب وحجم الطلبية، فإن التاجر "ويصا" لم يفعل هكذا، وتعجّب "**ديمتري**" وفريقه من هذا التصرُّف رغم أنه يرفض مبدأ الرشوة، وعندما استفسر أحد أعضاء الفريق عن هذا، علم أن "**ويصا**" إنسان مسيحي ولذلك فهو يرفض الرشوة تماماً، كما أن الأصناف التي يسلّمها على درجة عالية من الجودة، وخالية من أية عيوب،

وبدأ "**ديمتري**" وفريقه يفحصون الأصناف بدقّة، ومع نهاية اليوم تم استلام جزء من الطلبية التي يستغرق استلامها نحو عشرة أيام، وصار "**ويصا**" موضع ثقتهم.

ديمتري: إنني أُحيّيك على أمانتك من جهة العدد والجودة، كما أُحيّيك أنك لم تدفع رشوة.

ويصا: من جهة الأمانة هذا واجب عليَّ وليس تفضل منِّي، ومن جهة الرّشوة فإن كتابنا المُقدّس يُعلّمنا " **لا تأخذ رشوة، لأن الرّشوة تُعمي المُبصرين وتعوِّج كلام الأبرار** " (خر ٢٣ : ٨) و" **ملعون من يأخذ رشوةً**" (تث ٢٧ : ٢٥) كما يُعطي البركة لِمَنْ يرفض الرّشوة "**مُبغِض الرّشوة تطول أيامه**" (أم ٢٨ : ١٦).

ديمتري: هذا ليس كتابكم المُقدّس بل توراتنا المُقدّسة التي أعطانا إياها يهوه بفم نبينا موسى النبي.

أدرك "**ويصا**" أن "**ديمتري**" يهودي، فأخذ يوضّح له:

أولاً: أن الله واحد، هو إله التوراة وإله الإنجيل.

ثانياً: أن المسيحيين يعترفون بأسفار العهد القديم ويقرأونها ويجلونها ويعترفون أنها كلمات الله وأنفاسه التي أوحى بها لأنبيائه القديسين.

ثالثاً: ضمّت الكنيسة التوراة للأناجيل وبقية أسفار العهد

الجديد في كتاب واحد، لأن الرُّوح القُدُس الذي أوحى بهذه وتلك هو واحد، فقد تكلّم أُناس الله القديسون قديماً وحديثاً مسوقين من الرُّوح القُدُس.

رابعاً: العهد القديم هو بمثابة أساسات البناء والمسيحية هى البناء، أو هو بمثابة جذور الشجرة، والشجرة هى المسيحية، وأن العهد الجديد مستور في العهد القديم، والعهد القديم مشروح في العهد الجديد ..

أخذ "**ديمتري**" يُنصت ويتعجّب، ففكرته عن المسيحيين غير هذه تماماً، وطالما حذّره والده منهم، وفي بساطة أخذ يسأل ويصا عن مُعتقداته في المسيحيين: **لماذا تذبحون الأطفال وتشربون دمائهم ؟**

ويصا: هل رأيت هذا بعينيك؟

ديمتري: لا، ولكنني أثق فيمن أخبرني بهذا.

ويصا: إن كان الإنجيل يوصينا بأن لا نغضب على أحد باطلاً، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً، وأوصانا بمحبة الجميع حتى الأعداء والمسيئين لنا، وقد أحب السيد المسيح له المجد الأطفال وقال دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأن لِمثل هؤلاء ملكوت السموات، فكيف يتّفق هذا مع اتهامنا بذبح الأطفال ؟!

ديمتري: ولماذا تجتمعون في السراديب والكهوف والأماكن المُنعزلة لترتكبوا الفجور بينما الوصية تقول "لا تزنِ" ؟

ويصا: هل أنت رأيت هذا بعينك ؟

ديمتري: لا، ولكنني أثق فيمن أخبرني بهذا.

ويصا: الذي أخبرك بهذا هو الذي أخبرك بأننا نذبح الأطفال ونشرب دمائهم، لكن يجب أن تُحكِّم العقل .. ادرس الإنجيل الذي أوصانا بأن كل من نظر لامرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فإن كان الإنجيل يُحذِّرنا من النظرة الشريرة فكيف نصنع هذا الشر العظيم. أمّا سبب اجتماعاتنا في الكهوف والسراديب والمقابر والأماكن المُنعزلة فلأن الإمبراطورية تُحرّم عبادتنا.

ديمتري: ولماذا تتوجس الإمبراطورية الرومانية منكم؟ ولماذا تتعقبكم؟ ولماذا تأمر بتعذيبكم ونفيكم وقتلكم؟ ولماذا..

وإذ بإسكندر أحد الخدام الأمناء يمر بحي الميدان (الميناء) ويلمح عم "**ويصا**" التاجر الأمين فيسرع ويسلم عليه باحترام زائد، ويطلب منه عم "**ويصا**" الحضور إلى متجره ليتسلّم ملابس العيد، فعيد الميلاد على الأبواب، وقد اعتاد

"**ويصا**" توريد كم ليس بقليل من الملابس الشتوية في عيد الميلاد، والملابس الصيفية في عيد القيامة للكنيسة، بلا مقابل، فإن هذه الملابس توزّع مجاناً للفقراء والمحتاجين، وتعرَّف "**إسكندر**" على "**ديمتري**" وجرى الحديث بين الثلاثة حلواً عذباً مُستقيماً، حتى شعر "**ديمتري**" أنه وسط إخوته، وأنه قريب جداً من "**إسكندر**" وكأنه يعرفه من أمد بعيد، فإن رسالة الحب القلبية التي أرسلها "**إسكندر**" وجدت صدى كبير في قلب "**ديمتري**" فكل منهما يتميّز بالبساطة والوضوح والشفافية.

وقال "**ويصا**" ضاحكاً: هل تصدِّق يا إسكندر أن الأخ "**ديمتري**" يظن أننا نذبح الأطفال ونرتشف دمائهم، وأننا نجتمع في الأماكن المُنعزلة رجالاً ونساءً لنُمارِس الفجور .. ضحك "**إسكندر**" وقال: إذاً ليأتِ "**ديمتري**" معنا اليوم، لحضور اجتماع الشماس "**بطرس**" ليرى بعينيه ويسمع بأذنيه ماذا يحدث وماذا يدور في الاجتماع.

وضحك "**ديمتري**" وقال: الحقيقة مع أن عم "**ويصا**" صحّح مفاهيمي، لكنني قَبِلت الدعوة لحضور اجتماعكم، فإن هذا ما يسعدني ويثلج قلبي.

وفي مساء ذات اليوم كان "**ديمتري**" جالساً وسط عدد من الرِّجال والنساء والأطفال مع "**أبونا ثيؤدوسيوس**" في بيت أنيانوس بحي راكوتي .. الجميع ينصتون إلى شاب وديع، ذو وجه مُشرق، تبدو على محياه النعمة والسلام، وهو يتحدّث في هدوء عن الشهادة للمسيح، وركّز حديثه على الشهادة بالدم مُستعرِضاً نماذج من حياة الشهداء الأبطال، وشكر الله كثيراً الذي أنعم على شعبه في هذه الأيام بهدوء نسبي .. لقد أرسل الإمبراطور "**فالريان**" (٢٥٣ ـ ٢٦٠م) لمجلس الشيوخ أمراً يُقضي بإعدام الإكليروس، وتجريد أعضاء مجلس الشيوخ المسيحيين والرِّجال البارزين والفرسان من ألقابهم وممتلكاتهم، وإن أصرّوا على مسيحيتهم تُبتر رؤوسهم، وقد جدَّد "**أوريليان**" (٢٧٠ ـ ٢٧٥م) أمر "**فالريان**" أمّا في هذه الأيام فأنه منذ عام ٢٧٥م إلى ٢٨٤م اعتلى عرش روما ستة أباطرة وانشغلوا بالصراع على العرش، فتميّزت هذه الفترة بالهدوء النسبي. كما أن "**دقلديانوس**" الذي اعتلى العرش سنة ٢٨٤م وبدأ حملة اصلاحية كبرى في كل المجالات للآن لم يُصدِر منه أمر ما يُسيء للمسيحيين. ثم تطرّق الشماس المُعلّم "**بطرس**" إلى موضوع هام، وهو: **لماذا اضطهد الأباطرة الرومان المسيحيين،**

فنظر "**ديمتري**" إلى "**ويصا**" لأن هذا محور السؤال الذي طرحه "**ديمتري**" وإذ أخذهم الحديث لم يجب "**ويصا**" عليه، **وذكر الشماس "بطرس" خمسة أسباب لهذا الاضطهاد الشرس الموجّه للمسيحيين:**

أولاً: تغلغلت العقيدة الوثنية في نفوس الوثنيين من بُسطاء وحكماء، حتى أنهم يُقدِّمون أطفالهم ذبائح بشرية على مذابح الآلهة الوثنية لاسترضائها من أجل الأمطار والزروع والثمار والحصاد والأمن والأمان والنُّصرة على الأعداء، ويصحب الجيش الروماني الكهنة في الحروب يستخيرون الآلهة، وفي قاعة مجلس الشيوخ الروماني هناك مذبحاً يُقدِّمون عليه التقدِمات والسكائب مُعتقدين أن الآلهة تحضر معهم اجتماعاتهم، وقبل أن يجلس "**القضاة**" على منصاتهم يلتمسون الحكمة من آلهتهم التي لا تسمع ولا تنظر، فالعبادة الوثنية تغلغلت في كل مرافق الدولة الرومانية كخيوط النسيج المغزولة معاً، وعظَّم الوثنيون آلهتهم العديدة، وأقاموا تماثيلهم في المعابد وخارجها، وهؤلاء يعلمون أننا لا نعترف بهذه الآلهة المُزيّفة، فخلْف كل وثن شيطان، ولأننا نؤمن بالإله الواحد الحق خالق السماء وكل ما فيها والأرض وما عليها، ولا نؤمن بأبولون وجوبتير

وزيوس وسيرابيس وإيزيس والعجل أبيس والبقرة حتحور والكلب أنوبيس والكبش أمون **لذلك يتهموننا بالإلحاد**، وسيظل الصراع قائماً بين الشر والخير والظلمة والنور.

ثانياً: يُطالبنا الرومان بتأليه الأباطرة .. فكيف نؤلّه البشر؟! .. نحن لا نشرك بالله الواحد أحداً .. انظروا إلى تصرُّفات هؤلاء الأباطرة .. "**تيرون**" الذي أحرق روما وأتهم المسيحيين بهذا فجعل من أجسادهم مشاعل تنير ظلمة روما .. إنه لم يصل إلى درجة الإنسان السوي فكيف نؤلّهه ؟! .. الإمبراطور "**كاليجولا**" في القرن الأول الميلادي، وكان هذا الإمبراطور ضخم الجسم، غائر العينين، كثيف الشعر، مُصاباً بالصرع والشذوذ الجنسي، ألزم أعضاء مجلس الشيوخ بتقبيل قدميه، اعتدى على شقيقاته جنسياً، وخطف الزوجات الجميلات من أزواجهن، وكان يستحم بالعطور ولا يكف عن النهم، أقام لجواده مزوداً من العاج داخل حظيرة من رخام، ألقى بخصومه للوحوش، ونشر بعضهم بمناشير الحديد، وألزم جدته "أنطونيا" أن تقتل نفسها، أمر بإعدام فيلسوف روما "**سنيكا**" وعندما علم أنه مُصاب بمرض خطير لم يعدمه وتركه يتعذّب في مرضه [١٤] .. هل هذا إله يُعبد ؟!!

عندما حوكم الشهيد "**أكاتيوس**" Acatius سأله "**الحاكم**":

هل تحب أُمراءنا كإنسان يعيش بموجب القانون الروماني؟

أكاتيوس: من ذا الذي يحب الإمبراطور بصورة أفضل من المسيحيين؟! إننا نصلّي عنه دائماً أن يتمتّع بحياة مديدة، وحكم عادل، وسلام في عهده، وأن توفّق جيوشه، وأن يوفّق في العالم.

الحاكم: هذا حسن، ولكن أليس من الأفضل أن تظهر طاعتك للإمبراطور وتضحّي له معنا إكراماً له؟

أكاتيوس: إني أُصلّي لإلهي لأجل الإمبراطور، أمّا تقديم القرابين إكراماً له فيجب ألاّ أُقدّمها أو أُطالب بها، إذ كيف تعطى الكرامات الإلهية للإنسان (١٥).

ثالثاً: يُسخّر الأباطرة الدين لأغراضهم، ويساعدهم في هذا الكهنة، وكل منهم يؤيّد الآخر، لأن هدفهم واحد وهو إخضاع الشعوب لرغباتهم، بينما **نؤمن نحن بفصل الدين عن الدولة**، وقال العلاّمة "**ترتليانوس**" تعليقاً على قول السيد المسيح أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله: "*إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وبعبارة أخرى أن صورة قيصر هى فوق العملة المالية لذلك من حقه أن يطالب بالمال، وصورة الله هى في الإيمان، والله له على ذويه حق مساوٍ. أعطوا إذاً*

مالكم لقيصر وأنفسكم لله. لأنه لو كان كل شيء لقيصر فماذا سيتبقى لله ؟!" [١٦].

رابعاً: لقد حرمونا من حقوقنا في الوظائف، وحرمونا من الذهاب للحمامات العامة، وحرمونا من أمور كثيرة أهمها حقنا في العبادة، وعندما التجأنا إلى السراديب والكهوف والمقابر والأماكن المعزولة والبيوت لنعبد إلهنا، **اتهمونا بأننا جماعات سريّة غامضة نمارس نشاطاً سريّاً ضد الدولة، وإننا نمارس السحر** ممّا يثير غضب آلهتهم فترسل الأوبئة والعواصف والفيضانات. كما شوّهوا صورتنا لأننا لا نشاركهم احتفالاتهم الدينية، ونرفض الحلف بآلهتهم، ولا يقبلوننا لأننا نخالفهم الرأي فحياة الطهارة التي نعيشها تدين حياة الدّنس التي يعيشونها .. ننظر للاتضاع على أنه فضيلة بينما يعتبرونه مذلّة ورذيلة .. كل منهم يبحث عن الأخذ وشعاره "هل من مزيد؟" بينما نؤمن نحن بأن العطاء مغبوط عن الأخذ .. صُنَّاع التماثيل والذي يتاجرون فيها يصبون نقمتهم علينا لأننا ننهي عن عبادتها .. فشتان بين نظرتنا ونظرتهم، وفلسفتنا وفلسفتهم، حتى عندما يحاكموننا لا يحكمون علينا بالعدل، بل يتأثر قضائهم بالصوت المُرتفع، ففي محاكمة "**بوليكاريوس**" أسقف أزمير، عندما ضجّت القاعة وصرخ

الغوغاء مطالبين بحرقه حيّاً قبل أن تنتهي المحاكمة، لبّى القاضي طلبهم.

خامساً: إنهم يرفضون المساواة بين البشر، فبينما ننظر نحن للعبد على أنه إنسان ينظرون هم له على أنه شيء، ولا حق له في أي شيء. وفي سنة ٧٣ ق.م ثار العبيد في إيطاليا بقيادة "**سبارتاكوس**" وكان عددهم أكثر من ١٢٠ ألفاً، فذبح الرومان منهم من ذبحوا، وصلبوا من صلبوا حتى اصطفت الصلبان على جانبي الطريق الأبياني على امتداد أميال طويلة من روما إلى أقصى الجنوب، وتُركت أجسادهم العارية أياماً طويلة تنهشها الطيور الجارحة، لكيما يكونوا عبرة للعبيد رفقاءهم. وفي سنة ١٦٧م أَسَرت روما من أهل أبيروس ١٥٠ ألفاً باعتهم عبيداً، وكذلك في سنة ١٧٧م أَسَرت من أهل سردينيا ١٤٠ ألفاً باعتهم عبيداً، بينما في المسيحية لا فرق بين عبد وحُرّ، فربٌ واحدٌ للكل، وجميعنا نصلي معاً "***يا أبانا الذي في السموات***" وقد أوصانا الإنجيل بالرأفة على العبيد قائلاً: "**وأنتم أيها السادةُ، افعلوا لهُم هذه الأمور، تاركين التهديد، عالمينَ أنَّ سيِّدكُم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده مُحاباة**" (أفسس ٦ : ٩).

انتهى الاجتماع بالصلاة والانسكاب أمام الله، ثم أعطى "**أبونا ثيؤدوسيوس**" البركة للحاضرين، وأحسّ "**ديمتري**" أن هؤلاء القوم هم قريبون جداً من يهوه، ويشعرون أن يهوه هو أب لهم يخاطبونه بدالّة كبيرة، كما لاحظ "**ديمتري**" العلاقة الحميمة التي تربط هذا المجتمع الأخوي، فجميعهم يسألون عمّن تغيَّب عنهم، وتجد فريقاً منهم يتوجّه لزيارة مريض، وفريق يذهب ليُقدِّم واجب العزاء، وفريق يهتم بالمحتاجين للمساعدة .. إنه مجتمع عامل نشط، لا مكان للتراخي والكسل فيه .. مجتمع حي، لا رائحة للموت فيه .. مجتمع مريح للنفس المنهكة، واختبر "**ديمتري**" مشاعر عروس النشيد "**تحت ظلّه اشتهيتُ أن أجلس**" (نش ٢ : ٣)، ووجد "**ديمتري**" ترحيباً حاراً صادقاً من الشماس الرائع "**بطرس**"، ومن أبيه "**القس ثيؤدوسيوس**"، وتعرَّف "**ديمتري**" على "**أرشي**" و"**ميناس**" أصدقاء إسكندر، وأحسّ براحة كبيرة في هذا الجو الأُسري الكنسي، وغبّط هذه الجماعة الطاهرة النقيّة السمائية، وشعر بالندم أنه ظن فيها السوء كما حذّره أبوه من قبل، ومع هذا فقد التمس العُذر لأبيه الذي يريد أن يحتفظ بابنه في أحضان ديانته اليهودية، فلا يتركه مثلما فعل بعض الشباب اليهودي الذين سبتهم المسيحية بتعاليمها السامية.

ويوماً فيوماً يتسلّم "**ديمتري**" مع فريقه أجزاء من طلبية الملابس البحرية من التاجر الأمين "**ويصا**" وقد وثق فيه ثقة تامّة، فقوله مُصدَّق تماماً، ولم يعُد "**ديمتري**" يُدقِّق في الفحص والعدد إلاَّ من قُبيل المراجعة النهائية، ويوماً فيوماً يندمج "**ديمتري**" في هذا الجو المسيحي حتى صار كواحد من هذا المجتمع الإنساني .. سأل عن الكثير والكثير من الأمور التعليمية والإيمانية، وأُعجب بمبادئ المسيحية وتعاليم الإنجيل التي تدعو للتسامح والمغفرة والعطاء ومحبة الأعداء ومباركتهم والصلاة من أجلهم، وأدرك أن الشريعة المسيحية هي كمال الشريعة الموسوية .. غير أن "**ديمتري**" الذي يُعمِل عقله في كل شيء لم يقدر أن يقبل تنازل "**يهوه**" ليصير إنساناً، وليس هذا فقط بل يُعرَّى ويُضرَب ويُلطَم ويُهان ويُجلَد ويُعلَّق على صليب العار بينما تقول الشريعة اليهودية "***ملعون كل من عُلِّق على خشبة***" فكيف يصير "**يهوه**" مصدر كل البركات لعنة ؟! .. أي عقل يقبل هذا ؟!!

وفشلت محاولات الأصدقاء والشماس القدير "**بطرس**" في اقناع "**ديمتري**" بقضية التجسد والفداء .. حقاً قال بولس الرسول " **نحن نكرزُ بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرةً، ولليونانيين جهالةً**" (١ كو ١ : ٢٣) .. لقد قبِل "**ديمتري**" المسيحية وأُعجب

بها في جميع جوانبها إلاَّ هذا الجانب، وكثيراً ما كان ينتابه الأسى عندما يَعلم أنه بهذا لا يعُد مسيحياً، لأنه لم ينل الصبغة المُقدَّسة وغير مسموح له بالتناول من الأسرار المُقدَّسة. ولأن "**ديمتري**" كان صادقاً مع نفسه لا يعرف الكذب ولا الالتواء لذلك ظلّ يحتمل هذا الوضع الصعب، وكثيراً ما كان يقول: ياربّ لا أنا يهودي ولا أنا مسيحي، فمَنْ أكون أنا ؟! ..

لماذا ياربّ لم تسلك طريقاً آخر غير طريق التجسُّد والصليب ؟! ..

لماذا لم تسلك طريقاً يقبله الإنسان العقلاني ؟!

وكم تبلغ سعادة "**ديمتري**" عندما يستمع لمحاضرات الشماس المُعلّم "**بطرس**" في المدرسة اللاهوتية وهو يتحدّث ويفيض عن رجال العهد القديم، فهؤلاء آباؤه الذين يفخر بهم، هم أولاد إبراهيم وهو ابن إبراهيم، وبني جلدته، هم الذين حافظوا على أقوال الله، وهذا يتفق مع قول الإنجيل "**إذاً ما هو فضلُ اليهودي .. كثيرٌ على كلِّ وجهٍ! أمَّا أولاً فلأنَّهم اُستؤمنوا على أقوال اللَّه**" (رو٣ : ١، ٢) .. نظرة "**ديمتري**" للمُعلّم الشماس "**بطرس**" هى نظرة إعجاب وتقدير، ونظرته لأبيه "**القس ثيؤدوسيوس**" هى نظرة حُب كبير، وعندما أُتيحت

الفرصة لديمتري للقاء "**البابا ثاؤنا**" كم أُعجب بذلك الشيخ الوقور السماوي الذي يفيض وجهه بالبُشر والسلام .. الكل قَبِلوا "**ديمتري**" كما هو، ولم يرفضوه بسبب نقص إيمانه، بل قَبِلوه وقَبِلوا تبرُّعاته السّخية في مشروع بناء أول كاتدرائية في حي راكوتي.

وعندما انقطع "**ديمتري**" عن الاجتماعات لمدة أسبوع، ظل "**إسكندر**" يستقصي الأمر عن طريق التاجر الأمين "**ويصا**" واستطاع أن يصل إلى عنوانه في الحي اليهودي، وذهب ليطمئن عليه، فعرف أن أبوه "**منسّى**" قد فارق الحياة، وصار "**ديمتري**" مُثقَّل بهموم الأسرة، وهموم التجارة الكبيرة والمعاملات المالية التي تركها له أبوه بدون سابق إنذار، إذ توفّي فجأة دون أن يمرض أو يلازم الفراش، وبدون أيّة مُقدّمات، فقط انتابته موجة عارمة من الاكتئاب كالتي انتابت "**ديمتري**" يوم استشهد توأمه "**صفنيا**"، وصار يتمتم بكلمات رأها الجميع بلا معنى ولا مبنى ولا مغزى، إذ كان يقول ويكرّر بصوت آسيف "***أبوه قتله يا ولداه*** " حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ، لذلك كانت الصدمة قوية على كل أفراد الأسرة الذين خيّم عليهم حزن مُطبق بلا رجاء.

وعاد "**إسكندر**" ليخبر "**أبونا ثيؤدوسيوس**" الذي تأثر جداً وأعرب عن رغبته للذهاب لديمتري لتعزيته، ولكن كيف يدخل الحي اليهودي الذي يتميّز بعداء شرس ضد المسيحيين، ولا سيما الكهنة، وفي بساطته استشار "**البابا ثاؤنا**"، وكم كانت دهشته عندما أخبره قداسة البابا بأنه سيأتي معه، وعندما علم "**إسكندر**" أدرك أن هناك سرّ لا يدركه، فالبابا قلّما يذهب لزيارة أحد أولاده إلاّ إذا كان أحد يُعاني مرض الموت أو آخر يُعاني من مشكلة عجز الآباء عن حلِّها ..

ما باله يريد أن يقطع كل هذه المسافة من غرب إسكندرية لشرقها نحو خمسة كيلومترات ذهاباً وإياباً ليزور بيت إنسان يهودي في الحي اليهودي ؟!! وهمس "**أبونا ثيؤدوسيوس**" قائلاً لنفسه: لم يُسمع قط أن بابا الإسكندرية دخل الحي اليهودي المعروف بشراسة العداء للمسيحيين .. "**مارمرقس**" عندما التقى "**أنيانوس**" التقاه في حي راكوتي، ولم يفكّر "**إسكندر**" ولا "**أبونا ثيؤدوسيوس**" في سؤال البابا عن الدافع لهذه المغامرة غير المحمودة العواقب .. سار البابا مع الكاهن والخادم في "**الشارع الكانوبي**" يمرّون على الحي، تلو الحي حتى وصلوا إلى أعتاب الحي اليهودي.

وما أن بلغت خُطى البابا ومن معه الحي اليهودي إلاّ وسيدة يهودية مُسنّة تخرج من أحد الأزقّة وتفاجئ بهم، فتصرخ في وجوههم وتصيح "*يا عِباد المصلوب .. يا عِباد المصلوب*" وإذ بصبية يتجمّعون على صوت العجوز، وكل منهم يمسك في يده كعكة على شكل نجمة ثمانية الأطراف، قد خبزته أمهاتهم تقدِمة لعشتار (عشتاروت) إلهة السموات، والتي اعتبرها اليونانيون أنها "فينوس" أو "أفروديت" إلهة الحُب، فإن اليهود الذين نزلوا إلى مصر لم تكن عبادتهم نقية بل امتزجت بعبادة الأمم، وهذا ما عبّر عنه "**إرميا النبي**" قائلاً: " **الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجنّ العجين ليصنعنَ كعكاً لملكة السموات** " (إر ٧ : ١٨) وعندما نهاهم إرميا النبي وهو معهم في مصر، في عهد "**فرعون خفرع**" (٥٨٨ ـ ٥٦٩ ق.م)، عن هذه العبادة المرذولة، قالت النساء: " **من حين كففنا عن التبخير لملكة السموات وسَكب سكائب لها احتجنا إلى كلٍّ وفنينا بالسيف والجوع. وإذ كنا نُبخّر لملكة السموات ونسكُب لها سكائب فهل بدون رجالنا كنا نصنع لها كعكاً لنعبُدها ونسكب لها السكائب؟** " (إر ٤٤ : ١٨، ١٩) .. تجمّع الصبية وأحاطوا بالضيوف الغير مرغوب فيهم يهتفون "*يا عِباد المصلوب .. يا عِباد*

المصلوب " وبينما يحاول "**إسكندر**" أن يزجر هؤلاء الصبية، وإذا بالبابا يبتسم للأولاد ويقول لإسكندر "*اتركهم يا ابني .. هؤلاء مبسوطين .. اتركهم في انبساطهم*" وإذ برجلان عابران بالطريق وعِوضاً عن زجر الأولاد، فإذ بهما في آن واحد يبصقان على الأرض وهما يتمتمان "*أتباع الإله الملعون*" .. وهكذا قطع "**البابا ثاؤنا**" الطريق في الحي اليهودي من زقّة إلى زقّة، ومن إهانة إلى أخرى، وكأن موكب الصلب يتكرَّر من جيلٍ إلى جيلٍ، وإذ اقتربوا من بيت ديمتري و"**ديمتري**" في بيته يستمع لهذه الأصوات المُزعجة، فيُسرع خارجاً مُستطلعاً الأمر فإذ ببعض الصبية يصيحون "*صلبنا إلهكم وقتلناه*" ويُفاجئ بالبابا ثاؤنا، وأيّة علامات من الغضب أو الضيق والضجر لا تبدو عليه، فينفعل على الأولاد جداً، فيسرعون بالهرب، وينحني أمام البابا مُقبلاً يديه وكذلك أبونا ثيؤدوسيوس، وهو لا يعلم ماذا يفعل غير تقديم اعتذارات مُتلاحقة سريعة بصورة أو بأخرى "*اغفر لنا يا سيدنا .. سامحنا يا سيدنا .. هذا هو التعصُّب المقيت الذي يعيشه شعبنا ..*" .

وتبارك البيت وامتلأ سلاماً بخطى أقدام قداسة البابا، وإذ بالأم "**سوسنا**" عِوضاً عن أن تُفاجئ بحضور اثنين من

كبار المسيحيين إلى بيتها، وعِوضاً عن أن تتفوّه بألفاظ نابية عَلناً أو سِرّاً، فإذ بها تُرحِّب بهما وكأنها كانت تنتظر هذه الزيارة في شغف، وزادت الترحيب أكثر بالبابا ثاؤنا وكأنها تدرك أنه هو الأكبر رتبة بين جميع المسيحيين، وجاءت الأخوات "**راحيل**"، و"**دينه**"، و"**ميراب**" يرتدين ملابس الحداد مثل أمهم، وإذا رأين حفاوة الأم بالضيوف أظهرن رضاءهن وسرورهن بهذه الزيارة غير المتوقَّعة، بينما وقف "**ديمتري**" مشدوهاً .. ماذا يحدث، لم أُعرّف أمي بمَنْ هؤلاء فكيف تستقبلهم بهذه الحفاوة البالغة وكأنها تعرفهم منذ أمد بعيد ؟!

جلس البابا وجلسوا حوله، أبناء وسط أب كبير القلب، يشعرون بالأمان والرعاية والحماية تحت جناحيه، فنظرات البابا وكلماته الحلوة خلقت فيهم هذا الإحساس.

سوسنا: بالأمس رأيتُ رجلاً بهي الطلعة على رأسه أشواك ومُعلّق على الصليب ونظر لي نظرة أعجز عن وصفها لِمَا فيها من حنان بالغ .. تطلّعت في عينيه فرأيت السموات بأمجادها، وسمعت همساته: "*سوسنا يا ابنتي .. لماذا تبتعدين بعيداً ؟!* " ..

سألته: من أنت يا سيّدي ؟

قــال: أنــا يســوع المســيح ابــن الله الحــي، ورأيتــك يــا ... (وأسعفها ديمتري: يا سيدنا) ورأيتك يا سيدنا راكع في خشوع أمام المصلوب تصلِّي .. حدث هذا يا سيدنا وأنا لا أدري أكنتُ نائمة أم مُستيقظة ؟ ولا أدري ما رأيته حلماً أم رؤيا ؟

البابــا: "*اطمئنــي يــا ابنتــي فــإن الله يــدعوك وســيتمّم مشيئته، لأنني أنا أيضاً بالأمس عندما كنت أصلِّي سمعت صوتاً يقول لي: قُم واذهب مع أبونا ثيؤدوسيوس*".

فأطعت وإذ رأيت "**أبونا ثيؤدوسيوس**" جاء ليأخذ رأي في المجئ إليكم قلت له: "*أنا أيضاً سأذهب معكم لأن ديمتري غالي علينا*".

ولا أعلـم مـاذا سيُصـادفني ولا مـاذا ينتظرنـي .. وسـرح "**ديمتـري**" بخـاطره بعيـداً، وكأنـه يُنـاجي المصـلوب: "*كيـف يكون هذا ؟ يهوه إلهنا العظيم أيصلب ؟!!* ".

تلقـى "**أبونـا ثيؤدوسيـوس**" الأمـر ببسـاطة، وزالـت دهشـة "**إسكندر**" إذ انكشف أمامه سرّ رغبة البابا في قطع المسافة مـن غـرب المدينـة إلـى شـرقها، لأن للـرب خـراف فـي هـذا البيت اليهودي، وبـدأ البابـا يحكـي لـلأم وبناتهـا مـا سبق أن سمعه "**ديمتري**" من قبل .. قصة الحب الإلهي العجيب التي تجلّت في التجسُّد والموت على عود الصليب.

وفوجئ "**ديمتري**" بأُمّه تقول: "*أنا أؤمن يا سيدنا .. أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله الحي الذي جاء من أجل خلاص العالم .. هل يمكن أن تغطّسني أنا وبناتي يا سيدنا .. سمعت من أمي لكي يصير الإنسان مسيحياً لابد أن الكاهن يغطسه في الماء*".

ترى هل صلوات الشهيد "صفنيا" في قبر مُخلِّصنا الصالح أتت ثمارها !!

البابا: "*نعم يا ابنتي ستنالين مع بناتك سرّ العماد المُقدَّس لتحصلوا على الولادة الجديدة من الماء والروح القُدُس، ولكن يجب أن تقضين فترة مع الموعوظات لتتعلموا مبادئ الإيمان*".

وسُرَّت الأم بهذا، وهي تشكر من كل قلبها إله السماء الذي أرسل إليهم "**البابا ثاؤنا**"، فهو أب بكل معاني الأبوّة وسموّ معانيها .. جلسوا معه ساعات، ارتووا من الحُب الإلهي النابع من قلبه الصافي، وكلماته المُملَّحة بنعمة الروح القُدُس .. إنه حُب حقيقي، والحُب الحقيقي لا يمكن أن يُزيَّف .. وجه البابا البشوش طرد روح الحُزن المُفرط الذي خيَّم على البيت طوال الأيام الماضية، ومسح كل دمعة من عيونهم، وغرس في قلوبهم روح الرّضى والشكر، بل روح الفرح.

وقال "**ديمتري**" في نفسه: "*هذه الأم العظيمة تقبل الإيمان بين عشية وضحاها، وأنا من شهور أحاول ولا أنجح .. عاشرت هؤلاء القديسين وأكلت وشربت معهم وسمعت تعاليمهم في الاجتماعات وفي المدرسة اللاهوتية، ووقفت أُصلّي معهم، ومع كل هذا فما زال عقلي لا يقبل { يهوه ويصلب } .. إيه يا عقلي .. إلى متى تظلّ حجر عثرة أمام إيماني ؟! .. وحتى بعد رؤيا أمي فإن عقلي لا يخضع .. وماذا بعد يا ربي ؟!!*".

وترك "**قداسة البابا ثاؤنا**" هذا البيت المُبارَك بعد أن صلّى وبارَك المكان، ورشّه بالماء المُصلّى عليه، وانطلق "**ديمتري**" معهم بعضلاته المفتولة ورأسه التي يرفعها في شمم وكبرياء كضابط في الجيش الروماني، فاختلفت رحلة الإياب عن رحلة الذهاب تماماً، وخرجوا من الحي اليهودي بسلام، وأصرَّ "**ديمتري**" أن يصحبهم إلى "حي راكوتي"، ثم عاد إلى بيته وقد أزاح عن كاهله ثقلاً كبيراً، وبعد أن كان مهموماً بالأسرة وتجارة أبيه وأعماله المالية، بدأ يشعر بأن هناك من يقف بجواره يسنده، وشعر بالسلام تجاه مستقبله ومستقبل أمه وكل أخواته.

عاد "**قداسة البابا ثاؤنا**" إلى القلاية البابوية وطلب من "**أبونا ثيؤدوسيوس**" أن يُرسِل إليه ابنه "**بطرس**" وأن يحضر معه الأوراق وأدوات الكتابة، وسريعاً ما جلس الشماس المُعلّم "**بطرس**" أمام المنضدة وأدواته كاملة أمامه، كتلميذ ماهر أمام مُعلِّمه، وقد تميَّز بالخط الرائع الصافي سهل القراءة، كما أنه يتمتّع بموهبة التنسيق والتجميل في الكتابة، فتأتي كتاباته تُحفة فنية رائعة رسمتها يد فنان قدير بين خط صغير وكبير ومتوسط، وبدأ البابا يمليه الرسالة الأولى إلى "**لوسيان**" ناظر بيت الملك أو بمعنى آخر مدير الدائرة الخاصة بالإمبراطور، ففي هذه الأيام أصبح هناك تواجد حقيقي للموظفين المسيحيين في القصر الإمبراطوري، والإمبراطور العظيم "**دقلديانوس**" يقبل هذا بسرور:

" إن الراحة التي تتمتع بها الكنيسة الآن تعزى إلى سبب واحد فقط هو سلوك المسيحيين الحَسن وأعمالهم الممدوحة التي تضيء كالشمس في رابعة النهار فينعكس ضوءها أمام .. (غير المؤمنين) فتبهر أنظارهم، وبذلك يتمّجد أبانا الذي في السموات. أمَّا غرضنا الذي نرمي إليه والغاية القصوى التي نسعى خلفها هى أن نكون مسيحيين فعلاً لا بالاسم فقط، وأن نعمل أعمال المسيحيين الحقيقيين، لأنه إذا

كُنا نطلب مجد أنفُسنا الذاتي فنكون كمَنْ يطلب شيئاً تافهاً زائلاً لا فائدة منه. فإذاً يجب على كل مسيحي أن يهتم بمجد الله الآب وبمجد الله الابن الذي سُمِّر لأجلنا على خشبة الصليب وفدانا بدمه فداءً أبدياً لا يقوم بذهب أو بفضة.

*فلذلك أيها العزيز "**لوسيان**" لا أريد أن يُعرف عنك التباهي والفخر لأنك أهديت كثيرين في خدمة البلاط الملوكي إلى معرفة الحق، وأدخلتهم إلى حظيرة المسيح، بل بالأحرى بك أن تشكر الله الذي اختارك آلة نافعة للبنيان وجعلك واسطة خير لنفع الآخرين وأعطاك نعمة في عيني مولاك لحد تمكنت فيه من نشر كلمة الخلاص وإذاعة معرفة فادي المسيحيين وذلك لمجد اسمه وخلاص الكثيرين"* (١٧).

كما أوصى "**قداسة البابا ثاؤنا**" ابنه "**لوسيان**" من جهة حُسن اختيار أمين الخزانة، وأن يكون ماهراً في علم الحساب، عارفاً بمسك الدفاتر فلا يعتمد على ذاكرته، وأن تكون حساباته مُرتَّبة ومبوَّبة حتى يسهُل الإطلاع عليها وفحصها في وقت قصير، وتسجيل تاريخ الصرف، وبيان المصروف، والمكان الذي صرفت فيه.

وأيضاً أعطى "**قداسة البابا ثاؤنا**" توجيهاته لِمَا يكون عليه أمين الكتبخانة قائلاً: " *يجب على أمين الكتبخانة أن*

*يكـون عارفاً بمـا عنـده مـن الكُتـب والمُجلّدات وأن يفتقـدها ويفحصـها كل آونـة وأخرى ويستخدم أمهر النسّـاخ وأبرعهم لنسخ ما يحتـاج إليـه من الكتب الغير موجودة عنده. كذلك يلزمـه أن لا يرتئـي ويظـن أنـه لـيس لـه حاجـة إلـى الـدرس والمطالعـة أو الإلمام بمحتويات الكتب خصوصـاً التـي يميل إليها الإمبراطـور ويبحث عنها ويطلبها. ويتحتم عليه أيضـاً معرفـة أسماء الخطباء والشعراء والمؤرخين الذي نبغوا فـي العصـور الحالية والوقوف علـى مؤلفاتهم ومصنفاتهم وأقوالهم المـأثورة. وحيث أن الأمـين كثيراً مـا تضطره شئون وظيفتـه للمحادثـة مـع الإمبراطـور وإرشـاده إلـى الكُتب المهمـة التـي عنـده، فينبغـي لـه أن يـذكر أمامـه فـي أثنـاء حديثـه أهميـة الترجمة السبعينية للكتاب المُقدّس ونفعها وما فيها من الفائدة العظمـى، وأن يُفهّمـه أن هـذا الكتـاب كانت لـه منزلـة كبـرى عنـد "**بطليمـوس فيلادلفـوس**" الشـهير الـذي كـان يقدّره حق قدره"* (١٨).

وأعطـى "**قداسـة البابـا**" إرشاداته عن الكتب التـي يجـب قراءتهـا علـى مسـامع الإمبراطـور بصـوت جهـوري، كمـا أوصـى "أمين الكتبخانـة" بالاعتنـاء بالكتب القديمـة المنسوخة وأن يجلدها تجليداً حسناً، وأن يعمل كل ما من شأنه حفظها

من أيدي العبث، وأوصى أن الذي يقرأ كتاباً للإمبراطور يشير إلى أقوال وأعمال السيد المسيح، ممّا يقود للحديث عن الديانة المسيحية.

وكتب "**قداسة البابا ثاؤنا**" لأمين الثياب والملابس يوصيه بالاهتمام "*بمقدار الملابس المُسلّمة لعهدته ونوعها وماهيتها والأماكن الموضوعة فيها وتاريخ وصولها للمخزن واسم المُتعهّد الذي ورّدها وهل هى حسب الشروط أم لا، وضرورة افتقادها مراراً، ومعرفة موضع كل سلعة في الدولاب المخزونة فيه. وعلى الأمين أن يفعل كل هذا بتواضع وطول أناة لكي يتمّجد اسم المسيح حتى في مثل هذه الأعمال القليلة الأهمية*" (١٩).

وختم "**البابا ثاؤنا**" رسائله برسالة عامة إلى أبنائه بالقصر الإمبراطوري قائلاً: "*إن الله ينهاكم أن تبيعوا للآخرين شيئاً من مُتعلّقات القصر خلسة، أو أن تأخذوا رشوة لكي تقولوا للإمبراطور كلاماً ضد الحق. ابتعدوا عن الطمع والجشع اللذين يتمسّك بهما الوثنيون لا المسيحيون، واعلموا أن الربح القبيح والغش هما صفتان لا تلائمان من قبل المسيح، وعوّلوا على الاقتداء به، ذاك كان فقيراً مُعدماً. لا تتكلموا بشر فيما بينكم ولا تخرج كلمة قبيحة من أفواهكم، بل لتكن*

كل أعمالكم معروفة باللُّطف والتأدب مع العدل والحق، بذلك يتمّجد اسم ربنا وإلهنا يسوع المسيح فيكم وفي أعمالكم. تمّموا واجباتكم التي أُسندت إليكم بخوف من الله وبمحبة للإمبراطور وبغاية الدّقة والاجتهاد واعتبروا أن الأوامر التي تصدر لكم من مولاكم الذي لم يُسيء إلى أحد من رجال الله كأنها صادرة من الله نفسه لأنه مُقام منه، ولا يتقلّد السيف باطلاً. وأخيراً يا أبنائي الأعزاء البسوا الصبر كرداء وتمنطقوا بالفضيلة وامتلؤا بالرجاء والإيمان والمحبة" (٢٠).

وشدَّد الأب البطريرك على المسيحيين الذين يعملون في الدوائر الإمبراطورية الاهتمام بالنظافة وحسن الهندام، وأن تبدو على ملامحهم علامات الفرح والابتهاج والهيبة والوقار.

الفصل الرابع: النمر المجنَّح

لم تعُد الحياة كما كانت بالنسبة لأسرة ديمتري في الحي اليهودي، فبعد زيارة البابا ثاؤنا وأبونا ثيؤدوسيوس لهذه الأسرة لم يأخذ اليهود الأمر ببساطة، وإنها مجرّد زيارة للمجاملة والتعزية ويشكرون للبابا حُسن صنيعه، ولكن يوماً فيوماً أُشيعت الأخبار حول هذه الأسرة إنهم يحبّون المسيحيين، وأن المسيحيون يجاملونهم، وأنهم في طريقهم إلى المسيحية، فبدأت النظرات إليهم تختلف عمّا قبل، وانقلبت نظرات الحُبّ والتعاطف والمُساندة إلى نظرات حقد وكراهية وتخوين، ولم تعُد قلوب اليهود تجاه هذه الأسرة مثل أمس وأول من أمس، بل أنهم قاطعوا تجارة المرحوم منسّى، فبعد أن كان المكان يزدحم بالمشترين صار فارغاً خاوياً من أي مشترٍ كبيراً أم صغيراً، واضطر "**ديمتري**" أن يُخفِّض الأسعار أكثر من أي مَتجر آخر، فبدأ قليلون يقبلون خلسة على المحل وهم لا يودون أن أحداً يراهم، وعلى كلٍّ فقد أُصيبت تجارتهم بكساد كبير، وعندما استشار "**ديمتري**" أبونا ثيؤدوسيوس في الأمر، أشار عليه أبونا بأنه لو أمكن بيع المنزل والمحل التجاري بالحي اليهودي والهجرة إلى حي

راكوتي فإن هذا سيحل المشكلة، وقد كان، فوجدوا راحة وسلاماً ونجاحاً، ولم يكن هناك أي شيء آخر يكض مضجعهم غير انقطاع أخبار صفنيا عنهم، وكلّما أقبلت مجموعة من أورشليم يسرعون بسؤالهم دون جدوى.

وفي صباح يوم مشمس من أيام شهر يناير (طوبه) سنة ٢٩٠م ترك "**إسكندر**" ورفقاؤه حي راكوتي خلفهم وشقوا طريقهم للتنزُّه بحي فاروس عبر "**الشارع الكانوبي**" و"**طريق الهيباستاديوم**" وقد بدأت الإسكندرية المدينة الإغريقية مدينة العلم والجمال والفن والثقافة، في أبهج صورة تليق بعروس البحر المتوسط بالرغم من كل النكبات التي حلّت بها وبسكانها عبر مئات السنين، وفي الطريق دار الحديث بينهم:

إسكندر: بالأمس عشنا لمدة ثلاث ساعات مع الشماس المُعلّم "**بطرس**" حول الرَّجُل المحبوب دانيال، وقد أدركت مدى غزارة علم هذا الشاب، ومدى عمل النعمة فيه، وتذكّرت قول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: "***لا يستهن أحد بحداثتك***". والحقيقة أنني منذ الأمس وأنا منهمك برؤيا دانيال (دا ٧) ومقارنتها بحلم نبوخذ نصر (دا ٢) .. دانيال الذي أعطاه الله تفسير الأحلام للملوك، أعطاه هذه الرؤية

التي فسرها له الملاك، وجاءت "**رؤيا دانيال**" تحمل نفس معنى ومغزى "**حلم نبوخذ نصر**"، فإن قديم الأيام يعلن لعبيده ماذا سيكون في مستقبل الأيام التي نعيش فيها الآن بعد مرور نحو ألف عام من هذه الرؤيا وذاك الحلم .. رأى "**نبوخذ نصر**" تمثال لرَجُل عظيم بهي، وهذا التمثال يعبّر عن نظرة نبوخذ نصر البشرية، فهو كرجُل سياسة رأى الممالك في قوّتها وسُلطتها وغناها وعظمتها، **ورأى السيد المسيح كحجر صغير قُطع بدون يدين وحطّم هذا التمثال العظيم وسحقه**، وفي هذا إشارة إلى نمو المسيحية وأنها ستنتشر في العالم كله بعد انتهاء الإمبراطورية الرومانية. أمّا "**دانيال**" الرَّجُل المحبوب فقد رأى تلك الممالك في شكل أربعة حيوانات مُفترسة جائعة لأنها تفتقر لمعرفة الله، فما رآه دانيال يعبر عن الجانب الأخلاقي والروحي لتلك الممالك، **وقد رأى السيد المسيح ابن الإنسان صاحب السُّلطة والملكوت الذي تتعبّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة**، فسُلطانه سُلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض .. **أليس هذا يطمئننا أن أبواب الجحيم له تقوى عليها ؟!.**

ديمتري: رأى "**نبوخذ نصر**" في حلمه تمثالاً عظيماً له رأس **من ذهب** إشارة إلى مملكته، مملكة بابل العظيمة،

وصدره وذراعاه **من فضة** إشارة لمملكة فارس ومادي، **وبطنه وفخذه من نحاس** إشارة لمملكة اليونان، **وساقاه من حديد، وقدماه من حديد مع خزف** إشارة للإمبراطورية الرومانية واختلاطها بشعوب العالم، ولكن الحديد ظل حديداً والخزف خزفاً، فانفرد الرومان برعويتهم الرومانية، وقد احتسبوا بقية الشعوب خزفاً.

ورأى "**دانيال**" النبي الرياح تهُب على البحر، فيصعد منه أربعة حيوانات عظيمة. الأول **كالأسد وله جناحا نسر،** وعندما وقف على الأرض صار كإنسان، والثاني **في شبه الدب** بين أسنانه ثلاثة أضلع، والثالث **مثل النمر وله أربعة أجنحة طائر وله أربعة رؤوس** وأُعطي سُلطاناً، والرابع **حيوان هائل وقوي وشديد جداً أسنانه من حديد**، فأكل وسَحق وداس الباقي برجليه، فهل هناك تشابه بين رؤيا دانيال هذه وحلم نبوخذ نصر ؟

إسكندر: أكد الله لدانيال نفس الرؤيا، فرأى الرياح الأربع تهجم على البحر الكبير، فحدود الممالك المُتعاقبة تدور أحداثها في حوض هذا البحر المتوسط، و**الحيوان الأول** الذي بشكل الأسد وله جناحا النسر يشير لمملكة بابل، فهو يقابل رأس التمثال الذهب في حلم نبوخذ نصر، و**الحيوان**

الثاني الشبيه بالدب وبين أسنانه ثلاثة أضلع فهو يشير إلى مملكة فارس ومادي وهو يقابل صدر التمثال وذراعاه المصنوعة من فضة في حلم نبوخذ نصر، وكلنا يعرف ماذا فعل الفرس بمصرنا الحبيبة وشعبنا المطحون، و**الحيوان الثالث** الشبيه بالنمر المجنَّح سريع الحركة فهو يشير للإسكندر الأكبر، ويقابله البطن والفخذ والمصنوعان من نُحاس في حلم نبوخذ نصر. لقد فتح الإسكندر العالم كله في نحو عشر سنوات، ونحن ندين له بالولاء لأنه عامل أجدادنا مُعاملة حسنة، وعندما مات انقسمت مملكته إلى أربعة ممالك وهو ما رآه دانيال أن هذا النمر له أربعة رؤوس هى:

١ ـ مملكة البطالمة حيث ملك بطليموس الأول لاجوس على مصر وفلسطين.

٢ ـ المملكة السلوقية حيث ملك سلوقوس نيكاتور على سوريا وفارس.

٣ ـ مملكة تراكيا حيث ملك ليسيماخوس على أسيا الصغرى وتركيا.

٤ ـ المملكة المقدونية حيث ملك كاسندر على مقدونيا وبلاد اليونان.

و**الحيــوان الرابـــع** الهائـل القـوي ذو الأسـنان الحديديــة، ويقابـل السـاقين والقدمين فـي تمثـال نبوخذ نصـر، فهـذا هـو مملكة الرومان التي قاسينا ومازلنا نقاسي منها الأمرّين، وقد سيطرت على العالم كله وأذلّته وامتصت دمائه، فثلث الغلال التـي تأكلهـا رومـا عاصـمة الإمبراطوريـة تغتصـب من مصـر بلا مقابل، ولكن كما يبدو أننا نعيش في السنين الأخيرة لهذه الإمبراطورية.

أرشــي: حقيقـة أننـي أُعجِبـت كثيـراً بشخصـية الإسـكندر المقدونـي، وذهبـت لمكتبـة الإسكندرية أُمّ المكتبات فـي العـالم كلــه وقـرأت كُتـب عديـدة عنــه وعـن مملكـة البطالمـة التــي حَكَمت مصرنا الحبيبة (٣٢٣ ـ ٣١ ق.م).

مينــاس: وهـل تخبرنــا يــا أرشــي ولــو باختصــار عــن شخصية ذاك النمر المجنَّح الجبار سريع الحركة ؟

أرشي: وُلِد "**الإسكندر**" في "بيلا" إحدى مدن مقدونيا يوم ١٩ يوليو ٣٥٦ ق.م، وأبيـه هـو "**فيليب**" ملك مقدونيا، وأمـه "**أوليمبيا**" واسم "**إسكندر**" أي مسـاعد النـاس، فتربـى ونشـأ فـي القصـر الملكـي، وفـي الثالثة عشـر من عمره تهذَّب علـى يد الفيلســوف اليونانـــي "أرســطو" صــاحب كتــابي "الأخــلاق" و"السياسـة"، وفـي السـابعة عشرة من عمره أشركه أبوه الملك

فيليب في الحروب فتمرَّس بالفنون العسكرية، وأخذ عن أبيه الشجاعة والحزم، كما تأثر بتعاليم أرسطو في الفلسفة والسياسة، ونشأ رَجُلاً شديد التديّن واسع الخيال مُعتقداً أنه ابن الإله "**زيوس**" وقد اتّسمت حياته بالحكمة واحترام الغير .. رأى الملك فيليب أن بلاده اليونان مُنقسمة إلى ولايات صغيرة تتطاحن فيما بينها، بينما الدولة الفارسية بجيوشها الجرارة تُهدّدها، فعمل على توحيد هذه الولايات، وفي سنة ٣٣٦ ق.م أُغتيل الملك فيليب، وترك ابنه الإسكندر خَلفاً له ولم يتعدّى عمره العشرين عاماً، ووجد "**الإسكندر**" نفسه مُحاطاً بمخاطر واضطرابات من كل جانب، ولكن حُنْكة الإسكندر السياسية والعسكرية مكّنته من إقرار أركان مُلكه، بل وسريعاً ما زحف بجيشه من مُشاة وفرسان لصد الزحف الفارسي، وعَبَرَ بوغاز هلسبنت (الدردنيل) واشتبك مع بعض القوات الفارسية الجبارة فقهرها بالقرب من شواطئ مرمرة، وعند مدينة "**إبسوس**" على الحدود السويسرية التقى "**الإسكندر**" بملك الفرس "**دارا الثالث**" (داريوس) فهزمه، وتشتّت جيش دارا، وفر "**دارا**" إلى بابل. أمّا "**الإسكندر**" فلم يتتبعه مُفضّلاً الاستيلاء على شواطئ البحر المتوسط الشرقية أولاً، فحاصر مدينة "**صور**" طويلاً،

وعندما نجح في الإستيلاء عليها أحرقها بالنار، ثم تقدّم بالمشاة والفرسان نحو حدود مصر الشرقية.

إسكندر: عفواً يا أرشي للمقاطعة، فلا ينبغي أن يعبر علينا سقوط "**مدينة صور**" كخبر عادي، فمنذ عدة أيام كنت أتأمّل في نبوات الكتاب المُقدَّس عن "**صور**" هذه المدينة التي ازدهرت طيلة ألفي عام حتى أصبحت تنافس روما، وصارت سيّدة البحار ومُلتقى الشعوب، وجذب ميناءها السُّفن من شتى الدول، وفيها أُقيمت أسواق الذهب والفضة والأحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والأبنوس فصارت هى عروس أسيا بلا مُنازع .. هذه المدينة حدثت لها أحداث في منتهى العجب، وقصت النبوات هذه الأحداث قبل حدوثها بسنين طويلة.

أولاً: ذكرت النبوات أن ملك بابل سيحاصر المدينة، فتنتقل المدينة إلى مكان آخر، ويصير حصار ملك بابل لها بلا مقابل، فقال "**إشعياء النبي**": "**عند وصول الخبر إلى مصر، يتوجعون، عند وصول خبر صور. اعبروا إلى ترشيش. ولولوا يا سكان الساحل. أهذه لكُم المُفتخِرَةُ التي مُنذُ الأيام القديمة قِدَمُها؟ تنقلُها رِجلاها بعيداً للتغرُّب**" (إش ٢٣ : ٥ - ٧) فقوله: "***تنقلها رجلاها بعيداً للتغرّب***" إشارة إلى

انتقال المدينة من مكانها إلى مكان آخر، وقال "**حزقيال النبي**": "**لأنه هكذا قال السيد الرب: هأنذا أجلبُ على صورَ نبوخذراصَّر مَلِكَ بابل من الشِّمال، مَلِكَ المُلوك، بخَيلٍ وبمركباتٍ وبفُرسانٍ وجماعةٍ وشعبٍ كثير .. ويجعلُ مجانِقَ على أسوارِكِ، ويهدِمُ أبرَاجَكِ بأدواتِ حربهِ**" (حز٢٦ : ٧، ٩) وفعلاً هذا ما حدث إذ حاصر "**نبوخذراصر**" مدينة صور لمدة ١٣ سنة (٥٨٥ ـ ٥٧٣ ق.م) فهجرها مُعظم أهلها إلى جزيرة قريبة، وقد حملوا معهم أموالهم وتحصّنوا في الجزيرة، وتحقَّقت النبوة "***ينقلها رجلاها بعيداً للتغرُّب***" وعندما نجح نبوخذراصر في اقتحام المدينة لم يجد كنوزاً ولا أموالاً، وهذا ما عبَّرت عنه النبوة من قبل عندما قال الله لحزقيال: "**يا ابن آدم، إنَّ نبوخذراصَّر مَلِكَ بابل استخدم جيشَهُ خدمةً شديدةً على صور .. ولم تكُن لهُ ولا لجيشهِ أُجرةٌ من صورَ لأجل خدمتهِ التي خدَمَ بها عليها** " (حز٢٩ : ١٨).

ثانياً: بعد بناء مدينة "**صور**" الجديدة على الجزيرة تنبأ "**زكريا النبي**" عن خرابها أيضاً، فقال: "**قد بَنَتْ صورُ حصناً لنفسها، وكوَّمت الفِضّة كالتراب والذهب كطين الأسواق. هوذا السيد يمتلكها ويضربُ في البحر قوَّتها، وهي تؤكل بالنار**"(زك ٩ : ٣، ٤)

وهذا ما تحدّثت عنه يا أخ أرشي، ففي سنة ٣٣٢ ق.م إذ أراد "**الإسكندر الأكبر**" الاستيلاء عليها ألقى بأنقاض المدينة القديمة في البحر فصنع طريقاً بطول ٨٠٠ متر وعرض ٦٠ متراً، وطلب من المدن التي أخضعها من قبل إرسال بعض السُّفن، فأرسلوا أهل صيدا وأرفاد ورودس وسولي ومالوس وليكية ومقدونيا وقبرص أكثر من مائتي سفينة له، فاستطاع أن يقتحم صور الجديدة وتحقّقت نبوة "**زكريا النبي**" السابق ذكرها، كما تحقّقت نبوة "**حزقيال النبي**": "**هآنذا عليكِ يا صور فأُصعِدُ عليكِ أمماً كثيرةً كما يُعلّي البحر أمواجهُ**" (حز ٢٦ : ٣) وأيضاً: "**وينهبون ثروتكِ، ويَغنمونَ تجارتكِ، ويَهدُّون أسواركِ، ويهدمونَ بيوتكِ البهيجةَ، ويضعونَ حجارَتكِ وخشبكِ وترابكِ في وسطِ المياه**" (حز ٢٦ : ١٢)، وبسبب ما تكبّده "**الإسكندر الأكبر**" في فتح المدينة نكل بأهلها فقتل منهم ٨٠٠٠ شخص، وصلب ٢٠٠٠، وأَسَر ثلاثين ألفاً باعهم كعبيد، وخرَّب المدينة وأحرقها بالنار.

ديمتري: لقد حكى لي أبي عن الإسكندر الأكبر أنه عندما حاصر مدينة "**صور**" رفض اليهود إمداده بالمؤونة اللازمة لجيشه فاغتاظ منهم، وبعد أن اقتحم مدينة صور وفعل بها ما فعل توجّه بغضبه إلى أورشليم ليفعل بها كما

فعل بصور وأهلها، ولكن "**رئيس الكهنة**" لبس ملابسه الكهنوتية وخرج لاستقباله في موكب من الكهنة والشعب، وأراه نبوة دانيال عنه الذي شبّهه بالنمر المجنَّح الذي له أربعة أجنحة وقد أُعطي سُلطاناً (دا ٧) كما شبّهه بتيس جاء من الغرب على وجه كل الأرض ولم يَمسّ الأرض، إشارة لسرعته، كما حدّد أن هذا التيس هو ملك اليونان (دا ٨: ٥ - ١٢) ففرح وسُرَّ وتلاشى غضبه، وسأل رئيس الكهنة عن أي طلب يطلبه، وقال البعض أن الإسكندر بمجرّد أن أبصر رئيس الكهنة سجد له، فاحتج عليه أتباعه، فقال لهم أنه عندما بدأ فتوحاته شاهد هذا المنظر في حُلم فتشجّع وأكمل طريقه.

إسكندر: هذا الكلام حق يا أخ ديمتري، وقد ذكره المؤرخ اليهودي "**يوسيفوس**" .. تفضّل أكمل يا أخ أرشي.



الإسكندر الأكبر

أرشي: بعد هذا اتّجه "**الإسكندر الأكبر**" إلى مصر عبر حدودها الشرقية، بينما كان أسطوله يسير على مقربة من الشاطئ، وكان وضْع مصر سيئاً جداً إذ كانت تئن تحن نير الاحتلال الفارسي القاسي، وبمُجرَّد أن وصل "**الإسكندر الأكبر**" إلى "**بيلوز**" (الفرما) في خريف ٣٣٢ ق.م فرح المصريون به جداً، ونظروا إليه على أنه المُخلِّص والمُنقذ الذي سينقذهم من الظلم الفارسي الفادح، وسار "**الإسكندر**" إلى "**منف**" عاصمة مصر التي زادت أهميتها بعد انهيار مدينة "طيبة" (الأقصر) ذات المائة بوابة، وما أن دخل العاصمة في ديسمبر ٣٣٢ ق.م حتى رفع الوالي الفارسي الراية البيضاء، وكان عمر الإسكندر عندئذ خمسة وعشرين عاماً، ودخل مصر بدون قتال، وأبدى احترامه الشديد للديانات المصرية، ففرح به الكهنة وتوّجوه فرعوناً بمعبد "**فتاح**" بمنف، وأقام الإسكندر حفلات موسيقية ورياضية ضخمة، واستقدم أشهر المُغنيين والراقصات والموسيقيين احتفالاً بتتويجه فرعوناً على أرض مصر.

ثم أبحر الإسكندر شمالاً لم يهدم معبداً ولم يقتل كاهناً، بل قدّم قُرباناً للعجل المُقدَّس أبيس، وتكبّد مشقّة السفر إلى واحة سيوه حيث معبد الإله "**أمون**" ليتلقى استشاراته قبل أن

يكمل غزو العالم، وكانت رحلة الإسكندر الأكبر وقادة جيشه ومؤرِّخه كليستنيز مغامرة، ويُقال أنهم تعرّضوا للعطش فأمطرت السماء، كما ضلّت القافلة الطريق فأرشدتهم بعض الطيور للواحة، فرأوا أن الإله آمون هو الذي فعل معهم هذا

"كان وصول الإسكندر إلى معبد الوحي على صخرة أجورمي مُفاجأة للكهنة ولأهل سيوة، فهو لم يُرسِل رُسلاً تنبئ بمقدمه حسب العادة، ورغم كل شيء فقد خرج الكهنة لاستقباله في فناء المعبد، ومرَّ موكب الكهنة من حول الإسكندر ورفاقه، يحملون تمثال آمون من الجواهر النفيسة داخل المركب المُقدَّس .. بينما الراقصات ترقصن والمُرتلات ترتلن، وهى بلباسهن الأبيض. ولقد ظلّ الترحيب طويلاً، حتى أعلن كبير الكهنة أن الإله آمون ازداد انشراحاً بمقدم الإسكندر ابن آمون. وبعد هذا الترحيب سأل رفاق الإسكندر وحي آمون مجموعة من الأسئلة، فأجاب كبير الكهنة عليها، ثم وافق كبير الكهنة أن يدخل الإسكندر قُدس الأقداس في معبد الوحي" (٢١).

وهناك قدَّم "**الإسكندر الأكبر**" القرابين لهذا الإله، مُعتبراً أنه هو الإله "**زيوس**" اليوناني، وكم كانت فرحة الكهنة المصريين به، وتوّجوه على أنه ابن آمون، ولأنهم يرمزون

للإله آمون بالكبش المُقدَّس، لذلك صوَّروا الإسكندر وعلى رأسه قرنين، ودُعيَ بذي القرنين. وهنا كانت نهاية الحكم الفرعوني في مصر وبداية العصر الإغريقي الذي استمر حتى بداية العصر الروماني على يد أكتافيوس.

وإذ لم يستحسن "**الإسكندر**" أن تكون "منف" عاصمة مصر فكر في إنشاء مدينة جديدة تقع على البحر المتوسط تحمل اسمه وتكون عاصمة مصر التي تطلّ على العالم الغربي، وفي طريق عودته من واحة سيوة اختار مع مهندسه "**دينوقراطيس**" المكان المناسب لبناء المدينة الجديدة بين مدينة "**راكوتي**" غرباً ومدينة "**كانوب**" شرقاً، وكلّف المهندس دينوقراطيس بوضع الخرائط للمدينة ولهذا جاءت المدينة على درجة عالية من التنسيق. وعاد "**الإسكندر**" إلى "**منف**" وأقام حفلاً عظيماً، وعيَّن والياً لمصر العليا وآخر للدلتا، واحتفظ بالموظفين المصريين في وظائفهم، وترك حامية صغيرة في مصر عيَّن لها ثلاثة من القادة حتى لا ينفرد أحد بالسُّلطة، وترك مصر في ربيع ٣٣١ ق.م مُتجهاً للشرق بعد أن أمضى بمصر نحو ستة أشهر، أحبّه خلالها الشعب المصري الطّيب القلب مع أنه أجنبي عنهم، ولكن يكفيه فخراً أنه أزاح عن كاهلهم الظلم الفارسي الفادح، وأحسن

معاملتهم، واحترم معابدهم وآلهتهم، فهتفوا له على أنه حاكمهم وفرعونهم المُقدَّس.

واتجه "**الإسكندر**" صوب فارس، وكان ملك فارس "**دارا الثالث**" في انتظاره بجيش جرار ومركبات حربية وفيلة، بينما لم يكن مع الإسكندر سوى سبعة آلاف فارس وأربعين ألفاً من المُشاة، وفي أول أكتوبر سنة ٣٣١ ق.م شبّت المعركة الحاسمة بين الملك المقدوني الجسور الأبيض اللون المُجَعَّد الشعر، وبين "**داريوس**" ملك الملوك .. لقد انطلق ذاك النمر المُجَنَّح الذي أُعطي سُلطاناً من السماء ليسحق داريوس وكل جيوشه، ومَنْ يعترض ؟! ..

أليس الله ضابط الكل هو العامل في التاريخ، يُقيم ممالك وينهيها، فهذه نهاية مملكة مادي وفارس وبداية مملكة اليونان، ودخل "**الإسكندر**" بلاد فارس ظافراً مُنتصراً، وما فعله في مصر فعله في فارس أيضاً، فقدَّم احترامه لمعابدهم وآلهتهم، بل وتزوّج منهم بفتاة تُدعَى "**روكسانا**" وشجّع قادته للاقتران بالفارسيات، فكل ما يشغل ذهن القائد هو المزج بين الحضارات وليس الصراع بينها، مُعتقداً أن حملاته العسكرية هى رسائل إلهيَّة كُلِّف بها، وكان للإسكندر الأكبر أفكاره الثورية وطموحاته في توحيد العالم وفي سنة ٣٢٩ ق.م

أكمل "**الإسكندر الأكبر**" فتوحاته حتى وصل إلى الهند سنة ٣٢٧ ق.م، وفي أوائل سنة ٣٢٥ ق.م عندما عاد إلى فارس أقام احتفالاً ضخماً بالسلام في مدينة "سوزا" في جنوب غرب فارس، وارتدى الزي الفارسي، وتزوّج بفارسية أخرى تُدعَى "**بارسيني**" وأيضاً في هذا الاحتفال تزوّج ثمانون رجلاً من قادته بفارسيات، وفي الوليمة الضخمة التي أقامها ملك اليونان هذا وضع وعاءً فضياً كبيراً دعاه بِاسم "كأس المحبة والسلام بين الأمم" وسكب كبار الحاضرين من مختلف الأجناس النبيذ في هذا الوعاء على سبيل القربان، وخُتِم الاحتفال بصلاة أقامها "**الإسكندر**" من أجل السلام، مُعلِناً عن أُمنيته أن تسود المساواة بين جميع الشعوب، واتخذ "**بابل**" عاصمة لملكه بهدف توحيد الشرق بالغرب ..

كم كان هذا الرَّجُل عظيماً بسموّ مبادئه، وأيضاً بفتوحاته بعد أن افتتح العالم كله في عشر سنوات، وكان لابد أن تتم النبوة عن موته في ريعان شبابه " **ويقوم ملكٌ جبَّارٌ ويتسلَّطُ تَسلُّطاً عظيماً ويفعلُ حَسَبَ إرادتِهِ. وكقيامه تنكسِرُ مملكتُهُ وتنقَسِمُ إلى رياحِ السماء الأربع** " (دا ١١ : ٣، ٤) ففي ١٣ يونيو ٣٢٣ ق.م مات "**الإسكندر الأكبر**" وهو في الثالثة والثلاثين من عمره. مات ذاك الجبار الذي أُعطي سُلطاناً من السماء

وتسلَّط تسلُّطاً عظيماً وفعل حسب إرادته وأقام عدة مدن على اسمه باسم "**الإسكندرية**" في مصر والعراق وفارس والهند، وقد أوصى "**بطليموس بن لاجوس**" بأن يُشرف على إعداد موكب نقل جثمانه ودفنه بجوار معبد أبيه زيوس آمون في سيوة.

وعقب وفاة الإسكندر اجتمع قادة الجيوش في مؤتمر ببابل وتم تقسيم الإمبراطورية إلى أربعة ممالك، وتمت النبوة أنه نمر ذو أربعة رؤوس (دا ٧ : ٦) أو تيس انكسر قرنه العظيم وطلعت أربعة قرون: "**فتعظَّم تيسُ المَعْزِ جداً. ولمَّا اعتزَّ انكسَرَ القرنُ العظيم، وطَلَعَ عِوضاً عنه أربعةُ قرونٍ مُعتَبرَةٍ نحو رياحِ السَّماء الأربع**" (دا ٨ : ٨)، وهذه الممالك الأربعة هى مملكة البطالمة التي كانت في مصرنا الحبيبة، والمملكة السلوفية، ومملكة تراكيا، ومملكة مقدونيا التي ملك عليها "**كاسندر**" وللأسف قام كاسندر بسجن زوجة الإسكندر "**روكسانا**" وابنها من الإسكندر "**اللو**" وفي سنة ٣١١ ق.م قتلهما حتى لا يكون للإسكندر وريث يُنازعه الحكم، وبذلك انقرضت ذُريّة الإسكندر كما أخبرت النبوة تماماً: "**وكقيامه تنكسِرُ مملكتُهُ وتنقَسِمُ إلى رياحِ السماء الأربع، ولا لِعَقبهِ ولا حَسَبَ سُلطانه الذي تسلَّط به، لأنَّ مملكتَهُ تنقرضُ وتكون لآخرينَ غير أولئك**" (دا ١١ : ٤).

إسكندر: الأمر العجيب أنه بسبب تطابق نبوات دانيال على الإسكندر الأكبر قال "**بروفورس**" (أحد نُقَّاد الكتاب المُقدَّس) أن هذه النبوات كُتِبت بعد تمام الأحداث، فردَّ عليه القديس "**أيرونيموس**" بحكمة قائلاً: " *هذا الكلام في حد ذاته شهادة للحق نفسه، لأنه من دقّة وإعجاز النبوة أنه بدى له ما قاله، فهذه شهادة للنبي لا عليه. أمّا تواريخ الأنبياء ومتى وُجِدوا ومتى تنّيحوا فهى معروفة جداً لأصغر تلميذ .. وبذلك يمكن معرفة ما إذا كانت هذه الأقوال سابقة أم لاحقة على تحقيقها* " (٢٢).

حقيقة أن القصة مُشوّقة جداً، فهل لك يا أرشي أن تُلقي الضوء ولو قليلاً على مملكة البطالمة في مصرنا الحبيبة، وكم ملك تسمّى بِاسم بطليموس ؟ وإن كانت كليوباترا تُمثِّل آخِر حكم مملكة البطالمة، فإن أبيها على ما أذكر بطليموس الثاني عشر دُعيَ بالزمار .. لماذا ؟

أرشي: أولاً أود أن أشير إلى الرحلة التي قطعها جثمان النمر المجنَّح من بابل إلى منف إلى الإسكندرية، فبعد أن مات "**الإسكندر**" ودُفِن في "**بابل**"، وتم تجنيد مجموعة من الفنانين المقدونيين والفرس والشرقيين لتصنيع التابوت الذي سيودع فيه جثمان النمر المجنَّح، وأيضاً صنع العربة التي

ستحمل التابوت في موكب ضخم إلى مصر، واستغرق هذا العمل سنتين "وقد صُنع التابوت الذي حفظت فيه الجثة بعد تحنيطها من خشب الصندل والأرز وكسيت بألواح من الذهب المطروقة، ومُلئت بالطيب ليُحفظ الجثمان ويملأ المكان رائحة عَطرة، وكان غطاء التابوت من الذهب الموشى بالفسيفساء، ووصفه ديودورس المؤرِّخ الصقلي أن طول التابوت كان اثنا عشر ذراعاً وعرضه ثمانية أذرع تحمله ستة أعمدة أيونية، وفي كل ركن من أركانها لوحة من لوحات النصر، وكان التابوت في مجموعه وتفاصيله تحفة رائعة، كما تعلو التابوت قبة العرش التي تغطّي الفراغ كله. ويحيط برواق التابوت مقصورة من مشربيات من شبكات من الذهب يبلغ سمك أضلاعها وخيوطها إصبعاً، وزخرفت على أشكال أوراق شجر الأكاشيا والزيتون وزهور اللوتس المصري المُقدَّس، ويحمل السقف مجموعة من الأعمدة ذات التيجان الأيونية الطابع الذي يتميّز بالجمع بين الفن المقدوني والفارسي.

ويسير النعش على عجل تجره ٦٤ دابة تسير في ثمانية صفوف بكل صف ثماني دواب مثبتة في أربعة عروش. لقد بدأ الموكب العظيم سيره من بابل في أواخر عام ٣٢٢ ق.م

في طريقه إلى مصر ماراً بدمشق، وقد تقدّمه بطليموس الأول بجيشه حتى حدود سوريا بدعوى تقديم الاحترام للفقيد العظيم، ولكن هدفه الرئيسي كان حمايته" (٢٣).

أحضر "**بطليموس الأول**" جثمانه إلى "**منف**" في جنازة ضخمة قطعت مئات الأميال من بابل إلى مصر فتمسك به أهل منف وأصرّوا على دفنه في مدينتهم التي سبق الإسكندر الأكبر وتُوِّج فيها ملكاً على عرش مصر، فدفنوه في مقبرة الملوك بمعبد بتاح، وقام الفنان النحات "**ليسيبوس**" بنحت عدة تماثيل للإسكندر الأكبر، فجاءت هذه التماثيل مُعبِّرة عن شخصية القائد الفذ، ونظراته لأعلى تعبِّر عن تطلّع الإسكندر للآفاق البعيدة، وفي سنة ٣٠٥ ق.م أعلن "**بطليموس الأول**" إقامة العبادة للإسكندر، فكان أول إمبراطور أجنبي يؤلّهه المصريون وأول حاكم يُصوّر بدون لحية، وأول حاكم يظهر بقرني كبش تعبيراً عن أنه ابن الإله آمون.

ثم جاء "**بطليموس الثاني**" فلادلفوس ونقل جثمان الإسكندر في احتفال كبير من "**منف**" بعد نحو ٤٢ سنة إلى "**الإسكندرية**" تلك المدينة التي وُلِدَت في عقل الإسكندر قبل أن توجد على الطبيعة، ولم يشاء القدر أن يدخلها حيَّاً

فدخلها وهو مسجي في تابوته محمولاً على الأعناق، وشُيّد له ضريحاً فخماً في ساحة دُعيت بِاسم "**سوما**" أي الجسد أو الجثمان عبر تقاطع الشارعين الرئيسيين بالمدينة وهما شارع كانوب (شارع أبو قير) وشارع سوما (شارع النبي دانيال).

وظلّ التابوت الذهبي الخاص بالإسكندر الأكبر حتى جاء "**بطليموس التاسع**" (١٠٧ ـ ٩٠ ق.م) فطمع في ذهب التابوت، ونقل الجثمان إلى "**معبد البانثيون**" (محل مسجد العطارين) وطالما زار أباطرة الرومان مصر ووقفوا في خشوع أمام قبر الإسكندر المقدوني، فقد وقف أمامه "**يوليوس قيصر**" طويلاً متأمّلاً، ووضع إكليلاً من الذهب على رأس الجثمان، والإمبراطور "**كراكلا**" (٢١١م) بمجرّد أن وصل إلى الإسكندرية بأسطوله توجّه إلى قبر الإسكندر مع قادة جيشه، ووقف يصلّي أمام القبر، ثم خلع رداءه الأرجواني وحُليه وزيّن بهما الجثمان، وأخذ درع الإسكندر من قبره تذكاراً وعاد به إلى روما.

وبعد موت "**الإسكندر الأكبر**" وانقسام مملكته إلى أربعة ممالك، حكم مصرنا الحبيبة ملوك البطالمة، وجميعهم بِاسم بطليموس باستثناء كليوباترا، وأوّلهم "**بطليموس الأول**" سوتر (٣٢٣ ـ ٢٨٥ ق.م) ومعنى بطوليميوس أي القدير في

الحرب، ولُقِّب بسوتر أي المُخلِّص أن المُنقِذ، وقد تربّى مع الإسكندر الأكبر في قصر الملك فيليب المكدوني والد الإسكندر، وكان واحداً من قادة الإسكندر السبعة الذين يحيطون به في الحروب، بل وأكثرهم قرباً ووفاءً للإسكندر، وظلّ وفيّاً للنهاية، وعندما تولّى الحكم أراد تخليد ذكرى الإسكندر الأكبر، فقام بسك عملة ذهبية على أحد وجهيها الإسكندر راكباً عجلة حربية تجرّها أربعة أفيال وفي يده الصاعقة رمز زيوس، وعلى الوجه الآخر صورته هو (بطليموس) وعلى رأسه عصابة، كما قام بسك عملة فضية يظهر على أحد وجهيها رأس بطليموس الأول، وعلى الوجه الآخر زيوس في شكل صقر ناشر جناحيه.

ويُعتبر بداية الحكم الإغريقي لمصر انتهاء وخاتمة **للدولة المصرية القديمة (الفرعونية)** التي ارتقت أحياناً لمستوى الإمبراطورية عندما كانت تسيطر على بلاد الشام وغيرها. انتهت دولة الفراعنة التي استغرقت الفترة من ٣٢٠٠ – ٣٣٢ ق.م خلال ثلاثين أسرة حكمت مصر، وشملت كل أسرة عدد من الملوك، ومثّلت الأُسرتيْن ١، ٢ (٣٢٠٠ – ٢٧٨٠ ق.م) **العصر العتيق**، والأُسَر ٣ ـ ٦ (٢٧٨٠ – ٢٢٨٠ ق.م) **الدولة القديمة**، والأُسَر ٧ ـ ١٠

(٢٢٨١ ـ ٢١٣٤ ق.م) **عصر الاضمحلال الأول**، والأُسرتين ١١، ١٢ (٢١٣٤ ـ ١٧٧٨ ق.م) **الدولة الوسطى**، والأُسَر ١٣ . ١٧ (١٧٧٨ـ ١٥٧٠ ق.م) **عصر الاضمحلال الثاني**، والأُسَر ١٨ ـ ٢٠ (١٥٧٠ ـ ١٠٨٠ ق.م) **الدولة الحديثة**، والأُسَر ٢١ ـ ٣٠ (١٠٨٥ ـ ٣٣٢ ق.م) **العصر المُتأخر**، مع ملاحظة أن مصرنا الحبيبة قد تعرَّضت لفترات احتلال قاسية من الهكسوس خلال الفترة (١٦٧٤ ـ ١٥٧٠ق.م)، ومن الفرس (٥٢٥ . ٣٣٢ق.م).

وصار "**بطليموس الأول**" **أول ملوك البطالمة الرَّجُل الشجاع الحازم ملكاً على مصر وفرعوناً وإلهاً في نظر المصريين**، وكان رَجُلاً دمث الأخلاق، طيب القلب، يُحب الأداب والفنون، وقد أنشأ مدينة إغريقية في صعيد مصر وهى "**بطلمية**" (الآن المنشأة بمحافظة سوهاج) فتمتّع سكانها بمزايا المدن الإغريقية في مصر، واحترم "**بطليموس**" معابد المصريين وآلهتهم وحاول المزج أو المناظرة بين آلهة المصريين وآلهة الإغريق، فظهرت عبادة "**سيرابيس**" Sarapis الذي عبده الجميع، مصريون ويونانيون، فاعتبره المصريون هو الإله المصري "**أوزيريس**"، بينما اعتبره الإغريق أنه الإله "**زيوس**"، وتزاوج الإغريق مع المصريين،

وتعلّم المصريون اللغة اليونانية وأجادوها لأنها صارت اللغة العالمية، وشعر المصريون بالسلام والرخاء والاستقرار وتحسُّن وسائل الري وزيادة رقعة الأراضي الزراعية، وتطوُّر الصناعة والتجارة الخارجية.

أمّا الفلاح المصري فكان يشعر أنه دائماً يكد ويكدح من أجل إيفاء التزاماته تجاه الملوك والكهنة وأصحاب الأرض، ولا يتبقّى له غير قوته وقوت مواشيه من كثرة الضرائب، وحتى الإسكندرية وهى مدينة إغريقية لا يُسمح له بالإقامة فيها ولذلك دعوها "المدينة المتأخمة لمصر" كما لو أنها ليست مصرية، كما اقتصرت الوظائف الهامة على الإغريق، واعتاد الإغريق على لبس الأحذية ذات السيقان العالية، والقبعات المصنوعة من اللباد، وعاملوا المصريين على أنهم أقل شأناً، ولم يهتموا بتعلُّم اللغة المصرية.

وفي بدايات الحكم الإغريقي كانت مصر دولة قوية، فمثلاً في سنة ٢٧٣ ق.م أرسل "**بطليموس الثاني**" (فلادلفوس) سفارة إلى روما، وردت روما بسفارة مماثلة في نفس العام، وسادت العلاقات الودية بين مصر وروما حتى القرن الثالث ق.م، ثم تعرّضت دولة البطالمة للضعف والانهيار ولا سيما بعد معركة رفح سنة ٢١٧ ق.م التي

نشبت بين أنطيوخس الرابع الملك السلوقي وبين بطليموس الرابع، والذي استعان فيها بالمصريين، وبعد انتصار بطليموس الرابع شعر المصريون بقوميّتهم، وأدركوا المظالم التي يتعرّضون لها من الإغريق، فبدأت ثوراتهم ضد الإغريق تزداد وتشتد، واتخذوا "طيبة" مركزاً لثورتهم، كما سادت الصراعات في الوسط الملكي، ولا سيما بسبب تولّي عرش مصر ملوك ضعفاء مُستهترين، فخلال الفترة من ٢٠٥ ـ ١٤٥ ق.م من بطليموس الخامس للسادس فقدت مصر الكثير من ممتلكاتها، بل قام أنطيوخس الرابع بغزو مصر مرّتين سنة ١٧٠ ق.م، ١٦٧ ق.م، وخلال الفترة من ١٤٥ ـ ٥٠ ق.م من بطليموس الثامن إلى بطليموس الثاني عشر بدأ التغلغل الروماني في مصر من جهة تعيين الملوك والتدخُّل في السياسة الداخلية والخارجية، فقد استدان "**بطليموس الثاني عشر**" من "**غايوس رابريوس بوستم**" بـ ٦٠٠٠ طالن (عملة ضخمة) دفعها للحكومة الثلاثية في روما للاعتراف بمصر كصديق وحليف لروما، وهذه القيمة تساوي كل دخل مصر من التجارة طوال العام، واضطر بطليموس إلى رفع الضرائب ممّا أدى إلى استياء الشعب.

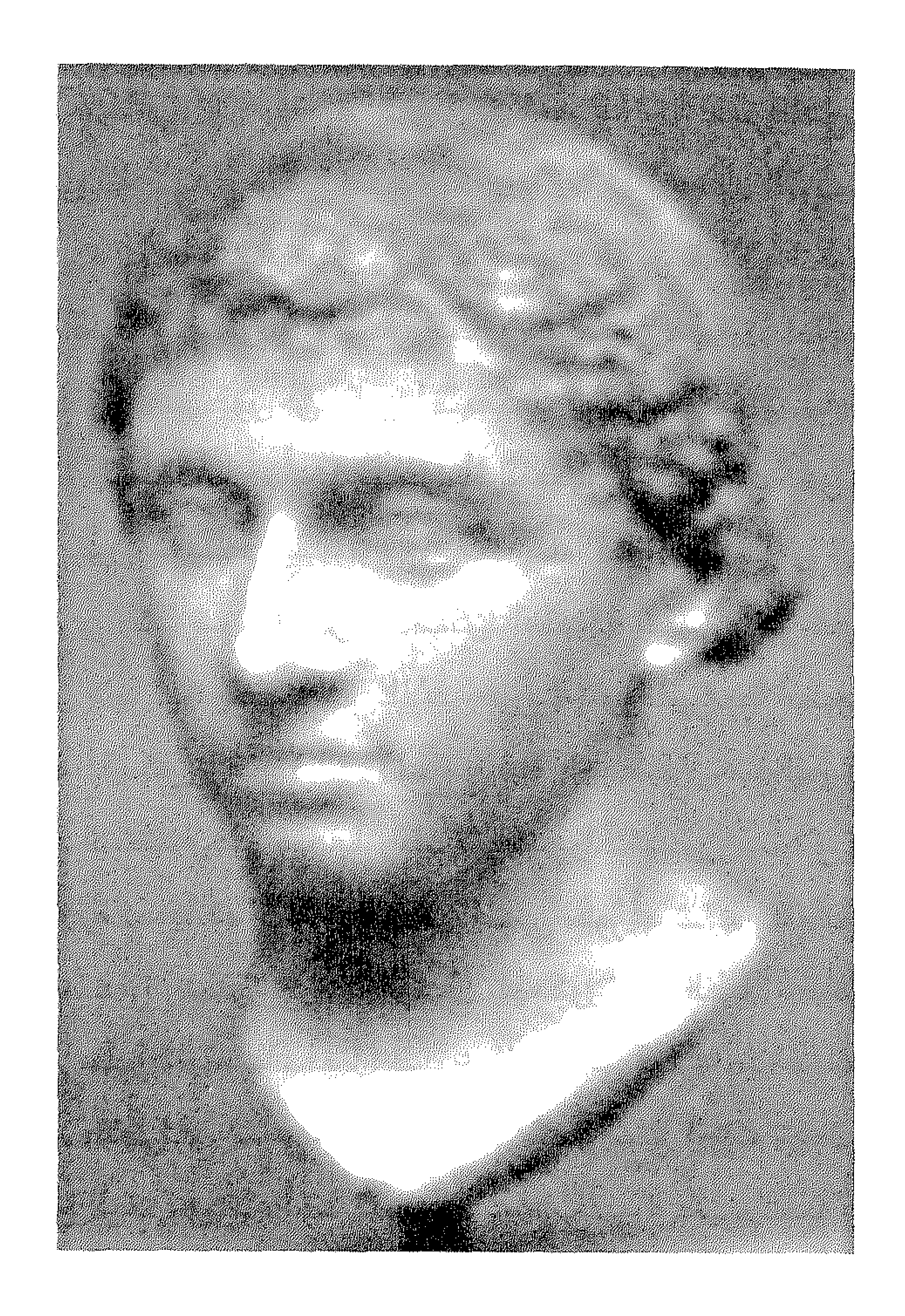
وكان "**بطليموس الثاني عشر**" (٨١ ـ ٥١ ق.م) قد تزوّج من "كليوباترا الخامسة" وأنجب منها ستة أبناء هم كليوباترا السادسة، وبرنيكي الرابعة، وكليوباترا السابعة، وأرسينوي الرابعة، وبطليموس الثالث عشر، وبطليموس الرابع عشر، فصار كل منهم حاكماً لمصر فترة مُعيّنة، ومعظمهم كانت نهايتهم تعِسة، وكان والدهم يعشق العزف على الفلاوت، ولذلك دُعيَ بـ "**الزمار**" وغرق في الشراب، ووصل لحالة من الضعف حتى أن روما عندما استولت على جزيرة قبرص لم يحرك ساكناً كما أنه قد أثقل كاهل الشعب بالضرائب، فهاج الشعب السكندري عليه، والسكندريون سريعي التقلُّب كموج البحر، سريعي الانفعال والتهيُّج، ففر "**بطليموس الثاني عشر**" من الإسكندرية مُلتجئاً إلى روما، بينما انتهزت الفرصة ابنته الجميلة "**برنيس**" (برنيكي) واستولت على العرش وأرسلت برنيكي وأختها كليوباترا السادسة، مائة شخص إلى روما للإدلاء بشهادتهم ضد أبيهما الذي اتهمتاه بالسفه ولكن قُتِل بعضهم، ولم تُعرض القضية أمام القضاء الروماني، ولا أمام القيصر وقدَّم "**بطليموس**" الرّشوة إلى رجال السناتو، فقرّر "**مجلس الشيوخ**" في روما مناصرته، واضطرّ "**بطليموس**" للإستدانة بمبالغ كبيرة من أجل هذا العرض،

كما طلب من "**جابينوس**" حاكم سوريا الروماني أن يساعده على استعادة عرشه لقاء مبلغ كبير قدره عشرة آلاف طالن.

وفي ربيع سنة ٥٥ ق.م جاء بطليموس الزمار بصحبة "**جابنيوس**" إلى حدود مصر الشرقية، ومنها إلى الإسكندرية، وما أن دخل بوابة الإسكندرية بعد غياب بلغ نحو ثلاث سنوات حتى وجد الشعب السكندري قد خرج ليحتفي بقدومه، بينما فرّت "**برنيكي**" من أعين أبيها " *وأدركت كليوباترا (السابعة) عندما أصبحت الجماهير على مرأى منها، أن تلك الجماهير كانت تحيي عرض الرومان لمظهر سُلطانهم، أكثر ممّا كانوا يحيّون أباها. وكان الضباط الرومان يسيرون أمام "**جابنيوس**" ليظهروا سلطته الرسمية نيابة عن حكومة روما لتنصيب الملك بطليموس مرّة أخرى على العرش .. وكان الجنود الرومانيون ذوي وجوه جامدة، وشفاه رقيقة مطبوقة، ويسيرون بدقّة آلية ونظام كامل ممّا بهرها وأودع الروع في قلبها .. لاح لناظريها أبوها والقائد الروماني، وكان (أبوها) يسير خلف "**جابينوس**" ذي النظرة النبيلة الصارمة، عملاق، عملاق باسم، صغير السن، له شعر أشقر، وعيناه زرقاوان واسعتان في وجه مليء بالحيوية والدفء، وكان قويّاً جداً، وكانت تستطيع أن تستشف ذلك من عضلاته التي لم*

تخفها النقبة الرومانية القصيرة، ومن ذراعيه اللتين لم تكن يغطيهما رداؤه الروماني الذي رمى بطرفه فوق كتفه دون مبالاة" (٢٤).

وعاد "**جابينوس**" إلى سوريا بعد أن ترك حامية صغيرة لمساندة بطليموس الثاني عشر، الذي عاث فساداً في الإسكندرية، وأخذ ينكل بخصومه وأعدم الكثيرين منهم، وقبيل موته كانت صحته قد اعتلت كثيراً بسبب الإفراط في الشراب، وكانت ابنته "**برنيكي**" قد ماتت، وصارت الحانة على الفلاوت أشد حزناً، وترك وصيّته بأن يتولّى عرش مصر ابنته كليوباترا السابعة ذات الثمانية عشرة ربيعاً مع أخيها بطليموس الثالث عشر ذو العشرة أعوام، وناشد روما للإشراف على تنفيذ هذه الوصية، فكتب "*إنني أستودع باحترام هذين الاثنين في حماية الشعب الروماني النبيل*" وأرسل صورة من الوصية إلى روما، في الوقت الذي فرضت فيه روما سيطرتها على الشرق والغرب، وأبقت مصر كدولة صديقة إلى أن يحين وقت التهامها. **أمّا كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة فقد تصدّت لهذا الاجتياح بذكائها ودهائها وجمالها ودلالها .. كيف؟ هذا ما سنراه في فرصة أخرى إن أرادت نعمة الرب وعشنا.**



بطليموس الثاني عشر (الزمار)

الفصل الخامس: الألف عمود

ميناس: هل رأيتم عملاً مثل هذا ؟ .. رأينا قصوراً فخمة تُبنى ومعابد عظيمة تُشيَّد، لكن مثل هذا العمل العظيم، وذاك الحُب المُتدفّق في قلوب كل هؤلاء لم نره قط .. انظروا وتأمّلوا، كل طوبة توضع بالحُب وتُدشّن بالصلاة، فطالما اشتاق المسيحيون أن يكون لهم مكاناً يعبدون فيه الله الواحد ولم يتحقّق أملهم هذا مُنذ نشأة المسيحية في الإسكندرية. للوثنيين معابدهم ولليهود مجامعهم أمّا المسيحيون فليس لهم سوى الكهوف والمقابر والأماكن المنعزلة يعبدون الله خفية لأن ديانتهم مُحرَّمة في الإمبراطورية الرومانية .. انظروا لهذا المكان المُتسع الذي اجتمع فيه المهندسون مع العمال مع الشعب رجالاً وشباباً وأطفالاً بقلب واحد يبنون بيتاً للرب، وغيرة نحميا تملأ قلوبهم **"هلُمَّ فنبني سورَ أُورشليمَ ولا نكونُ بعدُ عاراً"** (نحميا ٢ : ١٧)، الرّجال ينهمكون في العمل وكأنهم في حلبة مُصارعة، فعمل أسبوع ينتهي في يوم واحد، وعمل يوم ينتهي في ساعة، وواحد منهم لا يتقاضى أجره، ويجتهد في العمل وكأنه أخذ الأجر مئة ضعف، وحتى السيدات والفتيات انشغلن بإعداد الطعام لكل هذا الجمع الذي يحتشد في المكان يعمل من الصباح الباكر للمساء ..

أرشـي: هذه الغيرة هى غيرة إلهيَّة وضـعها الروح القُدُس فـي القلـوب المُحبّـة للمسـيح، وهـذا العمـل بـلا شـك عمـل إلهـي .. فهـذه أول كاتدرائيـة تُبنـى علـى أرض الإسـكندرية، فـنحن لا نملـك مكانـاً للصـلاة سـوى بيـت أنيـانوس، وطـوال سنوات الاضطهاد التي تربو على مائتي عام ليس لنا سوى الأماكـن المُنعزلـة فـي نكرويوليس (منطقـة المقـابر) أو علـى سـاحل البحـر خـارج أسـوار المدينـة غربـاً، أو علـى أطـراف بحيرة مريوط جنوباً.

إسكندر: بعد نياحـة البابـا مكسيموس (رقم ١٥) فـي ١٤ برموده ٢٨٢م تم اختيار الأنبا ببنوده الذي جلس على كرسي مـارمرقس سـتة أشـهر فقـط، وأنـتم تعلمـون أن الكنيسـة قـد جرّدتـه مـن رتبتـه لأنـه خصـى نفسـه، فلـم يعُـد مـن سلسـلة البابـاوات، وتـم سيامة البابـا ثاؤنـا (رقـم ١٦) المملـوء بالحكمـة والفَهْم والفِطنة والمشورة الصـالحة، والمحبّـة والتقوى، وبفضـله بعد الله يتم هذا العمل الجبار .. انظروا ماذا فعل؟:

أولاً: انتهز قداسة البابا فترة الهدوء التـي تمرّ بهـا الكنيسـة، فالاضـطهادات لازمـت كنيستنا المجيدة منذ استشهاد مـارمرقس الـذي سُـحِل فـي شـوارعها، وقـد روى شـجرة الإيمـان بدمائـه الطـاهرة، ولم يهدأ هذا الاضطهاد إلاّ في عهد البابا ثاؤنا.

ثانياً: تحدّث قداسة البابا مع "**ويصا**" ذاك التاجر الكبير الغني في الإيمان والأموال، فهو الذي يورد الملابس العسكرية للجيش، وطلب البابا منه أن يشتري هذه الأرض باسمه، وقد أمده بالمال اللازم، وقام "**ويصا**" بشراء هذه الأرض المُتّسعة وعمل سور مُرتفع حولها، وبوابة كبيرة وبوابة صغيرة، وترك المكان فترة حتى انصرفت عنه الأنظار، كما أن هذا من الأمور العادية أن يشتري تاجر ثري مثل "**ويصا**" قطة أرض مُتّسعة بقصد الاستثمار، ربما ليعيد بيعها، أو ليبني فيها قصراً مُحاطاً بحديقة.

ثالثاً: بدأ العمل وبمجرّد أن شعر المسيحيون بهذا، بدأت تبرّعاتهم تنهال علينا، ولم يكتفوا بهذا بل زجّوا بأنفسهم في ساحة العمل، بينما عمل البابا البطريرك عملاً حكيماً إذ اصطحب معه أبونا التقي ثيؤدوسيوس، وكما دخلا الحي اليهودي من قبل، زارا كبار المنطقة غير المسيحيين في حي راكوتي، وقدَّم لهم "**قداسة البابا**" هدايا قيّمة وتحفاً ثمينة وبذلك استطاع أن يكسبهم، حتى عندما أراد عدو الخير أن يثير غير المؤمنين على المؤمنين كما أثارهم من قبل على مارمرقس لم ينجح، لأن هدايا البابا وعطاياه قد أطفأت هذه النيران قبل أن تشتعل.

رابعاً: تشفّع البابا بأُمّنا القديسة العذراء مريم صاحبة هذه البيعة لتعينه على إتمام هذا العمل الضخم، فهو ليس مجرّد كنيسة لكنه كاتدرائية تتّسع لآلاف المُصلين، وتقوم على ألف عمود ضخم، والأمر المُدهش أن "**العذراء مريم**" ظهرت لتاجر الرخام "**فيليجيوس**" صاحب السُّفن الضخمة، وطلبت منه لقاء البابا، وعندما التقى "**فيليجيوس**" بالبابا سأله عن احتياجاته والبابا لم يشأ أن يطلب منه شيئاً غير صلواته، ولكن عندما أعلمه بظهور العذراء أم النور له صرّح له البابا أنهم فشلوا في توفير الأعمدة اللازمة لاتمام البناء، فكل ما أمكن جمعه من الإسكندرية وخارجها، وبعد جهود مضنية ثلاثمائة عمود رخامي. فطلب "**فيليجيوس**" من البابا فرصة، وفعلاً نجح هذا الرَّجل الشهم في عقد صفقات في أماكن مختلفة، ونجح في إحضار سبعمائة عمود رخامي لهذه الكاتدرائية، وبعد إلحاح شديد من قداسة البابا لم يقبل إلاَّ نصف قيمتها فقط، وتحمَّل هو النصف الآخر ومصاريف الشحن.

ديمتري: إنني أتعجّب من أن العمل بدأ في سريّة كبيرة، إلاَّ أن الخبر تسرّب للبعض بأن "**البابا ثاؤنا**" سيبني كاتدرائية ضخمة، حتى اشتعلت النفوس بالغيرة المُقدَّسة،

فكل إنسان يودّ لو يُقدِّم نفسه بالكامل وليس جزءاً من أمواله أو ممتلكاته، وحتى المصريين المُتغرّبين والمصريون الذين يعملون في القصر الإمبراطوري عندما علموا أرسلوا للبابا تبرُّعات سخية..

انظروا إلى الفرحة في عيون الأطفال وكل منهم يحمل طوبة أو أكثر ..

انظروا إلى الصبية وكل منهم يحمل حجراً أو يجاهد لكيما يحمله ..

سمعتُ بالأمس حديثاً بين بعض الأطفال، قال أحدهم: إننا نبني بيتاً عظيماً للرب مثل هيكله الذي كان في أورشليم، وقال آخر: لن يعيريني زميلي في المدرسة بعد ويقول نحن لنا معابد فخمة وأنتم ليس لكم، وقال ثالث: سيكون معبدنا هذا أعظم من "**معبد سيرابيس**".

ميناس: حقاً كلما أنظر لحجم هذا العمل وما يتكلّفه من أموال طائلة أتعجّب من أين أتت كل هذه الأموال ؟! .. والأمر العجيب أن الشماس "**بطرس**" يقول: لم نحتاج يوماً لدراخمة واحدة، لأن هبات الله وعطاياه تسدِّد كل احتياجات العمل، كما أنه عندما سُئل: من أين أتت كل هذه الأموال؟ قال: "***كفقراء ونحن نغني كثيرين***".

ديمتري: حقاً إنني مُعجب بشخصية "**بطرس**" الشماس المُعلِّم، فدائماً تشعر أن النعمة على وجهه وفي كلماته. يعيش الحياة، كل الحياة في هدوء وسلام .. دائماً تجده فايق ورايق، يقابل أصعب الأمور بهدوء كبير.

ميناس: يا أخ ديمتري هذا الشماس الذي أنت مُعجب به هو "**ابن الموعد**".

ديمتري: كما تعني بقولك "ابن الموعد"؟ هل إنه إنسان مُبارَك مثل أبينا إسحق ابن الموعد؟

ميناس: لم يكن لأبونا ثيؤدوسيوس أولاداً، ولكنه لم يتذمّر على الله بل كان مُسلِّماً إياه كل الإرادة وكل المشيئة وكل الاشتياقات. أمّا زوجته الفاضلة التقيّة "**صوفيا**" فكانت تداوم الصلاة والطلبة من أجل أن يرزُقها الله نسلاً صالحاً، وعندما دخلت ذات مرة إلى الكنيسة في عيد الرسل الأطهار، رأت المؤمنين يحملون أطفالهم ويرشمونهم بزيت القنديل المُنير أمام أيقونة الرسولَيْن بطرس وبولس، تأثرت وسالت دموعها، وبدون أن تفتح فاها أخذت تصلِّي صلاة قلبيّة قويّة مثلما صلَّت حنّة أم صموئيل النبي، وفي تلك الليلة رأت في حلم الرسولَيْن بطرس وبولس يرتديان ملابس المجد ويقولان لها: *"لا تحزني فقد سمع الرب صلاتك وهو يرزقك طفلاً يكون*

أباً لأمم كثيرة، ويكون اسمه كصموئيل، إذ هو ابن موعد أيضاً، فمتى استيقظتِ فاذهبي إلى البابا وأخبريه بالأمر، وهو يُصلِّي لك".

وفي الصباح نهضت الزوجة الفاضلة "**صوفيا**" فرحة مُتهلِّلة، وكأن الطفل قد وُلِدَ، وهوذا هو بين يديها تداعبه وتهننه، وأخبرت زوجها "**أبونا ثيؤدوسيوس**" بالحلم، ثم ذهبت للقلاية البطريركية وقابلت قداسة البابا وقصّت له الحلم، فطمأنها وقال لها: "*ليكن لك ما أنبأتكِ به السماء، ويتمم الله طلبك ويجيب سؤلك، فإن الله صادق وأمين في مواعيده، وهو قادر على كل شيء، وأعماله عجيبة في قديسيه*".

وعندما وُلِد الطفل، وعلم البابا بهذا اختار له اسم "**بطرس**" تيمناً ببطرس الرسول صاحب العيد، وفي السابعة من عمره سامه البابا "**أغنسطس**" أي قارئ، وفي الثانية عشرة سامه "ذياكون" أي شماس، وقد كرَّس نفسه للخدمة، فهو دائماً ينكب على دراسة الكُتب المُقدَّسة، ويُحاضر في المدرسة اللاهوتية، كما أن "**البابا ثاؤنا**" يعتمد عليه في أمور كثيرة.

دار هذا الحديث خلال استراحة الغذاء القصيرة، وسريعاً

ما شمَّر الأصدقاء عن ساعد الجد، وانهمكوا في هذا العمل الجبار، ويوماً فيوماً بدأ يكتمل البناء وتتضح معالمه، فكل عمود يُنصب وكل جزء من السقف يتم، وكل نافذة تنتهي، وكل جزء من الأرض يُرصف بالتربيعات الحجرية كانت تتغير الصورة، وخلال شهرين من العمل الشاق المضني الذي شارك فيه المئات من الفقراء والأغنياء، البُسطاء والمُتعلِّمين، الصغار والكبار، ظهرت "**كاتدرائية الألف عمود**" (محل جامع الألف عمود) كبناء ضخم جبار يسع آلاف المُصلّين.

وفي عشية أحد التناصير سنة ٢٩٠م حضر "**قداسة البابا ثاؤنا**" مع عدد من الآباء الأساقفة الذين لبّوا الدعوة، وحَشْدٌ من الآباء الكهنة والشمامسة الذين جاءوا من كل مكان، وارتفعت الصلوات طوال الليل لتدشين ذلك المكان، وفي الصباح الباكر قُدِّمت القرابين وبدأت صلوات القداس الإلهي، وفيه تم سيامة الشماس المُعلّم "**بطرس**" ابرسفيتيروس أي قساً بنفس الاسم ممّا أثلج قلوب الحاضرين، كما قام الآباء بتعميد عدد كبير من الموعوظين والموعوظات، ومن بينهم "**سوسنا**" والدة "**ديمتري**" وأخواته "**راحيل**" و"**دينه**" و"**ميراب**". أمّا "**ديمتري**" فلم يستطع تخطّي العقبة العقلانية

التي اعترضته: "*كيف يتجسد يهوه ويُصلب ويُهان ؟!*"
لذلك لم يستطع أن ينال الصبغة المُقدَّسة ولا أن يتناول من الأسرار المُقدَّسة، ولكن رجاءه في الله لم ينقطع وهو واثق أن الله سيساعده على اجتياز هذه العقبة، وبعد نهاية القداس زف الآباء الأساقفة والكهنة والشمامسة "**أبونا بطرس**" ابن "**أبونا ثيؤدوسيوس**" الكاهن ابن الكاهن، وطافوا الكنيسة المُتّسعة الأطراف، وفرحت الكنيسة وتهلّلت إذ لبست ثياب المجد والبهاء، أمّا فرحة الشعب فلا يمكن التعبير عنها، إذ جاء اليوم ليُقدِّم عباداته في هذا المكان المُقدَّس .. بمجرّد أن يدخل إليه يُقبِّل ترابه وأبوابه ويسجد أمام هيكله بخشوع ورهبة، وكأنه في حُلم لذيذ يتمنّى من كل قلبه أن يدوم للأبد، وتظلّ أبواب الكنيسة مفتوحة في وجهه على الدوام.

وإذ أراد الأصدقاء الأربعة تقديم هدية قيّمة وغير تقليديّة لأبونا بطرس بمناسة سيامته وبعد عدة اقتراحات اتفقوا على اقتراح ديمتري، وهو رسم خريطة للإسكندرية بشكل شوارعها الطولية والعرضية، وبكل أحياءها، بل وضواحيها، مع كتاب يوضِّح منازل المسيحيين في كل شارع، وسكان كل منزل بأعمارهم وأعمالهم وآباء اعترافهم .. الخ، وفعلاً بدأوا في ذلك العمل المُميّز.

ميناس: إنني فخور بمدينتي هذه، وأشعر أنني مدين لمؤسّسها "**الإسكندر الأكبر**" وأيضاً لمهندسها "**دينوقراطيس**" الذي حدَّد على الخرائط حدود الإسكندرية وشوارعها المُريحة، وقد استخدم خطة الزاوية القائمة، فالشوارع الرئيسية الطولية من الشرق إلى الغرب **تسعة شوارع** أهمها "**الشارع الكانوبي**"، والشوارع الرئيسية العرضية **سبعة عشر شارعاً** أهمها "**شارع سوما**"، والمدينة عبارة عن شريط على الساحل تحدّها الأسوار بطول يزيد عن خمسة كيلومترات وعرض يزيد عن الكيلومترَيْن، وقد أحسن "**دينوقراطيس**" اختيار الميادين والأسواق، وأخذ في حساباته امكانية التوسُّع والامتداد فجاءت مدينتنا بهذه الروعة وذاك الجمال. وإن كانت الشوارع تستقيم عندما يقبل الزمان، وتعوّج عندما يَدْبُر الزمان، فاستقامة شوارع مدينتنا للآن يعلن أن المدينة مازالت في أوج مجدها رغم النكبات التي تعرَّضت لها، فترابها وبحرها رويا بالدماء، ولأن المدينة أُنشئت على منطقة تكثر بها التلال، لذلك نجد الشارع رغم استقامته يعلو ويهبط حسب وضع المكان، ومع هذا فإن كل مباني المدينة ومعابدها وقصورها قد وُضِعت في المكان الصحيح بنظام دقيق مع مسحة كبيرة من الجمال، فاستحقت عن جدارة أن

تكون وتظل عاصمة مصر، والمدينة الثانية في العالم بعد روما.

والشارع الرئيسي الطولي "**الشارع الكانوبي**" يمتد من "**الباب الكانوبي**" شرقاً إلى "**باب نيكروبوليس**" غرباً بطول يزيد عن خمسة كيلومترات وعرض الشارع أربعة عشر متراً، فيكفي لمرور العربات والمُشاة، وعلى جانبيه تجد الأعمدة المرمرية والرخامية ترتفع عليها القباب، والقصور الفخمة بحدائقها، وعلى جانبيه أيضاً تضاء المصابيح ليلاً، والمصباح هو قدح من الحجر أو الفخار ملئ بالزيت، والفتيل شريط من خرق القماش، كما زُرِعت على جانبي الطريق الأشجار وبجوارها وُضِعت أصص نباتات الزينة، وأيضاً على الجانبين تجد مجارٍ لصرف مياه الأمطار، كما أن أيدي الكادحين تقوم بغسل هذه الشوارع يومياً، وعلى ضفّتي الطريق توجد الأرصفة التي تؤمّن سير المُشاة، والشوارع الرئيسية رُصِفت بحجر خرسان النوبة (البازلت الأسود) الذي جُلِب بالمراكب من أسوان، وتم هندمته ليأخذ شكل بلاطات كل منها بطول ٥٠ سم وعرض ٣٠ سم، وأنت تسير في "الشارع الكانوبي" تقع عيناك على مبنى ضخم وفخم جداً. أنه "**معبد سيرابيس**" الذي يرجع تاريخه

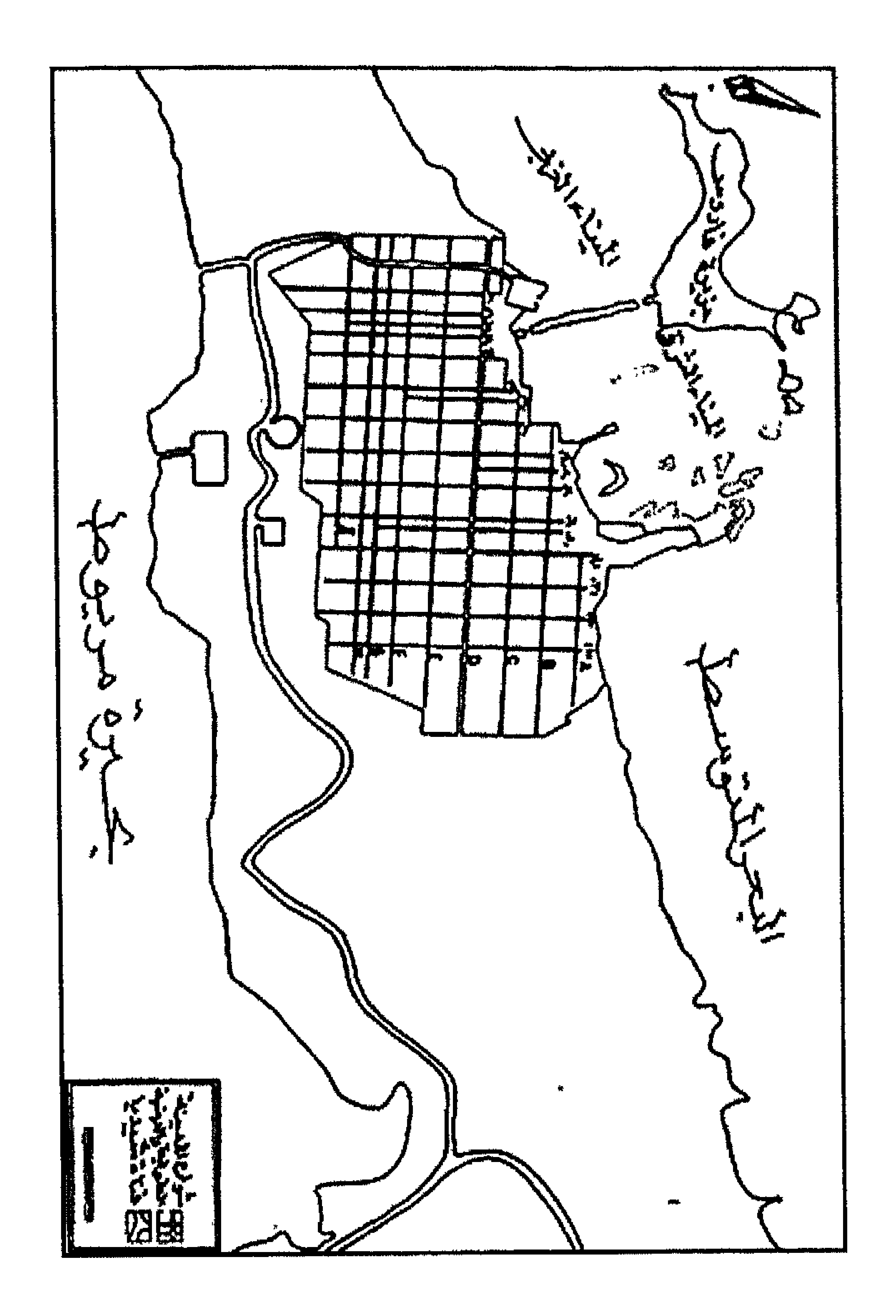
إلـى نحـو سـتمائة سـنة خلـت مُنـذ عهـد بطليمـوس الأول والثاني، وفي الميادين ترى التماثيل الناطقة التي تم تشكيلها مـن الحجـر الجيري والرخـام والجرانيـت والبازلـت ممّـا يُشـع البهجة والجلال على المدينة.

وشمال الشارع الكانوبي (من شارع أبوقير للشاطئ) تجد ثلاثة شوارع طولية موازية له، وعرض كل منها سبعة أمتار، وبحسـب ترتيبهـا مـن الشـمال للجنـوب تلتقـي أولاً بـ "**شـارع اليهود**" الذي يمر بالحي اليهودي فقط، فهو أصغر الشوارع الطوليـة لأنـه ينتهـي عنـد الشارع العرضـي رقم (٤)، وثانيـاً "**الشارع الحدائقي**" ويبدأ من مقابر اليهود شرقاً ويمر بالحي اليهودي والحي الملكي بطول نحو ٣ كم وينتهي عند الشارع العرضـي رقم (٩) وتجد الحدائق على جانبيه ولا سيما فـي الحـي الملكـي، ومـن هنـا اكتسـب اسـمه، وثالثـاً "**شـارع الهيبـودروم**" ويبـدأ مـن الحـي اليهـودي شـرقاً ويمـر بـالحي الملكـي وينتهـي عنـد الشـارع العرضـي رقـم (١٠) بجـوار "**الامبوريـون**" (المركـز التجـاري) وبـه كثيـر مـن المنشـآت الهامـة، والجـزء الأوسـط مـن هـذا الشـارع الـذي يمـرّ بـالحي الملكي يُعتبر من الشوارع الحدائقية، والجزء الأخير منه الذي يمرّ بحي الميدان يُعد من الشوارع التجارية.

وجنوب الشارع الكانوبي تجد خمسة شوارع طولية موازية له، وعرض كل منها سبعة أمتار، الأول منها (ويُعد الخامس من الشاطئ) يبدأ من سور المدينة الشرقي وينتهي عند سورها الغربي بطول نحو ٥ كم، مُخترقاً الأحياء الأربعة الأحراش والبانيوم والمُتحف والمصري، والجزء الذي يمرّ بحي البانيوم يعتبر من الشوارع الحدائقية، وهكذا بقية الشوارع، وإن كان المهندس "**دينوقراطيس**" حافظ على المسافة بين كل شارع طولي وآخر وهى ٢٧٨ متر لكن بسبب وضع بعض التلال جنوب المدينة، جاءت المسافة بين الشارع السادس والسابع ١٧٠ متر، وبين السابع والثامن ٨٤ متر، ويبلغ طول الشارع الثامن نحو ٤,٥ كم، والشارع التاسع الطولي والأخير بطول يزيد عن ٣ كم، فيبدأ من الشارع العرضي رقم (٤) وينتهي بسور المدينة الغربي.

أمّا الشارع العرضي الرئيسي في المدينة هو "**شارع السوما**" أو "السوماي" Somai وسُمِّي هكذا لأن به الهيكل البديع الذي وُضِع فيه جسد أو جثمان الإسكندر الأكبر (مسجد النبي دانيال الآن بالقرب من كوم الديماسة أي كوم الدكة)، ويمتد شارع السوما من البوابة الجنوبية "**باب الشمس**" تجاه بحيرة مريوط إلى البوابة الشمالية "**باب القمر**"

شمالاً، وجاءت بقية الشوارع العرضية جميعها وعددها سبعة عشر شارعاً موازية للشارع العرضي الرئيسي، وجميعها بعرض سبعة أمتار، وأطوالها تتراوح بين كيلومتر ونصف وكيلوبين من الأمتار.



خريطة شوارع الإسكندرية

أمّا أسوار **المدينة** المنيعة فقد بلغ طولها أكثر من ١٥ كم تعلوها أبراج المراقبة، فيبلغ ارتفاعها نحو ثلاثين متراً باستثناء السور تجاه البحر فارتفاعه لا يزيد عن متر واحد بقصد الحماية من الأمواج المتلاطمة التي ترتفع في فصل الشتاء ولا سيما أوقات النوّات البحرية، وللمدينة أربعة بوابات لا غير جاءت على شكل صليب، من الشرق "**الباب الكانوبي**" ومن الغرب "**باب نكروبوليس**" ومن الشمال "**باب القمر**" ومن الجنوب "**باب الشمس**".

أرشي: وكما جاءت الشوارع مُستقيمة ومُنسّقة وجميلة هكذا جاءت الأحياء السكنية، فالشارع الكانوبي يقسّم المدينة إلى قسميْن فشماله في المسافة منه إلى الشاطئ تجد ثلاثة أحياء وهى من الشرق للغرب "**الحي اليهودي**" (منطقة الشّاطبي) ثم "**الحي الملكي**" الذي يحيط بالميناء الشرقي (من برج السلسلة للمنشية) ثم "**حي الميدان**" أو الميناء (من المنشية لرأس التين تقريباً). أمَّا جنوب الشارع الكانوبي فتجد أربعة أحياء من الشرق للغرب "**حي الأحراش**" أو ميدان السباق، ثم "**حي البانيوم**" ثم "**حي المُتحف**" وأخيراً "**الحي المصري**" أو راكوتي:

١ ـ **الحي اليهودي (سوتيريا)**: يقع شرق الحي الملكي، ويفصل بينهما شارع الوادي الوطني، وعُرِف بمربع اليهود (وسبق الحديث عنه).

٢ ـ **الحي الملكي (البروخيوم)**: يقع بين الحي اليهودي شرقاً وحي الميدان غرباً، والميناء الشرقي شمالاً والشارع الجنوبي جنوباً، وهو الأكثر روعة وجمالاً (وسبق الحديث عنه).

٣ ـ **حي الميدان (الميناء)**: ويقع غرب الحي الملكي، يفصل بينهما الشارع العرضي رقم (١١) فيحدّه من الشرق الحي الملكي، ويحدّه من الغرب سور الإسكندرية الغربي، ومن الشمال الميناء الغربي، ومن الجنوب الشارع الكانوبي، وهو الحي التجاري، فتجد فيه المخازن الكبيرة والمستودعات التي تُستخدم في تخزين السلع التجارية الخاصة بالتصدير والاستيراد، وبه الفنادق والاستراحات للتجار الأجانب الذين جاءوا للتجارة والاستيراد، فشوارع هذا الحي تموج بالأجناس المختلفة من يونانيين ورومان ومصريين ويهود وسريان وأحباش وهنود وعرب، وفيه تسمع شتى اللغات واللهجات، ويعتبر هذا الحي هو الترمومتر الذي يقيس الرواج الاقتصادي بالمدينة، وبالحي أيضاً الترسانة التي تصنع فيها

السُّفن، والمرفأ الاصطناعي "**كيبوتوس**" Kibotos أو "**الهاويس**".

٤ ـ **حي الأحراش (ميدان السباق)**: ويقع جنوبي الحي اليهودي يفصله عنه الشارع الكانوبي، ويحدّه من الشرق سور المدينة الشرقي ومن الغرب حي البانيوم، يفصل بينهما الشارع العرضي رقم (٤) (شارع الوادي) ومن الشمال الشارع الكانوبي، ومن الجنوب سور المدينة الجنوبي، وبهذا الحي تجد ميدان السباق، وأيضاً السواري وهى أماكن العبادات الوثنية.

٥ ـ **حي البانيوم (السوما)**: يحده من الشرق حي الأحراش، ومن الغرب حي المتحف، ومن الشمال الشارع الكانوبي، ومن الجنوب سور المدينة الجنوبي، ويضم الحي "**قصر السوما**" وهو الجبانة الملكية حيث يرقد جثمان الإسكندر الأكبر مؤسِّس المدينة، وبجواره جثامين ملوك البطالمة، ويضم الحي أيضاً "**البانيوم**" Panium (كوم الدكة) وهو تلّ أو برج صُنِع بشكل مخروطي كشجرة البلوط، وبه سلالم حلزونية، ومن قمّته ترى المدينة كلها، وتتمتع بنسمات البحر التي تُقبِل إليك بلا عائق، وكثيرون يأتون إلى هذا المكان للتمتُّع برؤية المدينة بالكامل، كما يلهو أطفالهم

في الحدائق المُتسَّعة المُحيطة بالبانيوم، وقد دُعي هذا الحي بِاسم هذا البرج (البانيوم) وفي شمال الحي تجد عدد كبير من القصور الفخمة التي تطل على الشارع الكانوبي، أمّا جنوب الحي فتجد بعض الأحراش (المُستنقعات).

٦ ـ **حي المُتحف**: يحدّه من الشرق حي البانيوم، ومن الغرب الحي المصري، ومن الشمال الشارع الكانوبي، ومن الجنوب سور المدينة الجنوبي، ويعتبر هذا الحي له أهميته، لأنه يضم أهم معالم المدينة، فبالحي تجد "**الموسيون**" معهد العلوم الضخم الذي هو أشبه بجامعة، أو أكاديمية، وعدد من القصور التي تزداد عدداً وفخامة كلما اتجهت شمالاً نحو الشارع الكانوبي، والحي يخلو من الأحراش (المستنقعات).

٧ ـ **الحي المصري (راكوتي)**: يحدّه من الشرق حي المُتحف، ومن الغرب سور المدينة الغربي، ومن الشمال الشارع الكانوبي، ومن الجنوب سور المدينة الجنوبي (يمثل الآن منطقة كرموز وكوم الشقافة وميناء البصل واللّبّان وكفر عشري) ومن أهم معالم هذا الحي "**معبد السرابيوم**" الذي بناه "**بطليموس الأول**" (٣٠٥ ـ ٢٨٣ ق.م) لتمتزج فيه العبادة الإغريقية مع المصرية، فعبادة "**سيرابيس**" قد انتشرت في

العالم القديم، وفي مصر فقط يوجد ٤٢ معبداً لسيرابيس ورأى المصريون أن "**سيرابيس**" يُمثِّل الإله "**أوزيريس**" مع العجل "**أبيس**" وقَبِل البطالمة عبادة هذا الإله، وقيل عن هذا المعبد "*ليس هناك في العالم ما هو أفخم منه إلاَّ "**الكبيتول**" الذي يُعد الفخر الأبدي لمدينة روما*" (٢٥) وتمرّ بالحي ترعة "**شيديا**" من الجنوب ثم تتّجه شمالاً نحو حي الميدان.

ميناس: وكما أنني مُعجب جداً بمدينتي، فأنا أستريح أيضاً لمبانيها التي رُوعي فيها الاتجاهات الصحيحة، فأشعة الشمس تنفذ إلى داخل الحجرات شتاءً، كما أن الشوارع العرضية المُستقيمة تفسح المجال لنسيم البحر العليل أن يتخلّل المدينة بسهولة، والمنازل ترتفع إلى طابقين أو ثلاثة، وربما استُخدِمت بعض حجرات الدور الأرضي كحوانيت، وترى القباب والمظلاّت تعلو الأبواب، وألوان الجدران من الداخل مُشرِقة وزاهية ممّا يُريح النفس، والمنازل وفيرة الضوء والحرارة، تطل بعض حجراتها على مناظر جميلة، وبالمنزل الواحد تجد حجرة الجلوس الشرقية الشتوية المُشمسة، وحجرة الجلوس البحرية الصيفية، وحجرة النوم في الجزء الخلفي من المنزل حيث الهدوء، وهناك حجرة الخزين التي تصل إليها عن طريق ممرّ أو سلم بعيدة عن التلوث، وتحت المنازل

تجد خزانات المياه المُتّسعة التي تنتشر تحت المدينة بأكملها، يقف فيها الرَّجُل دون أن ينحني، ولا ننسى الإمبراطور أوغسطس سنة ١٠م الذي مدَّ مجرى مائي من ترعة شيديا إلى كل أجزاء المدينة.

ديمتري: إنني أستريح لمدينتي هذه أكثر من أي مدينة أخرى زرتها، وأرى أن اختيار "**الإسكندر الأكبر**" ومهندسه العبقري "**دينوقراطيس**" الرودسي (من جزيرة رودس) جاء موفّقاً تمام التوفيق، وأنا أعلم أن اختيار هذا المكان لم يأتِ جزافاً، ولعلّه توفّر في هذا المكان مزايا عديدة:

أولاً: تقع هذه المنطقة بين البحر وبين بحيرة مريوط ذات المياه العذبة، ففرع النيل الغربي من فروع النيل السبعة يصب في هذه البحيرة المُتسعة التي تستوعب كل المياه التي تأتي إليها من الفيضان، فلا تجد بجوانبها أيّة مُستنقعات تلوث الجو وتفسِده، كما أن الطمي الذي ينساب مع مياه الفيضان يزيد من أرض مريوط خصوبة، فمَنْ يقترب منا الآن لشطّ بحيرة مريوط له أن يتمتّع بالزهور الرائعة الألوان والروائح الشذية التي تُعْبَق المكان، ويرى الذهب الأصفر وهو يُدرّس بالنوارج، فإن قمح هذه المنطقة من أجود

الأصـناف، وأشـجار الفاكهـة هنـاك تُـذكّرنا بـالفردوس الأول. أمّـا عنـب مريـوط الـذي وصـل إلـى أكثـر مـن عشـرة أصـناف فلـه شـهرة كبيرة، ونبيذه فـاق أنبذة اليونـان وإيطاليـا، وبعـد أن كتـب "**أثينابـوس**" عـن كـروم مريـوط ونبيـذها تشـجع الرجـل اليونـاني "**جنـاكليس**" فـي إنشـاء تلـك المزرعـة الضـخمة التـي تحمل اسمه غرب الدلتا، وعلى شطّ بحيرة مريوط ينبت نبات البردي وعليه تقوم صناعة الورق وتُصدّر إلى الخارج، وعلى جوانـب البحيرة أيضـاً تجـد مصـانع الطـوب، وأمـاكن صـناعة الأواني الفخارية.

ثانيـاً: تـم شـق "**ترعـة شـيديا**" مـن فـرع النيـل الكـانوبي، فامتـدت حتـى جنـوب المدينـة ثـم اتجهـت شـمالاً إلـى مينـاء "**كيبوتوس**" ومن هذه الترعة ارتوت المدينة.

ثالثـاً: بُعـد هـذه المنطقـة عـن النهـر أبعـدها عـن الطمـي الذي يرسبه هذا النهر، ولا سيما أن التيار الرئيسـي أمام شطّ المدينة يتّجه من الغرب للشرق، فهو لن يسمح لطمـي الفرع الكانوبي للاقتراب للمدينة.

رابعـاً: هـذا المنطقـة كانـت تقـع بـين قريـة "**رع كـديت**" الفرعونيـة (راكـوتي) غربـاً، والتـي عـاش بهـا بعـض الرعـاة والمـزارعين، وقـد أقـام بهـا ملـوك الفراعنـة حاميـة عسـكرية

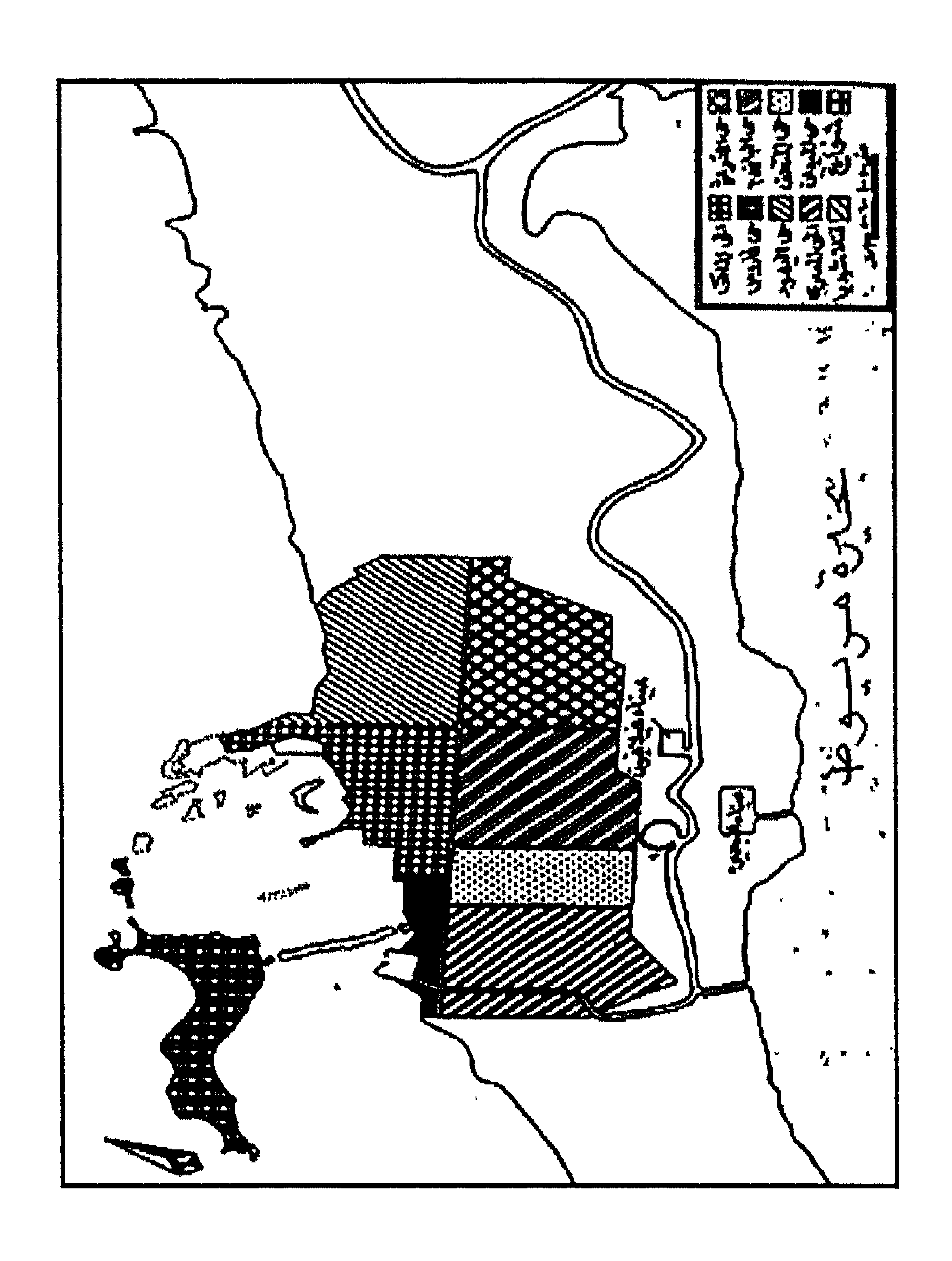
لحمايـة الحدود الغربيـة، وبين مدينـة "**كانوب**" القديمـة شرقاً، وبهذا توفّر العنصر البشري الذي سيُعمِّر المدينة.

خامساً: تقوم جزيرة فاروس بدور الحماية الطبيعيـة للسُّفن الداخلـة للمدينـة، وقيل أن الإسكنـدر كـان مُقتنعـاً تمامـاً بمـا قاله في القديم "**هوميروس**" عن هذه الجزيرة:

وسط البحار العظيمة التي تسبح مصر فيها

قامت جزيرة فاروس زائعة الصيت

لقد قام "**دينوقراطيس**" بتحديد حدود المدينة يوم ٢٥ طوبه سنة ٣٣١ ق.م، وكلَّف "**الإسكنـدر الأكبر**" وزير مالية مصـر "**كليومينيس**" لتمويل هذا المشروع الضـخم، واسـتمر العمـل لمـدة ثمـانين عامـاً، وكـل ملـك مـن ملـوك البطالمـة **الأوُل** يحاول أن يضيف جديداً للمدينـة، حتـى اكتملت بهذه الصـورة الرائعة الجميلة. فهنيئاً لنا بمدينتنا العظمى الإسكندرية.



خريطة أحياء الإسكندرية

إسكندر: ولا ننسى أيضاً ضواحي مدينتنا وأهمها:

١ ـ **ضاحيـة اليـوزيس:** (مستشفى المواساة والحضـرة والنزهـة) تقـع فـي الأطـراف الجنوبيـة، ويرتفـع مسـتواها عـن مستوى المدينـة بنحـو ١٢ متراً ممّا جعل الذين يبحثون عن الاستجمـام والراحـة يلجـأون إليهـا، وعندما أنشـأ "**بطليمـوس الثاني**" فلادلفوس بها معبداً صارت منطقة جذب سكانـي.

٢ ـ **ضـاحية تـابوزيريس:** وهـى أقـدم مـن الإسـكندرية، وتجد بها الآثار الفرعونية، وبها "**معبد أوزيريس**" الذي يقـع على ربوة عالية، وتقع الضاحية بعد كيلومتر ونصف شرقي المدينـة، وتطـل علـى بحيرة مريـوط التـي انتشـرت بها بعض الطيور بأعداد هائلة مثل أبي قردان الأبيض، وأبـي منجل، والنحـام (طـائر بحـري طويـل الـريش) والبجـع والسـمان وعصـفور التـين، فـالبحيرة غنيّـة ولـذلك يمـتهن سـكان تـابوزيريس مهنـة الصـيد، كمـا أنهـم يقومـون بزراعـة أشـجار التين والزيتون والكروم.

٣ ـ **ضاحية نكروبوليس:** أي مدينة الأموات وتقع جنوب غرب الإسكندرية مقابل نهايـة الشـارع السـابع، وهـى منطقـة مقابر، فقد اعتاد الإغريق على دفن موتاهم خارج أسوار المدينـة، وتُصـنع توابيـت الأغنيـاء مـن الجرانيـت الـوردي

المنقوش عليه بعض الرسومات، مثل الإله آمون (وهو الإله زيوس كما تصوّره الإغريق) وهم يضعون بالمدافن تماثيل للإله "**أنوبيس**" حارس الجبانات وهو يتّخذ شكل الكلب الحارس، ولا ننسى أن معدل الوفيات في مدينتنا مرتفع ولا سيما بين الأطفال، ومتوسط العمر أربعين سنة فقط، وهذه الضاحية لم تقتصر على المقابر فقط، بل زُرِعت بها الحدائق والبساتين بسبب موقعها المُتميّز، فالميناء النهري على بحيرة مريوط جنوبها، وميناء الإسكندرية البحري شمالها.

٤ ـ **ضاحية ماريا:** تقع جنوب المدينة وتطل على بحيرة مريوط، وعلى بُعد ٤ كم منها توجد داخل البحيرة جزيرة كبيرة، والمياه في بحيرة مريوط تعتمد ارتفاعاً وانخفاضاً على فيضان النيل، وحول هذه الضاحية تنتشر الحدائق حيث أشجار الفواكه المختلفة من تين ورُمان وكمثرى وتفاح ومشمش، وكروم، وزيتون، وتعتمد مدينتنا على فواكه تلك الضاحية بالأكثر، وأيضاً على الخضروات الطازجة التي تُزرَع في تلك الضاحية، وبالضاحية تجد ميناءً ضخماً يُشرف على بحيرة مريوط، فتجد المستودعات ومساكن الموظفين، ومعاصر الزيت والنبيذ، وأماكن تصنيع الأواني

الفخاريــة، والحمامــات العامــة، وبهــا عــدد لــيس بقليــل مــن القصــور، وأجملهــم القصــر الإمبراطــوري الــذي أُقــيم علــى عوامات وسط البحيرة.

ديمتري: ولا نستطيع أن نتغافل "**مدينة كانوب**" (أبي قير) وهى بـالطبع أقدم من مدينتنا الإسـكندرية، فكثيراً مـا ذهبتُ إليها، ورأيت فيها "**معبد أوزيريس**" فالمصريون يعتقدون أن "**إيزيس**" جمعت أشلاء زوجها "**أوزيريس**" ـ الذي قتله شقيقة "**ست**" طمعاً في المُلك ـ من عدة أماكن، وآخِر قطعة عَثَرت عليها فـي كـانوب، ولهذا أقاموا هذا المعبد الضـخم فـي ذاك المكان، وقد دُعيَ فيما بعد بِاسم "**سـارابيس**" أو "**السيرابيوم**" من بـاب التقريـب بين الديانتين الفرعونيـة والإغريقيـة، وأيضـاً بهـا "**معبـد الهيراكليـون**" المُخصّص لهرقل ويقـع بـالقرب من "**قدس الأقداس**" المُخصَّص للعائلة البطلمية، وقد رأيتُ أحد اللوحات الحجرية الضـخمة التـي تبلـغ أبعادها نحـو ٣ × ٦ م نُقِـش عليهـا بطليمـوس الثـامن وزوجتــاه كليوبــاترا الثانيــة والثالثــة، كمــا رأيــتُ تمثــالاً ضــخماً مــن الجرانيــت الــوردي بارتفاع ٥,٦٠ م لإله النيل (حابي) بشكل إنسان يحمل على يديه مائدة قرابين، وعلى رأسه تاج على شكل نبات البـردي رمـز النيـل، والـرأس مُغطّـى بغطـاء الـرأس الفرعـوني الـذي

يتدلّى على الكتفين، وأيضاً رأيتُ تمثالاً لإحدى ملكات البطالمة تتطابق مع الإلهة "**ايزيس**" وهى ترتدي رداءاً شفافاً، وشعرها مجدول في ضفائر، وتمثال لأحد الملوك البطالمة بطول ٥,٣ م يعلو رأسه التاج المزدوج، ويرتدي الملابس الملكية ويعلو الجبهة الثعبان المُقدَّس، وقد اعتاد ملوك البطالمة على صُنِع التماثيل الخاصّة بهم بنفس شكل وحجم التماثيل الفرعونية. وقد أُلحقت بالمدينة ضياعاً لإنتاج النبيذ والزيت.

وبطول الساحل من الإسكندرية إلى كانوب تجد الفيلات الفاخرة التي تضم أماكن للسياحة وأرصفة لصيد الأسماك، وقد اكتست أراضي هذه الفيلات بالموازييك الرائع الألوان، وأمام كانوب في عرض البحر ذهبتُ إلى "**جزيرة كانوبوس**" (جزيرة نلسون) ورأيتُ فوقها بعض المباني الضخمة التي أُنشئت منذ عصر البطالمة، وبها عدد قليل من السكان يعيشون على مهنة الصيد، ومن هذه الجزيرة يمدون السُّفن التي تمرّ عليهم بالمياه العذبة، وفيما قبل كانت "**كانوب**" تعتبر منطقة تجارية، ولكن الآن الإسكندرية خطفت منها الأضواء، ومع هذا فهى مازالت تجذب الكثيرين إليها بسبب هواءها النقي وفنادقها الضخمة وتوفّر وسائل الراحة والمُتعة،

فهي تمثِّل المكان المُفضّل للاستجمام للطبقة الأرستقراطية، وكل يوم ٢٩ كيهك تشهد "**كانوب**" احتفالات كبيرة بآلهتها، وتُقبِل الحشود من الإسكندرية بالمراكب والسُّفن عبر القناة المائية، فتزدحم المدينة، يأكلون الكعك الكانوبي والأسماك الطازجة والمحارات البحرية ويعزفون الموسيقى ويرقصون بلا تحفُّظ ويشربون النبيذ في كئوس من الفخار ذي الطلاء الأسود اللامع وعليها رسومات لبعض الراقصات، فصارت "**مدينة كانوب**" سيئة السُّمعة تمتزج فيها الخلاعة بعبادات الآلهة الوثنية بالسحر، وقد دعى الرومان الذين كرهوا الملكة كليوباترا ـ التي استحوذت على ملكهم "يوليوس قيصر" ـ بأنها "*الملكة الداعرة لكانوبوس الفاجرة*" وقال "**أوكتافيوس**" وهو يخطب في جنوده أن ماركوس أنطونيوس فقد صلاحيته كمواطن روماني وأصبح "*لاعب صاجات في كانوبوس*" وكتب "**سينيكا**" فيلسوف روما إلى صديقه "**لوتشيلوس**" يقول له "*أن الرَّجُل العاقل في اختياره للعزلة أو المأوى يجب أن يتجنّب كانوبوس*".

وبعد أن انتهى الأصدقاء من وضع خريطة الإسكندرية بشوارعها الطولية والعرضية، وأحياءها، وضواحيها، بدأوا في العمل الشاق الأكبر، وقد استعانوا بعدد كبير من الخدام

لحصر جميع المسيحيين في مدينة الإسكندرية، وسجّلوا ذلك في كتاب بعد أيام طويلة من الجهد الشاق المضني، وظهر خلال هذا الإحصاء عدد ليس بقليل من الأُسر المسيحية التي تحتاج إلى رعاية روحية أو مادية، أو تعاني من مشاكل مختلفة .. الخ، وقد تم تدوين جميع هذه الملاحظات قرين كل أسرة.

وكم كانت فرحة "**أبونا بطرس**" بهذا العمل، فأخذه على الفور مع الأصدقاء الأربعة، وقدّمه هدية إلى "**قداسة البابا ثاؤنا**" الذي تعجّب من هذا الجهد الجبار، وتلك الطاقات التي أُحسِن استخدامها، وشكر الأصدقاء على محبّتهم وغيرتهم، وقال "**ديمتري**": *يا سيدنا هذا عمل بسيط بجوار عمل قداستك في الرعاية والخدمة وبناء كاتدرائية الألف عمود*. فرد "**قداسة البابا**" على الفور: *"العمل عمل ربنا يا ابني، ونحن نفرح بعمله ونشكره عليه"*.

الفصل السادس: المُعلِّم العظيم

قبل أن يضع "**قداسة البابا ثاؤنا**" اليد على الشماس الشاب "**بطرس**" ليصبح قسّاً، تأكّد تماماً أن هذا الشماس قلبه ثابت في طريق البتولية، لأنه في السيامة يأخذ روح الأبوّة لكل الشعب، فلا يحلّ له الزواج، إذ كيف يتزوّج بواحدة من بناته، ولأجل هذا السبب فإن الكاهن الذي يسمح الله بانتقال زوجته لا يستطيع أن يتزوّج ثانية، والشماس "**بطرس**" قد وضع في قلبه طريق البتولية منذ سنوات طويلة، وكان يُدرك هذا عندما قَبِل درجة الشموسية وهى درجة كهنوتية وهو في الثانية عشرة من عمره.

وكم كانت فرحة مسيحي الإسكندرية بسيامة الشماس "**بطرس**" قساً، وترقية "**أبونا ثيؤودوسيوس**" قمصاً .. كانت الفرحة غامرة بالكاهن بن الكاهن، يوحنا المعمدان الجديد ابن زكريا الكاهن، البركة ابن البركة، ولم تشغل القسيسية "**أبونا بطرس**" عن تلمذته لقداسة البابا ثاؤنا، بل ظل قريباً منه قُرب التلميذ من مُعلِّمه يتعلّم من صمته قبل كلامه، ولم يبخل "**البابا ثاؤنا**" على أبونا بطرس بكلمة منفعة أو نصيحة ما، ولمح البابا عمل نعمة الكهنوت في أبونا "**القس بطرس**"

فكان يعتمد عليه في الأمور الجسيمة، ووضع "**البابا ثاؤنا**" في قلبه أنه متى خلت أسقفية فإنه سيسيم عليها أبونا بطرس.

وسلك "**أبونا بطرس**" في حياة التدقيق في كل أمور حياته الروحية والرعوية، يلاحظ نفسه والتعليم، فكان يقوم بخدمة الوعظ في الكاتدرائية، فتفيض عظاته روحانية وعِلماً وتعليماً، ولسانه الحَسن المنطق بهر جمهور المُصلِّين.
ووضع "**أبونا بطرس**" الاهتمام بخدمة الافتقاد في مقدمة اهتماماته، ولا سيما أن الإحصاء الدقيق الذي أجراه ديمتري وأصدقائه وخدام الكنيسة أفصح عن بعض الأُسَر التي تحتاج لرعاية خاصة، من أُسَر المعترفين وأُسَر الفقراء مادياً أو روحياً، بل اتضح أن هناك أُسَر قليلة مسيحية تعيش في الحي اليهودي وهي من أصل يهودي ونالت الصبغة المُقدَّسة خفية، وليس لها من يسأل عنها، وبدأ "**أبونا بطرس**" يُخصِّص وقتاً يومياً للافتقاد المُنظَّم، وقبل أن يدخل بيتاً يرجع للعمل الديمتري الذي بحوزة البابا فيعرف أصحاب البيت وأسمائهم وأعمارهم وأحوالهم، وبرع "**أبونا بطرس**" في خدمة الافتقاد، فظهرت وجوه جديدة لم تكن من قبل تعرف طريق العبادة المسيحية والاجتماعات الروحية، كما أن

الكاتدرائية الضخمة جذبت الآلاف من أبنائها في أحضانها، فمَنْ لم يأتِ للصلاة جاء ليرى هذا العمل المُعجزي، فيشعر بالفخر تجاه كنيسته ويعزم على عدم تركها قط بعد الآن.

وتمتّع "**أبونا بطرس**" بموهبة توظيف المواهب، فأخذ يكلّف الخدام بخدمات أكثر، واستأذن من أبيه الروحي "**قداسة البابا ثاؤنا**" لتكريس الأخّيْن "**إسكندر**" و "**أرشي**" للخدمة، فسامهما البابا ابيذياكونيان وتكرّسا للخدمة تماماً، فصار الشماس "**إسكندر**" الذراع الأيمن لأبونا بطرس يساعده في الافتقاد والخدمات الروحية، وحمل الشماس "**أرشي**" عبء العمل الإداري والمالي بروح التواضع والخدمة والتقوى مُتمثّلاً باسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء. وطلب "**أبونا بطرس**" من "**إسكندر**" وأصدقائه أن يكملوا العمل الذي بدأوه، فقاموا بعمل سجلاّت مُنفردة للمُعترفين الذين تعرّضوا للعذابات أو السجن أو النفي ولم يصلوا إلى درجة الاستشهاد، وأخرى للفقراء المُحتاجين مادياً، فسواء هؤلاء أو أولئك فقد أولاهم أبونا بطرس عناية واهتماماً خاصاً، كما اهتم الأخ "**أرشي**" بإنشاء سجلات للتبرُّعات وحسابات الكاتدرائية والأوقاف والمصروفات .. الخ وكل هذا سواء ما

فعله إسكندر أو أرشي كان موضع رضى "**الأب البطريرك**" وتلميذه "**أبونا بطرس**".

وصار "**أبونا بطرس**" مُعيناً للبابا في أمور شتى، لم يتخلّ عنه يوماً، وقبل أن يستدعيه البابا في أمر ما أو مشكلة يجده ماثلاً أمام يديه، يدرك ما يريده البابا تماماً وينفّذه بحسب مسرّة قلب البابا، فطاعته وحرصه الشديد على انهاء الخدمات التي يُكلّف بها على أحسن ما يكون، كان موضع رضى ومسرّة البابا.

وبالإضافة لأولويات "**أبونا بطرس**" بالافتقاد بصورة مُنتظمة مُستمرّة، ورعاية أُسَر المُعترفين الفقراء، فإنه وضع ضمن هذه الأولويات أيضاً الاهتمام بـ "**مدرسة الإسكندرية اللاهوتية**"، فسهر على النهوض بها عن طريق محاضراته وعلمه الغزير، وأيضاً عن طريق تكليف مُدرِّسين جُدُد أكفاء للتدريس بها، فهذه المدرسة التي بدأت الدراسة فيها عن طريق السؤال والجواب أصبح لها منهجها على يد العلاّمة أوريجانوس، ولم تكتفِ المدرسة بتدريس الأمور اللاهوتية فقط، بل قامت بتدريس الفلسفة والمنطق والفَلَك والكيمياء والجغرافيا والتاريخ.. الخ. ولهذا عيّنه البابا مُديراً لهذه المدرسة العريقة التي تمتد جذورها إلى مارمرقس، وطالما

دَرَسَ ودرَّس بها عمالقة، وطالما جذبت الكثيرين من طلاب الفلسفة والبلاغة والعلوم على أيدي أثيناغوراس وبنتينوس واكليمنضس السكندري والعلاّمة أوريجانوس.

ولاحظ "**أبونا بطرس**" أن هناك الكثيرين من غير المؤمنين الذين يعبدون الأوثان في سذاجة، فألّف كتاباً أوضح فيه مدى الضلال في العقائد الوثنية، فليس من المعقول أن يكون هناك أكثر من إله، وإلاَّ تضاربت مشيئاتهم وقراراتهم، وأظهر "**أبونا بطرس**" أن عبادة الأوثان هى عبادة شيطانية، فخلف كل وثن شيطان، ولذلك ارتبطت هذه العبادات بالسحر والعِرافة، والانحلال الخلقي، بل وصل الأمر إلى تقديم ذبائح بشرية لهذه الآلهة الكاذبة، فمثل هذه العبادات الفاسدة تُفسِد العقل وتشوِّش الفكر، وأوضح "**أبونا بطرس**" عظمة الإنسان وكرامته في المسيحية، فهو المخلوق الوحيد على صورة الله ومثاله، وأن الحرية الحقيقية لن تجدها إلاَّ في المسيحية، حيث الحريّة المُنضبطة وليست الحريّة المُنفلتة التي تجعل الإنسان أسيراً لشرّه وشيطانه..

وكان "**البابا ثاؤنا**" يثق في "**أبونا بطرس**" ذلك الإناء المُختار للرُّوح القُدُس فيفوِّضه في المهام الصعبة، ففي أحد أيام الآحاد عقب انتهاء القداس الإلهي، بدأ الشعب ينصرف

من الكاتدرائية، وإذ بالبعض يفرّ هارباً والآخر يعود أدراجه إلى داخل الكنيسة مُنزعجاً، فإن أحد الأشخاص بالخارج في انتظارهم يزأر كالأسد، ويرشقهم بالأحجار والزلط، وتكاد أنك لا ترى يديه من سرعة الأداء وقوّته، فحدث هرج ومرج وكل من أُصيب كان يصرخ، وعندما وقف "**قداسة البابا ثاؤنا**" على الحدث لم يأمر شعبه بالتقهقر وإغلاق الأبواب، إنما أوفد الجندي الشجاع "**أبونا بطرس**" ليوقف هذا الشر، ووقف "**أبونا بطرس**" حائراً لحيظة، فكيف ينتهر الرُّوح النجس في وجود البابا، ومن جانب آخر كيف يتأخر ولو للحظة في تنفيذ كلمة البابا، وللوقت بنعمة الله الحالة فيه حلَّ هذه المُعضلة، فأسرع بإحضار إناء ماء وطلب من قداسة البابا أن يرشم بصليبه هذا الماء، فرشم البابا الماء بالصليب ونفخ فيه، وفي جرأة فريدة اقتحم "**أبونا بطرس**" المنطقة الخطرة، والأمر المُدهِش أن الزلط كان ينهال على أبونا بطرس، وبدلاً من أن زلطة تهشم رأسه أو أخرى تحطم عظمة من عظامه، فإذ بهذا الزلط ينحرف يميناً ويساراً وأعلى وأسفل، ولا واحدة أصابت ذاك البطل الشجاع، وأمسى هذا الروح النجس في مواجهة الرُّوح القُدُس الساكن في قديس الله، وللوقت طسَّ "**أبونا بطرس**" الرَّجُل بالماء في وجهه وهو

يقول له بثقة تامة وإيمان كامل: "*بِاسم سيدي يسوع المسيح ابن الله الحي، الذي أخرج لجيئون وأبرأ المرضى. أُخرج منه أيها الشيطان بصلوات القديس ثاؤنا البطريرك، ولا تَعُد إليه*" وإذ بالرُّوح النجس يزأر مثل الأسد الجريح، ويُفارق الرَّجُل، الذي عاد لوعيه وكأنه كان مُغيَّباً .. بدأ يهز رأسه وكأنه استيقظ من نوم عميق إثر صدمة قوية، وإذ به أمام كاهن الله الذي يرتدي ملابس الخدمة البيضاء بوجهه البشوش، فينحني أمامه يُقبِّل يديه ويقدِّم اعتذاراته السريعة المُتكرِّرة: "*سامحني يا أبي .. اغفر لي يا أبي*" وسالت الدموع من عينيْه، وإذ بأبونا بطرس يضُمه لأحضانه ويهمس في أذنه: "*ارجع عن شرورك يا ابني لئلاّ يكون لك أشرّ*" واصطحبه إلى الكاتدرائية، فغسل الرَّجُل وجهه وسلَّم على "**قداسة البابا ثاؤنا**" الذي رحّب به بشدة وكأنه ضيف عزيز، فيهمس في أذن البابا قائلاً:

"*كنت أُقدِّم طقوس العبادة في بيتي لحتحور (البقرة المُقدَّسة) وتلوثُ عدة عزائم لحضور رئيس الشياطين، فحضر، ولم أستطِع أن أصرفه، لأنه دخل مع ملائكته وسكن داخلي، فكان يدفعني لإيذاء الآخرين*"، فسلَّمه الباب لأبونا بطرس الذي أوضح له ضلال السحر وعبادة الأوثان،

فتاب، وعمَّدهُ، وصار ملازماً للكنيسة كخادم أمين يحرس بوابة الكاتدرائية بلا مقابل.

ومرَّت الأيام والسنون، و"**أبونا بطرس**" يلازم "**قداسة البابا ثاؤنا**" يتتلمذ على يديه، ويتعلّم منه سِعة الأُفق وقداسة السيرة، لا يتكلّم في حضرة قداسة البابا إلاَّ إذا طُلِب منه، ويجيب بقدر المطلوب، وإن حَمل خبراً إلى البابا مهما كان هذا الخبر مُزعجاً يستطيع بحكمة عجيبة أن يُقدِّمه بصورة بسيطة لطيفة، لأنه يعلم أن قوى السماء تُعضِّد أبيه، وفي ذات يوم جاء إلى فناء الكاتدرائية الأسقف "**سابليوس**" على رأس عدد ليس بقليل من أتباعه، ولم يشأ أن يقترب من "**القلاية البطريركية**" بل أرسل للبابا يقول: "*أُخرج وناظرني في هذا اليوم، فإن كنتَ على صواب أتبعك، وإلاَّ فأعلِم الشعب أنك على خطأ*".

كان "**سابليوس**" قد تربّى في روما، وتتلمذ على يد "**تومئيتوس**" الهرطوقي، وأخذ منه تعاليمه بأن الله أقنوم واحد، وسِيمَ "**سابليوس**" أسقفاً لبطولمايس Ptolemais وهو ميناء يتبع "**بانتابوليس**" (الخمس مدن الغربية) المُمتدة من طرابلس (الغرب) إلى إقليم مريوط، ولم يعترف بالآب والابن والرُّوح القُدُس، فقال إن الله أعطى الناموس لإسرائيل في

العهد القديم بصفته الآب، وظهر في شكل إنسان في العهد الجديد بصفته الابن، وحلَّ على الرُّسل الأطهار بصفته الروح القدس، فالآب والابن والروح القدس مُجرّد مسميات أُطلقت على ثلاث أدوار قام بها الله الواحد، أو بمعنى آخر ثلاث صور عبَّر بها الله عن نفسه للبشرية، أو ثلاثة أشكال Modes لإعلان الله الذاتي، ودُعيت عقيدته هذه بالسابلية Sebellianism أو Modalism، ودُعيَ أصحابها بـ "**مؤلمي الآب**" Patripassiono لأنهم ادَّعوا أن الآب هو الذي صُلِبَ وتألّم، ولم يكُف "**سابليوس**" عن نشر هرطقته رغم أن "**البابا ديونسيوس**" كان قد عقد مجمعاً سنة ٢٦١م وحكم عليه بالحرم. وقال "**قداسة البابا ثاؤنا**": "*يا أبونا بطرس أُخرج إلى هذا الرَّجُل الهرطوقي وأسكته*".

وعلى الفور انحنى "**أبونا بطرس**" أمام قداسة البابا طالباً صلواته، وخرج في هدوء إلى الأسقف المُتعجرف، الذي ما أن رآه حتى استصغره في عينيه قائلاً لأتباعه: "*انظروا إلى صلف ثاؤنا الذي لم يخرج إلينا، بل أرسل لنا بأقل من عنده من الصبيان الصغار*".

فقال "**أبونا بطرس**": "*إن كنتُ أمامك صغيراً ولكنني عند أبي ثاؤنا كبيراً*".

ولم يلتفت "**أبونا بطرس**" إلى نظرات الحاقدين الشامتين المُتحفّزين، ولا إلى نظرات الاستصغار والاحتقار التي باتت واضحة في أعين سابليوس وأتباعه، إنّما بدأ يشرح في ثقة عقيدة الثالوث القُدوس قائلاً: عندما نبحث عن الله نجده واحداً لا غير، لا شريك له، ولا إله غيره، هو الله الواحد، بلاهوت واحد، طبيعة إلهيَّة واحدة، جوهر إلهي واحد، كيان إلهي واحد، ذات إلهية واحدة، فوحدانية الله هو الدرس الأول الذي علّمه الله للبشرية منذ عصر الآباء، وهو الذي تؤيده عشرات الآيات من العهد القديم والعهد الجديد أيضاً.

ولكن عندما نتأمّل في الله الواحد، لا نجد وحدانيته وحدانية صامدة جامدة، إنها وحدانية جامعة شاملة، بها الوجود والعقل والحياة، فهي وحدانية موجودة عاقلة حيّة، وحدانية فيها الأبوة والبنوة والانبثاق، الآب والابن والروح القُدُس، وهذا هو الدرس الثاني الذي ميّزنا به الله كمسيحيين عن اليهود، وكلمة "**أقنوم**" كلمة سريانية تعني "*ما يتميّز عن غيره بدون انفصال*" فالآب يتمايز عن الابن وعن الروح القدس، وهكذا الابن يتمايز عن الآب والروح القدس، وأيضاً الروح القدس يتمايز عن الآب والابن، ولكن بدون انفصال، فالآب في الابن والابن في الآب، والروح القدس روح الآب والابن.

وقد أكّد الإنجيل لنا مِراراً وتكراراً أن كل أقنوم هو: *"كائن، حي، قدير، غير مُنفصل، يعبِّر عن نفسه"*، فالآب كائن منذ الأزل، حي، قادر على كل شيء، غير مُنفصل عن الابن والرُّوح القُدُس، يُعبِّر عن نفسه، فيقول: ***"هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت"***. وهكذا الابن كائن ومخارجه من أيام الأزل، حي، قادر على كل شيء، غير مُنفصل عن الآب وعن الروح القدس، ولذلك كثيراً ما كان يؤكِّد هذه الحقيقة قائلاً: ***"أنا في الآب والآب فيَّ"*** ويُعبِّر عن نفسه، فيخاطب الآب: ***"يا أبتاه اغفر لهم لأنه لا يعلمون ماذا يفعلون"*** ومن الممكن أن الابن يخاطب الآب قائلاً: ***"مجِّدني بالمجد الذي لي عندك قبل تأسيس العالم"*** ويرد عليه الآب ***"مجّدتُ وأُمجِّد أيضاً"***، وهكذا الرُّوح القُدُس هو روح الله الأزلي، الحي ومُعطي الحياة، قادر على كل شيء، غير مُنفصل عن الآب والابن، لأنه هو روح الآب وروح الابن أيضاً، ويُعبِّر عن نفسه، فيقول مثلاً: ***"أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه"***.

و"**الإنسان**" الذي جُبِل على صورة الله ومثاله نجد فيه التثليث والتوحيد، فالإنسان واحد، والإنسان الواحد فيه الجسد وفيه العقل وفيه الرُّوح، والجسد غير الرُّوح والرُّوح غير

الجسد، بدليل أن الرُّوح عندما تُفارق الجسد لا يعد الإنسان إنساناً إنما يصير جثماناً، و"**الشمس**" التي هى إحدى خلائق الله، وليست إلهاً كقول المصريين أنه الإله "**رع**"، نرى في الشمس الواحدة قرص الشمس والضوء والحرارة، وكل منهما غير الآخر، والثلاثة هُم شمس واحدة، وهكذا "**النار**" .. الخ.

وأفاض "**أبونا بطرس**" في الحديث عن التثليث والتوحيد مُستشهداً بآيات من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، وركّز على أحداث عيد الثيئوفانيا، حيث سُمِع صوت الآب من السماء "***هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت***" والابن قائم في الماء، والرُّوح القُدُس في الهواء حالاً على الابن على شكل حمامة، ووصية السيّد المسيح لتلاميذه بعد القيامة وقبل الصعود عندما أوصاهم أن يكرزوا للخليقة كلها وأن يتلمذوهم ويعمِّدونهم "***بِاسم الآب والابن والروح القدس***" فقوله "***بِاسم***" إشارة للوحدانية، وقوله "***الآب والابن والروح القدس***" تأكيد على التثليث، ولو كان الآب هو الابن هو الرُّوح القُدُس، والموضوع مجرّد تسميات ما كان هناك داعٍ لذكر الثلاثة، ولاكتفوا في العماد بالقول "*بِاسم الله الواحد*".

وإذ تكلَّم الرُّوح القُدُس على فم أبينا بطرس، جاءت الكلمات مُعبِّرة والأفكار مُرتبة، وأُصيب الأسقف بربكة وقد

جحظت عيناه، فلم يفق من ضربة إلاَّ ويأخذ الأخرى، بينما وقف أتباعه يتعجّبون ويتهامسون: "*الموضوع واضح وضوح الشمس .. فعلام هذا الغموض الذي عشنا فيه ؟!..*

فقال "**أبونا بطرس**" لهم: "*إن كان عندكم ما تقولونه فقولوه، وإلاَّ فاسكتوا ولا تجدِّفوا*" ..

لقد سكتوا فعلاً، ولكن تعلُّقهم بسابليوس منعهم من الانقلاب عليه ورفض هرطقته.. إنهم يعيشون حياة الرياء، وتظاهرهم بأنهم الأتباع الأوفياء لسابليوس لم يمنع بعضهم من أن يتهامس: "*من هذا القس العجيب الذي جعل الأسد أرنباً*".

وانصرف "**سابليوس**" وأتباعه، مُتمسِّكاً بكبريائيه، رافضاً التخلِّي عن هرطقته، بينما كان ينمو "**أبونا بطرس**" في النعمة وحياة الإتضاع يوماً فيوماً، وفي ذات يوم رأى "**السيد المسيح**" له المجد قائماً على المذبح، ينهي "**البابا ثاؤنا**" عن مناولة الأسرار المُقدَّسة لإنسان يصر على شره، ويقول له: "*يا رئيس الأساقفة، لا تناوله لأنه لا يستحق أن يأخذ جسدي المُقدَّس*" فارتدت يد البابا ثاؤنا بالجسد المقدَّس، وهو يهمس في أذن الرَّجُل بحنان بالغ: "*يا ابني لا تستطيع أن تتناول من هذه الأسرار إن لم تتطهّر أولاً من خطاياك*"

وعقب نهاية القداس أنذر "**البابا ثاؤنا**" شعبه قائلاً: "*يا أولادي في كل مرّة يمنحكم الرب التوبة في محبته للبشر، طهّروا أنفسكم قبل أن تتقدّموا، خشية أن تأخذوا عقاباً عظيماً بدلاً من المغفرة*" [٢٦].

ديمتري: لا أستطيع أن أخفي إعجابي الشديد بأبينا الحبيب بطرس، فمحبّته تغمرنا، وعلمه يُنير عقولنا .. انصتوا إلى محاضراته الجامعة الشاملة، الكاملة الوافية، التي تجمع ما هو عقيدي مع ما هو روحي، وكتابي، وتاريخي، ومنطق، ولكن للأسف الشديد فما زال عقلي يقف مقابلي، إنني أقبل التثليث والتوحيد في الذات الإلهيَّة، ولكن "***يهوه يصير عبداً !! .. يهوه يُضرب ويُهان ويُعرى ويُصلب ويموت !! أين كرامته ؟! وأين ملائكته؟!!*** " .. لا أستطيع أن أقبل العماد إن لم يكن إيماني كاملاً، حتى لا أُحسب مُرائياً.

أرشي: سيأتي الوقت الذي تؤمن فيه يا ديمتري، ويكون إيمانك عظيماً.

ديمتري: متى يكون هذا والأيام تكُرّ والسنون تفر؟

أرشي: إلهنا المُحبّ الذي لا ينسى أجر مَنْ يسقي أحد الصغار كأس ماء بارد من أجل اسمه .. هل تظن أنه ينسى

محبّتك وتعبك وأعمالك وخدماتك وتضحياتك ومحبتك؟!! .. كُن مطمئن تماماً من جهة هذا الأمر.

ديمتري: إنني لن أنقطع عن المدرسة اللاهوتية .. كم نشكر الله عليها.

أرشي: عندما جاء مارمرقس إلينا منذ أكثر من مائتي عام وجد بها تيارات فلسفية مختلفة من يونانية، وشرقية، وفارسية، ويهودية، وأفلاطونية حديثة تجمع بين الفلسفات اليونانية والرومانية (Greco - Roman) كما وجد ديانات عديدة، ومكتبة عالمية، و"ميوزيوم" عبارة عن أكاديمية عظيمة، فكان من الصعب قبول الديانة المسيحية الجديدة، ولا سيما أن لها ارتباط باليهودية، بينما الإسكندريون يكرهون اليهود. كما أن السكندريين شغوفين بالأمور الفلسفية والعقلانية، حتى أن الذين قبلوا الإيمان المسيحي ظلّ معظمهم يرتاد المدرسة الفلسفية والعلمية الوثنية، يستمع للمحاضرات التي يلقيها أساطين الفلسفة الوثنية، ولذلك حرص كاروز الديار المصرية على أن يُنشيء "**مدرسة لاهوتية**" وليس لتعليم الإيمان المسيحي فقط، بل للرد على الهجمات التي يقودها الفلاسفة ورجال الدين ورجال السُّلطة الوثنيين، وأيضاً لدراسة هذه الفلسفات وتلك الأديان، وكشف

ما فيها من زور وبهتان ينطلي على عقل البسطاء، وعلى حد تعبير "فارر" Farar الذي قال "*ففي مدينة مثل هذه (الإسكندرية) بمتحفها ومكتباتها ومحاضراتها ومدارسها الفلسفية ومجامعها اليهودية الفخمة وملحديها العلنيين وأفكارها الشرقية الباطنية العميقة، لا يحمل فيها الإنجيل قوة إن لم يكن قادراً على خلق مُعلمين قادرين على مجابهة فلاسفة وثنيين ويهود أفلاطونيين وشرقيين اختاروا خليطاً من الفلسفات، يجابهونهم بذات أُسسهم. فإن مثل هؤلاء المُفكرين يرفضون الإنصات لِمَنْ هم غير قادرين على فَهْم أفكارهم والاهتمام بما ينشغلون به وتفنيد حُججهم الأساسية، بهذا يلتقون بهم بروح مسيحي لطيف*" (٢٧).

لقد صارت "**مدرسة إسكندرية اللاهوتية**" منارة بمدينة الإسكندرية التي أضاءت سمائها وسط غياهب وظلمات الفلسفات والأديان الوثنية، وصارت هذه المدرسة تمثِّل المركز الأول في العالم للدراسات اللاهوتية بلا مُنافس، وصارت أقدم مدرسة في التاريخ المسيحي، ومنها انطلق التفسير الرمزي للكتاب المُقدَّس، ودُعيت بـ "**الكاتشيس**" لأن التعليم فيها كان يتم بالسؤال والجواب، وهى مدرسة بحثية يرشد فيها المُعلِّمون الطلبة لمدارس الفلسفات المختلفة،

ويساعدونهم على اختيار ما هو نقي وطاهر وحق، ورفض كل ما هو باطل، وقد تميَّز طلبة المدرسة وأساتذتها بسمو الأخلاق وضبط النفس والتمسُّك بالفضيلة، فقد جمعت المدرسة بين الدراسة النظرية والحياة العملية المسيحية، وامتازت الدراسة فيها بحياة التلمذة، فالمدرسة هى المُعلِّم، وحيثما وُجِد المُعلِّم وُجِدت المدرسة، وبينما لمدرسة الإسكندرية العلمية (الموزيوم) مبانيها الضخمة وقاعاتها الفسيحة، وطالما حظت بدعم الدولة المالي والأدبي ولا سيما في عصر ملوك البطالمة، فإن مدرسة إسكندرية اللاهوتية ليس لها مبنى، فيجتمع طلبتها في بيت أو في ركن من أركان الكاتدرائية، وكان أوريجانوس يؤجِّر القاعات لإلقاء المحاضرات التي يلقيها ويحضرها حشد كبير.

إن هذه المدرسة العظيمة أروت ظمأ الكثيرين للمعرفة الحقانية، كما أن اهتمامها بالفلسفات اليونانية واحترام ما جاء فيها من بصيص من الحق دلَّ على سعة أُفق مديريها، وبهذا ربحت نفوس كثيرة من الفلاسفة، كما درس طلبتها بجوار العلوم اللاهوتية بعض العلوم الأخرى مثل الفَلَك والهندسة وغيرهما كعلوم تمجد اسم الله، وأيضاً من مُميّزات مدرستنا اللاهوتية أنها ضمّت الجنسين من رجال ونساء، بل

ضمّت الأحرار والعبيد، فصارت بشكلها هذا **كرازة عملية** للكل.

إسكندر: دعوني أخبركم بأمر لطيف، وهو أن محاضرة "**أبونا بطرس**" في مساء هذا اليوم ستدور حول بعض مديري المدرسة اللاهونية، ولا سيما أن بعضهم صاروا بطاركة لكنيستنا العريقة .. هل تذكر يا أخ ديمتري عندما سألت عن الأسباب التي من أجلها يضطهدنا الأباطرة، وعندما حضرت معنا المحاضرة الأولى لأبونا بطرس وجدته يتحدّث عن ذات الموضوع .. يبدو واضحاً أن روح الله القُدوس ينظر إلى اشتياقاتك يا أخ ديمتري ويُعطيك حسب سؤل قلبك.

وفي المساء كان الإصدقاء من أوائل الذين حضروا إلى كاتدرائية الألف عمود، حيث هيأوا مكانا لمحاضرة أبونا بطرس مدير المدرسة اللاهوتية، وتحدَّث أبونا بطرس والمكان يلفّه الصمت:

دعوني يا أخوتي الأحباء أُحدِّثكم في سطور قليلة عن **خمسة آباء من آباء مدرستنا اللاهوتية**، بحسبما يسمح الوقت .. هؤلاء الآباء العمالقة الذين نتتلمذ على أقوالهم يوماً فيوماً ونرتوي من ينابيع الرُوح القُدُس التي فاضت على ألسنتهم، ونقتدي بسيرتهم الطاهرة:

أولاً: العلاّمة أثيناغوراس

هو من مشاهير المدرسة الوثنية، إذ كان يرأس أحد كراسي الأكاديمية (الموزيوم) بالإسكندرية، ويعتبر من أساطين الديانة المصرية الوثنية، وقد دَرَسَ المسيحية بهدف نقدها وإظهار عيوبها، وإذ بالمسيحية تجتذبه بشباك الحُب الإلهي، فقَبِلَ الإيمان المسيحي سنة ١٧٦م وتقدَّم في العلوم المسيحية حتى صار عميداً لمدرستنا اللاهوتية، دون أن يخلع عنه رداء الفلسفة، إنما استخدم الفلسفة ببراعة ليكشف عن التناقضات التي فيها.

ويُعد "أثيناغوراس" من الآباء المُدافعين الذين دافعوا عن المسيحية والمسيحيين، فكتب رسالة إلى الإمبراطور "**مرقس أوريليوس**" نحو سنة ١٧٦م يفنّد فيها الاتهامات التي وُجِّهت لنا كمسيحيين وأهمها:

١ ـ **اتهامنا بالإلحاد** لأننا لا نؤلّه الإمبراطور، ولا نسجد لتمثاله، ولا نشارك الشعب احتفالاتهم الطقسية، فأوضح "**أثيناغوراس**" بأن المسيحي يؤمن بوحدانية الله، ولا يؤمن بتعدُّد الآلهة، وأن هذا يتّفق مع بعض الفلاسفة اليونان، والمسيحي يعبد الخالق ولا يعبد المخلوقات، والإمبراطور له كرامته ولكن ليس إلهاً يُعبد.

٢ـ اتهامنا بأكل لحوم البشر وشرب دماء الأطفال، لفهم الوثنيين الخاطئ عن سرّ الإفخارستيا، فتساءل "**أثيناغوراس**": لو أننا نفعل هكذا فلماذا لم نُضبط في قضية قتل واحدة ؟! بل أننا نفزع من مناظر الإعدام، وكذلك من مُصارعة الحيوانات الضارية، تلك المناظر التي يتلذّذ الوثنيين بمشاهدتها، وإذا كنا نعتبر الإجهاض قتلاً، فكيف نقتل الأطفال ونشرب دمائهم ؟! وإن كنا نحب الجميع حتى أعدائنا فكيف نقتل أحداً ؟!

٣ـ اتهام المسيحيين بالإنحلال الخُلقي لأن اجتماعاتنا ومدرستنا اللاهوتية تجمع الجنسين معاً رجالاً ونساءً، فأوضح " **أثيناغوراس**" أننا نؤمن بأن الله يطلع على أفكار وحركات قلوبنا ونظراتنا، فكيف نجرؤ على ارتكاب الشر وممارسة الإباحية ؟ .. إننا نُقدّس الحياة الروحية، ولا نعترف بزواج المحارم، ونرفض الطلاق، ونمجِّد البتولية، بينما يؤمن اليونانيون بأن كبير آلهتهم "**زيوس**" قد أنجب أولاداً من أُمّه "**ريا**" وابنته "**كوريا**" واتخذ أخته زوجة.

٤ـ اتهامنا بأننا نعادي الدولة، بينما نحن نصلّي من أجل سلام المملكة وسلام الملوك والأباطرة والرؤساء، وأن ينعم الله على الإمبراطور بالسلام والعمر المديد.

وعندما شكَّك البعض في قيامة الأجساد في اليوم الأخير، كتب "**أثيناغوراس**" كتاباً عن حقيقة قيامة الأموات، مُستخدماً الفلسفة في إثبات هذه الحقيقة، ومن الأدلة التي ساقها على هذه الحقيقة:

١ ـ الله الذي خَلَقَ الأجساد من العدم يستطيع أن يُقيمها بعد تحلُّلها.

٢ ـ خلق الله الإنسان كائناً حيّاً عاقلاً فليس من المعقول أن يكون الموت هو النهاية.

٣ ـ يتكوّن الإنسان من الروح والجسد، والموت يُحطِّم هذه الوحدة، والقيامة تعيدها من جديد.

٤ ـ كما اشترك الجسد والروح في أعمال الخير أو الشر، فمن العدل أن يُكافئا معاً أو يُعاقبا معاً.

٥ ـ خَلَقَ الله الإنسان من أجل السعادة الأبدية التي لا تتحقّق هنا، إنّما تتحقّق في الحياة الأخرى.

والكنيسة التي لم تعرف أنْ تجامل أحداً على حساب الحق، لم تقبل قول "**أثيناغوراس**" عندما نسب سقوط الشيطان إلى علاقة شهوانية مع بنات الناس نتج عنها الجبابرة، بالإضافة إلى أمور أخرى، ولذلك دعته الكنيسة "**العلاّمة**" ولم تدعه بالقديس.

ثانياً: القديس بنتينوس

وُلِد في الإسكندرية، وكان فيلسوفاً رواقيا مشهوراً، والفلسفة الرواقية تركّز على الفضيلة والأخلاق، ثم تعلّم في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، وآمن على يد الفيلسوف "**أثيناغوراس**"، وصار مديراً لمدرستنا اللاهوتية خلفاً لأثيناغوراس سنة ١٨١م، ولم يكن "**بنتينوس**" مُجرّد مُعلِّم إنما كان على درجة عالية من العلم والمعرفة من جانب، ومن جانب آخر كان مُعيناً للكثيرين فيهتم بخلاص كل إنسان، فأحبّه السكندريون ودعوه "بنتينوسنا" أي بنتينوس ملكاً لنا. استمع إليه بعض التجار الهنود في الإسكندرية فطلبوا من البابا أن يُرسله إلى الهند ليَكرز هناك، وفعلاً ترك رئاسة المدرسة اللاهوتية في يد "**أكليمنضس**" وسافر إلى الهند، فكرز لهم، وهناك وجد إنجيل متى الذي كتبه القديس متى باللغة العبرية، وكان قد حمله إلى هناك "**القديس برثولماوس**" الذي بشّرهم بالمسيحية، وفي عودة "**بنتينوس**" مرَّ على أثيوبيا، وبلاد العرب واليمن وكَرز هناك، وعندما عاد إلى الإسكندرية عاد إلى رئاسة المدرسة اللاهوتية.

ويرجع الفضل للقديس "**بنتينوس**" في الأبجدية القبطية، إذ إستخدم الحروف اليونانية بدلاً من الحروف الهيروغليفية،

وأضاف إليها سبعة حروف من اللهجة الديموطيقية القديمة، وقام بترجمة الكتاب المُقدَّس للغة القبطية وقد عاونه في هذا تلميذيه "**أكليمنضس**" و"**أوريجانوس**" .. "*وكان أول وأعظم أعمال اللغة القبطية أنها نقلت الإنجيل إلى المصريين في لغة مصرية وثوب مصري، ليس بالأجنبي اليوناني أو اللاتيني، ولعل هذا من الأسباب التي جعلت المسيحية تنتشر بين المصريين جميعاً كعقيدة شعبية*" (٢٨). وقدَّم "**بنتينوس**" شرحاً لكل أسفار الكتاب المُقدَّس شفاهة وكتابة، حتى دُعيَ "شارح كلمة الله".

ثالثاً: القديس أكليمنضس السكندري

وُلِد "**تيطس فلافيوس اكليمنضس**" سنة ١٥٠م من أبويْن وثنيّيْن، وتبحّر في الفلسفة اليونانية والأدب، وكان دائب البحث عن الله فسافر إلى إيطاليا وسوريا وفلسطين، ثم جاء إلى الإسكندرية واستمع لعظات "**بنتينوس**" فافتتن به، وآمن واعتمد وتتلمذ على يديه وصار مُساعداً له، وامتدحه كأعظم وأكمل مُعلِّم فقال "*التقيت بالأخير مُصادفة، لكنه كان الأول من حيث الاستحقاق، وجدته أخيراً في مصر مُختبئاً. إنه بحق النحلة الصقلية، يقتطف من كل الزهور من مروج*

الأنبياء والرُّسل، ويودِع في نفوس سامعين ذخيرة معرفة غير فاسدة" [٢٩]. وعندما سافر مُعلِّمه بنتينوس إلى الهند عهد له برئاسة المدرسة اللاهوتية سنة ١٩٠م.

ويُعد القديس "**أكليمنضس**" رائد الثقافة المسيحية، وأب الفلسفة المسيحية السكندرية، وقد حاول أن يصلح بين الفلسفة والدين، فلم يرفض الحق الذي في الفلسفة إنما رفض الباطل الذي فيها، فقد كان ضليعاً في دراسة الفلسفة والتاريخ اليوناني، والشعر، والأدب، والمنطق، والموسيقى، بالإضافة إلى معارفه الكبيرة بأسفار الكتاب المُقدَّس، فكان موسوعة مُتحرِّكة، وعِوضاً أن يهاجم الغنوسية بكل مذاهبها، نادى بغنوسية أرثوذكسية إنجيلية، وقال: "*لا إيمان بغير معرفة ولا معرفة بغير إيمان*" [٣٠] .. لقد أراد أن يكون كل إنسان مسيحي "غنوسياً" أي "عارفاً".

وجمع القديس أكليمنضس بين المعرفة والتقوى، ومزج الدراسة بالكرازة، فكان هو راعي النفوس المُثقَّف التقي، وفي سنة ٢٠٢م عندما اضطهد "**سبتيموس سويرس**" المسيحيين ترك الإسكندرية، وسافر إلى فلسطين مُفضِّلاً أن يعيش مُتخفّياً حتى نياحته بعد أن ترك بصمات واضحة في التاريخ الكنسي، وقد كتب ثلاثة كتب تُعرف بثالوث أكليمنضس.

١ ـ نصح لليونانيين: فمشيئة الله أن يَخلُص الإنسان من براثن الوثنية، وهاجم أكليمنضس العبادات الوثنية وأساطيرها من خلال كتابات الفلاسفة اليونانيين أنفسهم، وفي هذا الكتاب قارن بين أعمال المسيحيين الفاضلة وبين أعمال الوثنيين الفاضحة، وأوضح أن المسيحية هي التي تحل الإنسان من رباطات الشياطين، وتسمو به إلى السماء، ودعى هذا الكتاب بـ "تحريض الأُمم" لهجر الوثنية.

٢ ـ المُربّي: أو المُرشد، ويتكوّن من ثلاثة أجزاء، تُعين الذين هجروا الوثنية على السير في الحياة الأخلاقية الفاضلة، فشمل الكتاب وصايا عديدة خاصة بالسلوك الجيد والأخلاق الراقية، ووضع حتى وصايا تخُص الحياة العامة من طعام وشراب وملبس وزينة وغنى .. الخ.

٣ ــ المُتفرّقات: أو المتنوّعات أو المُقتطفات، ويشمل ثمانية كتب، ويدعو فيه الذي خضعوا للوصايا الأخلاقية أن يسعوا للمعرفة الإلهيّة من خلال الغنوسية المسيحية.

رابعاً: العلامة أوريجانوس (١٨٥ . ٢٥٤ م)

وُلِد "**أوريجانوس**" سنة ١٨٥م في الإسكندرية من أبويْن مسيحيّيْن تقيّيْن، وقد أنجب والده سبعة أبناء أكبرهم

أوريجانوس، وكان والده "**ليونيدس**" من مُعلِّمي الفصاحة، وقد اهتم بتربية ابنه وتعليمه وتثقيفه، وكان يطلب منه حفظ بعض الآيات يومياً، فاستطاع الطفل الفذ أن يحفظ أجزاء كبيرة من الأسفار المُقدَّسة، وكان ليونيدس يشعر أن ابنه أوريجانوس مسكناً للرُّوح القُدُس، حتى أنه كان يتسلَّل إلى غرفة نومه ويُقبِّل صدره في خشوع وهو نائم، وفي سنة ٢٠٢م عندما أثار الإمبراطور "**سويرس**" الاضطهاد على المسحيين، قُبِض على "**ليونيدس**"، وحاول "**أوريجانوس**" أن يلحق بأبيه، لولا أن أُمّه توسّلت إليه بدموع أن لا يتركها، كما أنها حجبت عنه ملابسه، فكتب رسالة إلى أبيه يقول له "*حذار أن يُغير العذاب رأيك. في دعوانا لا تهتم بأولادك فإن الله يعتني بنا*" وفي سنى ٢٠٣م نال "**ليونيدس**" إكليل الشهادة وصُودرت أملاكه فصارت الأُسرة في فقر مُدقع، فلم تتخلّى عنهم العناية الإلهيَّة، وقد تولّت امرأة غنية فاضلة أمر "**أوريجانوس**" حتى أنها أخذته في بيتها وصارت تنفق على تعليمه، فدرس العلوم والأدب لمدة خمسة سنوات في مدرسة الإسكندرية العلمية فبرع ونال إعجاب الجميع، حتى أن "**البابا ديمتريوس الكرام**" مُحبّ العلم سلَّمه رئاسة المدرسة اللاهوتية خلفاً لأكليمنضس الذي ترك مصر وسافر

إلـى فلسـطين مـن فـرط الاضـطهاد، حتـى أن المدرسـة اللاهوتيـة أغلقـت أبوابهـا، فجمـع "**البابـا ديمتريـوس**" بعـض الطلبة وكلّف أوريجانوس بتعليمهم.

وكـان "**أوريجانوس**" ناسكاً ينام على الأرض دون فراش، ويصـرف نـهاره فـي الأشـغال الشـاقة والتعليم، ويقضـي مُعظـم ليله فـي الدرس والمُطالعة حيث كـان يؤجِّر المكتبات لـيلاً، فيظلّ يقرأ حتـى الصـباح، وزاعـت شـهرة أوريجانوس، وأقبـل الكثيرون من الوثنيين وتتلمذوا على يديه وصـاروا مسيحيين، فصار الوثنيون يحقدون عليه، حتى أن البابا ديمتريوس عيَّن لـه بعـض الحـراس الأقويـاء ليحرسونه من أذاهـم، وفـي ذات يوم انفرد به الوثنيون، فحملوه إلى معبد السيرابيوم، وحلقوا لـه رأسـه، وألبسوه قلنسوة، وحلـة بيضـاء مثل كهنـتهم، وأصـعدوه إلى مكـان مُرتفـع وأجبروه علـى توزيـع أغصـان النخيل علـى المُحتشدين، وهُم يضـجون ويصـفِّقون لـه، فنثر هذه الأغصـان عليهم، وهو يقول بصـوت عظيم "*هلموا خذوا هذه الأغصـان، لكـن لـيس بإسـم الأوثـان، بـل بإسـم يسـوع المسيـح خـالق الإنسـان*" (٣١). وكـان "**أوريجـانوس**" يـؤجِّر القاعـات لإلقـاء محاضراته التي يحرص على استماعها أعداد ضـخمة، فكان الوثنيـون يهجمـون علـى القاعـة ويحطِّمونـها، حتـى كفَّ أهل

الإسكندرية عن تأجير قاعاتهم لأوريجانوس. وفي سنة ٢١١م زار "**أوريجانوس**" روما فقوبل بحفاوة وإجلال كبير، كما زار بلاد العرب ثلاث مرات بين سنة ٢١١ م، سنة ٢١٢ م، ففي المرة الأولى سافر بناء على رغبة حاكم بلاد العرب الذي طلب من قداسة البابا ديمتريوس أن يُرسِل لهم أوريجانوس ليستفيدوا من تعليمه، وفي المرّة الثانية سافر "**أوريجانوس**" إلى بلاد العرب لحضور محاكمة "بيرلوس" أسقف بصره، ونجح في إعادته للإيمان المُستقيم، وفي المرّة الثالثة سافر إلى بلاد العرب لمقاومة بدعة تنادي بموت اللاهوت مع الناسوت على الصليب.

وبرع "**أوريجانوس**" في الكتابة والتأليف، فلم يظهر له مثيل للآن في مدرستنا اللاهوتية كان يستطيع أن يُملي سبعة مواضيع مختلفة على سبعة سكرتيريين كانوا يتبادلون الكتابة. " *واستخدم عدداً كبيراً من النسَّاخ، عدا البنات اللاتي أجدن الكتابة، وكان "أمبروسيوس" يُنفق على جميع هؤلاء بسخاء، مُظهراً غيرة على الكلمة الإلهيَّة لا يُعبَّر عنها، وهو بهذا دفعه لإعداد تفاسيره*" [٣٢] وتزيد كتابات "**أوريجانوس**" عن ستة آلاف كتاباً أهمها كتاب المبادئ، وضد كلسوس، والحث على الاستشهاد، وكتاب عن الصلاة،

وآخر عن القيامة، بل أن الفلاسفة اليونانيين أعجبوا به وذكروه في كتبهم، والبعض منهم أهداه مؤلّفاته، والآخر قدّم له مؤلّفاته ليُعطي رأياً فيها، وسيظلّ أهم عمل لأوريجانوس هو "الهكسابلا" Hexapla التي بدأها في الإسكندرية وأكملها في قيصرية، وقد استغرقت منه ثمانية وعشرين عاماً، حيث دوَّن نصوص العهد القديم بالكامل في ستة أعمدة هى:

١ ـ النص باللغة العبرية بحروف عبرية.

٢ ـ النص باللغة العبرية بحروف يونانية.

٣ ـ الترجمة السبعينية من القرن الثالث ق.م.

٤ ـ ترجمة أكويلا من القرن الثاني الميلادي.

٥ ـ ترجمة سيماخوس.

٦ ـ ترجمة ثيؤدوسيون من القرن الثاني الميلادي.

وفي سنة ٢١٥م عندما اشتد الاضطهاد في مصر ذهب أوريجانوس إلى فلسطين، وبنى هناك كنيسة على اسم السيدة العذراء مريم، وشرح الأسفار المقدَّسة حتى دعوه "سيد مُفسّري الكتاب المُقدَّس" وفي سنة ٢١٩م استدعته "**ماميا**" أم "**إسكندر**" ملك أنطاكية المُحبّ للمسيحيين لتستمع تعاليمه وعظاته، وفي سنة ٢٢٨م أوفده البابا ديمتريوس إلى أخائية

باليونان لكي يقاوم بعض الهرطقات، وفي عودته مرَّ على فلسطين فأقنعه "**إسكندر**" أسقف أورشليم، و"**توسيستوس**" أسقف قيصرية بقبول الكهنوت، لأنه ليس من المعقول أن مُعلِّم الكهنة والأساقفة لا يحمل درجة كهنوتية، فرُسِم قساً وهو في الثالثة والأربعين من عمره.

وفي سنة ٣٢١م عقد "**البابا ديمتريوس**" مجمعاً وحكم عليه بالحرم لأنه خصى نفسه، وأيضاً لآراءه الخاصة بالأرواح والملائكة والشياطين والنفس البشرية ونفس المسيح .. الخ التي ترفضها الكنيسة، فذهب "**أوريجانوس**" إلى فلسطين ولم يعد منها، وفي أيام اضطهاد "**ديسيوس**" قُبِض عليه وتعرّض لعذابات شديدة "*أمّا مقدار البلايا التي حلّت بأوريجانوس أثناء الاضطهاد، ومقدار شناعتها، وماذا كانت نتيجتها الطبيعية (فإن الشيطان الشر جرَّد كل قواته، وحارب الرَّجُل بكل حيلة وبأقصى جهده، هاجماً عليه بعنف أشد من سواه ممّن هجم عليهم وقتئذ) ومقدار ما تحمله من أجل كلمة المسيح، والقيود، والتعذيبات الجسدية، والتعذيبات بالطوق الحديدي، وفي السجن، وكيف مدَّت قدماه في المقطرة أياماً كثيرة، وكيف تحمّل بصبر التهديد بالنار، وكل ما عذّبه به الأعداء، وكيف وضع حد لآلامه نظراً لأن*

قاضيه بذل أقصى جهده لإنقاذ حياته. وما هى الكلمات التي تركها في هذه الأشياء مليئة بالتعزية لكل من يحتاج إلى العون. كل هذه تبينها كثير من رسائله بدقة وأمانة " [٣٣].

خامساً: القديس ديونسيوس

وُلِد "**ديونسيوس**" نحو سنة ١٩٠م من أبويْن وثنييْن من عبدَّة النجوم، فنشأ على دين آبائه، وتعلَّم وصار طبيباً ناجحاً، وكان شغوفاً بالقراءة، وفي ذات مرة اشترى بعض الأوراق من سيّدة عجوز تجلس في السوق، وإذ هى بعض من أقوال بولس الرسول، فقرأها وأُعجب بها، وعاد للسيدة وطلب منها المزيد، فباعت له ثلاث رسائل أخرى، وقالت له "*إن شئت أيها الفيلسوف أن تطلع على كثير من هذه الأقوال عليك بالذهاب إلى الكنيسة لتجد من يعطيها لك مجاناً* " [٣٤] . فمضى إلى الكنيسة والتقى بالشماس "**أغسطين**" الذي سلَّمه رسائل بولس الرسول كاملة، فقرأها وقبل الإيمان المسيحي، وتعمَّد بيد "**البابا ديمتريوس الكرام**" (رقم ١٢)، والتحق بالمدرسة اللاهوتية، وتتلمذ على يد أوريجانوس، ثم سامه البابا ديمتريوس شماساً، ثم تسلَّم رئاسة

المدرسة خلفاً لياروكلاس الذي أُختير للبابوية، وسامه "**البابا ياروكلاس**" قساً، وكان "**ديونسيوس**" يقرأ كل ما تصل إليه يديه حتى كتب الهراطقة، وقد ظهر له الرب قائلاً "*اقرأ كل ما يمكن أن تصل إليه يدك، فإنك قادر أن تصحّح كل شيء وتمتحنه، فإن هذه العطية هي سبب إيمانك منذ البداية*" (٣٥). وفي سنة ٢٤٧م بعد نياحة البابا ياروكلاس (رقم ١٣) أُختير للباباوية، فصار البابا رقم (١٤) في وقت كانت الاضطهادات المُرّة تجتاح الكنيسة.

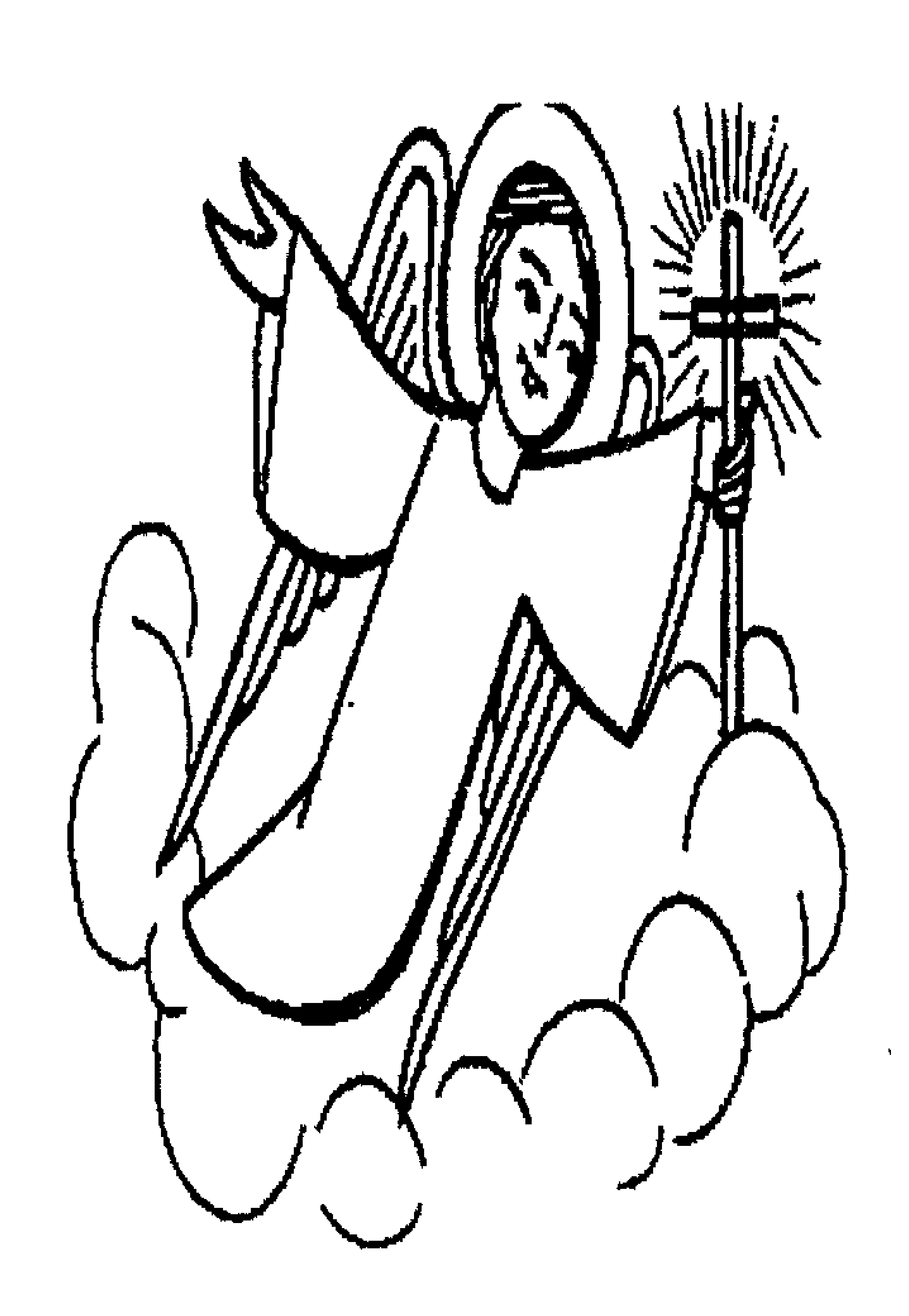
وسجّل "**البابا ديونسيوس**" الكثير من سير الشهداء رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، عذارى ومتزوّجات، جنوداً وشُرفاء، من الذين جلدوا وحرقوا وضربوا بالسيف في اضطهاد "**ديسيوس**" (داكيوس). كما أرسل برسائل تعذية وتقوية لشعبه، وعندما أرسل الوالي رُسلاً ليقبضوا عليه وعلم بهذا ظلّ في داره لمدة أربعة أيام ينتظر، غير أن الرُسل بحثوا عنه في الحقول والطرقات والأنهار ولم يتوقّعوا أنه يظل في بيته في الوقت الذي يعرف فيه أن الوالي يسعى للقبض عليه، وبعد أربعة أيام تلقى إشارة إلهيّة فغادر البيت مع أتباعه، ثم تمكن الجنود بعد ذلك من القبض عليه وطرحوه في سجن، واستطاع شماس يُدعَى "**تيموثاوس**" أن يفلت من

أيدي الجند، وأخبر إنساناً مسيحياً كان ذاهباً إلى وليمة عرس بخبر القبض على البابا، وفي لحظات أسرع كل رجال العرس واندفعوا نحو السجن لينقذوا باباهم من الذبح، فهرب الجند تاركين الأبواب مفتوحة، وعندما اندفعوا للداخل وجدوا البابا نائماً في سلام، مثله مثل بطرس الرسول في سجنه تماماً، فأيقظوه وطلبوا منه مغادرة السجن، وعندما رفض حملوه رغماً عن إرادته وذهبوا به إلى داره.

وفي سنة ٢٥٧م تعرّض للنفي إلى قرية صحراوية تُدعَى "**خفرو**" Caphro فبشَّر الوثنيين سكان القرية، فأعادوا نفيه إلى الصحراء الليبية، وهو لم يكُف عن الكرازة للوثنيين، وتعهّد الكرْم بالرسائل المُتتابعة، وعقب كل اضطهاد كان يجمع أولاده الذين ارتدوا عن الإيمان ويَعِظهم ويَقبَلهم دون أن يُعيد معموديّتهم، وكان للبابا ديونسيوس احترامه في العالم كله، فعندما اختلف الشهيد كبريانوس أسقف قرطاجنة، مع اسطفانوس الأول أسقف روما الذي كان يقبل المعمودية التي يجريها الهراطقة مادامت أنها تتم بِاسم الآب والابن والروح القدس، قَبِل الاثنان وساطته بينهما، وفي سنة ٢٦١م عقد مجمعاً وحرم "**سابليوس**" الذي لم يكف عن نشر هرطقته، وفي سنة ٢٦٣م عندما حلّت بالإسكندرية مجاعة

كبيرة وأوبئة كان يواسي أولاده، وكتب في رسالته الفصحية "*قد يبدو أن الوقت غير مناسب للعيد .. فنحن لا نرى إلاَّ الدموع، الكل ينوح، والعويل يُسمع كل يوم في المدينة بسبب كثرة الموتى*" (٣٦).

وختم المُعلِّم العظيم "**أبونا بطرس**" مدير المدرسة اللاهوتية عظته، ولم يكن يدري أن الأيام ستعيد نفسها، وما ختم به عظته سيتكرَّر بصورة أبشع في حياته.



الفصل السابع : رحيل البابا

مرّت الأيام، ومسئوليات الخدمة تزداد على "**أبونا بطرس**" لكنه لم يرتبك أبداً، بل تجده دائماً يشعر بأن قوة الله تحيط به وتعينه، وعلى حد تعبير بعض الخدام: "*أبونا بطرس دائماً فايق ورايق*" وبدأت تظهر علامات الشيخوخة على البابا ثاؤنا واعتلت صحته، فهذه هى الحياة !! ..

وبينما تكرّس "**إسكندر**" و "**أرشي**" للخدمة، فإن "**ميناس**" تابع دراسته في "**الميوزيوم**" الذي ضم شتى فروع المعرفة من طب، وفلك، ورياضيات، وطبيعة، وجغرافية، وفلسفة، وأدب، وتاريخ، والذي يسعد بزيارة "**الميوزيوم**" يجد المعامل التي جُهِّزت لإجراء التجارب العلمية، وقاعات التشريح، والمرصد الفلكي، وقاعات المحاضرات والندوات، وحديقة الحيوانات والطيور وحديقة النباتات، فقد استجلب "**بطليموس الثاني**" (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م) مختلف الحيوانات والطيور والزواحف والنباتات النادرة من كل بقاع العالم بهدف الدراسة، والحكومة تصرف على احتياجات الميوزيوم، ويعيش العلماء في ذات المكان عيشة مُشتركة، يتمتّعون بالإعفاءات الضريبية، والمعونات المادية، والإقامة المجانية. وهذه الأكاديمية

العظيمة لا تمنح شهادات، إنما هى مكان للبحث والتجارب والتأليف لشتى العلماء القادمون من شتى الأقطار، واللغة المُستخدمة بين كلا هذه الأجناس هى "**اللغة اليونانية**"، فهى بمثابة اللغة الدولية، حتى أن أباطرة الرومان عندما يصدرون قرارات أو مراسيم في هذه الأيام فإنهم يقومون بترجمتها من اللاتينية لليونانية، واللغة اليونانية هى اللغة التي سُجِّلت بها أسفار العهد الجديد، والذي أنشأ "**الميوزيوم**" هو "**بطليموس الأول**" سوتر أول ملوك البطالمة وكان عاشقاً للعلوم والثقافة، يفتح قصره لمشاهير العلماء والفلاسفة، ويغدق عليهم العطايا والأموال، والذي سارت على منواله "**كليوباترا**" ملكة مصر وآخِر ملوك البطالمة، وطالما اهتم ملوك البطالمة بالبحث العلمي، وتشجيع العلماء والصرف عليهم، وتوفير الإقامة الداخلية المجانية لكثير من الطلبة والمدرسين، ولا يستنكف أعظم الأساتذة في الميوزيوم من الجلوس وسط مجموعة من الشباب أو حتى الأطفال يُعلِّمهم، فالكل يتعلَّم ويُعلّم، وإن كان حماس الأباطرة الرومان الذين يمجِّدون القوة أقل من حماس الإغريق في الاهتمام بالميوزيوم، لكنه مازال قائماً يؤدِّي رسالته ولو بصورة أضعف، وطالما عقدت فيه الحوارات والندوات حتى أن

الإمبراطور "**هدريان**" كان يحضر بعض هذه المباحثات العلمية والندوات الفلسفية، لأنه كان مولعاً بالحضارة اليونانية، وضمّت عضوية الميوزيوم فلاسفة لا يقيمون في الإسكندرية، فكانوا أشبه بالسفراء للميوزيوم، كما أن هناك عضوية شرفية لبعض الشخصيات البارزة من كبار رجال الدولة والجيش وأبطال الرياضة.

وتخصّص "**ميناس**" في التاريخ المصري، فقد عشق تاريخ مصرنا الحبيبة منذ أن حكى له "**أرشي**" عن النمر المجنّح، علاوة على أن "**ميناس**" شاب شديد الوطنية، يفتخر بأجداده بُناة الأهرامات وفنار الإسكندرية، والإثنان من عجائب الدنيا السبع، فقد حملت مصر في أحضانها أعجوبتيْن من أعاجيب الدنيا السبع، وأحب ميناس "**الإسكندر الأكبر**" الوافد الإغريقي لرجاحة عقله وتسامحه، ودوره التاريخي في تصالح الحضارات عوضاً عن تصارعها معاً، كما يفتخر ميناس بالمهندس العبقري "**دينوقراطيس**" الذي وُلِدت الإسكندرية في عقله وقلبه وعلى أوراقه قبل أن تُولَد على الطبيعة، وأيضاً ينظر لملكة مصر "**كليوباترا**" نظرة تقدير، فهي الملكة الإغريقية الأخيرة من سلسلة ملوك الإغريق، والتي اصطبغت بالصبغة المصرية، وقد اعتقدت

تمام الاعتقاد أنها التجسُّد الحي للآلهة إيزيس، فعشقت مصر، ودافعت عن حريتها واستقلالها ضد الاجتياح الروماني، مُستخدمة ذكائها ودهائها وجمالها ودلالها وسحر صوتها، ومازالت الحوارات تدور حولها:

"**هل ملكة مصر .. وطنية أم أنانية؟**"

وفي ذات يوم تجمّع الأصدقاء "**إسكندر**" و"**أرشي**" و"**ميناس**" و"**ديمتري**"، وخرجوا كعادتهم للتنزه عبر الشارع الكانوبي وطريق الهيباستاديوم.

ديمتري: هل تحكي لنا يا ميناس ولو قليلاً عن "**مكتبة الإسكندرية**" العظيمة التي ليس لها مثيل في العالم كله، وكثيراً ما تقضي أوقاتكم بين رفوفها؟

ميناس: عقب موت "**الإسكندر الأكبر**" في ريعان شبابه، وانقسام مملكته إلى أربعة ممالك كما أخبرت النبوة بهذا تماماً، كانت مصر من نصيب "**بطليموس الأول**" سوتر، الذي أحضر "**ديمتريوس الفاليري**" الذي وُلِد في "فاليرون" إحدى ضواحي أثينا، ليكون مُستشاراً له في وضع القوانين والمعاهدات، وديمتريوس هو تلميذ ثيوفراسطوس خليفة أرسطو في رئاسة مدرسة أثينا، وكان قد تولّى حكومة أثينا لمدة عشر سنوات (٣١٧ ـ ٣٠٧ ق.م) **وإلى ديمتريوس**

الفاليري يرجع الفضل الأول في إنشاء مكتبة الإسكندرية: فهو الذي أشار على بطليموس أن يُنشئ مكتبة ضخمة على غرار مكتبة أثينا، وإذ كان بطليموس مُثقفاً استحسن رأيه ووافقه على الفور، وجعل هذا المشروع العظيم تحت إشراف ديمتريوس، الذي بدأ بتجميع الكتب وبدأ بإنشاء المبنى الضخم الذي ازدانت أعمدته بالنقوش، وجاءت الرفوف تلف الجدران، ووضعت الكتب على الأرفف، وكل كتاب كما تعلمون هو درج ملفوف ومربوط، فوضعت الكتب بعضها رأسي وبعضها أفقي، وبعض الكتب الهامة حُفِظت في أوان فخارية حفاظاً عليها من الرطوبة ومن الحريق، واستطاع ديمتريوس جمع مائتي ألف كتاب، وتم اختيار مديراً للمكتبة على درجة عالية من العلم والثقافة وهو "**زينودوتوس الأفسسي**".

وظلّ العمل يجري بجدية في عصر "**بطليموس الثاني**" فلادلفيوس، فنقل مدرسة عين شمس ومكتبتها إلى الإسكندرية، وهو الذي استقدم من فلسطين سبعين شيخاً من اليهود، فأقاموا في جزيرة فاروس التي نحن نتجه إليها الآن، وبدأ بأعظم عمل في ذلك العصر، وهو ترجمة التوراة من العبرية التي لا يفهمها إلاّ بعض اليهود المُتخصّصين إلى

اليونانيــة اللغــة الدوليــة، وأرسـل سُـفراءه فـي عواصـم العـالم لشـراء مـا يستطيعون مـن كتـب، حتـى بلـغ فـي عهـده عـدد الكتـب بالمكتبـة إلـى ٤٠٠ ألـف مُجلّـد متداخل، و٩٠ ألـف مُجلّـد مُنفـرد، وعُيِّـن مديـراً للمكتبـة خلفـاً لزينودوتـوس "**كليمـاخوس الترينـي**" الأديب والشـاعر، فقام بفهرسـة جميع الكتـب، واسـتغرق هـذا العمـل الجبـار مائـة وعشـرين مُجلّـداً، وشملت المكتبة كُتباً مختلفة يونانية ومصـرية وعبريـة وأثيوبيـة وفارسـية وفينيقيـة، وتناولـت هـذه الكتـب جميـع التخصُّصـات والعلـوم التـي عُـرِف حينـذاك، وكـان مـن تقاليـد المكتبـة أنـه عندما يقوم بزيارتها أحـد المؤلفين يهدي نسـخة من مؤلفاتـه للمكتبـة، فهـذا شـرف لـه أن توضـع كتبـه فـي تلـك المكتبـة الأولـى فـي العـالم كلـه، بـل أن "**بطليمـوس الثالـث**" أمـر بفحص الكتب التـي بحوزة أي مسافر، وضمها للمكتبـة، وأن يُسلَّم صـاحبها نسـخة منهـا، وأخـذ "**بطليمـوس الثالـث**" مـن مكتبـة أثينـا أصـول مؤلفـات "**إيسـخولوس**" و"**سـوفوكليس**" و"**يوريبيديـديس**" بضـمان مـالي ١٥ تالنتـا (٩٠ ألف دراخمـة) ثم تخلّى عن هذا الضمان واحتفظ بهذه الأصول في مكتبة الإسـكندرية، وأرسـل نسـخاً منهـا لمكتبـة أثينـا، وكـان مـن الأعمال الهامـة التي تقوم بها المكتبـة هى نسخ الكتب التـي

تطلبها من الجماهير وبيعها لطالبيها، فلم يقتصر عمل المكتبة على حفظ الكتب للإطلاع عليها فقط، إنما هى أكاديمية عظيمة ظهرت فيها علوم تصنيف الكتب وتبويبها، ونقد النصوص والمتون، والضبط والترقيم، وأُبتكرت العلامات الصوتية، وعلامات الاستفهام والتعجُّب، وفواصل الكلام، وفيها نُقِّحت مؤلّفات "**هوميروس**"، فكثُر عدد الوافدين إلى المكتبة من شتى بقاع الأرض، وكل مَنْ يأتي للإسكندرية ولا يزُر مكتبتها فإنه يفوته الكثير ، **وقد ارتبط بالمكتبة عظماء العلماء مثل:**

- **أراتوستينيس** Eratosthenes: كان شاعراً وفيلسوفاً ومؤرِّخاً، وهو الذي قال (سنة ٢٨٠ ق.م) أن الأرض هى التي تدور حول الشمس، واستطاع أن يقيس محيط الكرة الأرضية [٣٧].

- **إقليدس** Euclides: الذي ألَّف موسوعة ضخمة تشمل مجموع علوم الرياضيات (حساب - هندسة - فلك - موسيقى - بصريات - ميكانيكا) كما ألَّف كتاب "**الأصول**" الذي ليس له مثيل في تاريخ الرياضيات ويبحث في العدد الصحيح وأنواعه، وأيضاً في الأشكال المستوية مثل المثلثات والمربعات والأشكال الخماسية.

ـ **هيرون** Heron: الذي اخترع الآلة البخارية، والآلة الأتوماتيكية.

ـ **كتيسيبيوس:** الذي وُلِد في منتصف القرن الثالث ق.م، وهو عالِم الميكانيكا الأول، فقام بأبحاثه عن الآلات التي تعمل بالهواء مثل "مرونة الهواء" وهو الذي اخترع المضخة الماصة الكابسة، التي تجدها على سُفن الأسطول البحري الروماني، كما اخترع "الأرغن المائي" الذي كانت تلعب عليه زوجته.

ـ **بطليموس:** العالِم الفلكي الشهير والذي أُشتهر في القرن الثاني الميلادي، وهو من مدينة الفرما (بالقرب من بور سعيد) ودرس الجغرافيا على أساس رياضي وفلكي، وعمل خريطة للعالم بأبعاد صحيحة، أوضح بها الأقاليم، ووضع كتاب "**المجسطي**" الذي حوى القواعد الفلكية.

وأيضاً من علماء الفلسفة الذين ارتبطوا بمكتبة الإسكندرية:

ـ **فيلون اليهودي:** وهو أحد الأثرياء اليهود بالإسكندرية عاش في القرن الأول الميلادي، وقدَّم الأسفار المُقدَّسة من وجهة نظر فلسفية، فقد درس الفلسفة الإغريقية وانشغل بها وكتب مجلّدات كبيرة يشرح ويفسِّر فيها التوراة لليونانيين،

ويوضّح أن الفضائل التي يبحثون عنها توجد بعمق في التوراة.

ـ **أفلوطين:** من أبناء هذا القرن الثالث الميلادي، وهو من أبناء مصر العليا (أسيوط) وقد تصدّى لحل المشاكل الدينية عن طريق الفلسفة، فهو يبدأ بالفلسفة وينتهي بالفكرة الإلهيّة، وتميّز أفلوطين بالعفّة والطهارة والنُّسك، وسافر إلى روما ونشر فلسفته التي جَمعت بين الفكر اليوناني والفكر الشرقي، ونادى بأن الإنسان العاقل هو من يَسمو فوق العالم المادي المحسوس ويرتقي إلى العالم الروحي المُجرَّد، وبقدر ما يتحرَّر الإنسان من الأمور المادية المحسوسة وينطلق نحو التأمل العقلي بقدر ما يقترب من الهدف، وتعود النفس إلى المبدأ الأول والاتحاد بالله.

وكذلك علماء الطب مثل "**جالينوس**" و"**هيبوقراطيس**"، والطب السكندري له شهرته على مستوى العالم، فالطبيب الذي يتعلّم في الإسكندرية له احترامه في كل العالم.

وأكمل "**ميناس**" حديثه قائلاً: عندما كنت أطالع في أحد كتب الطب وجدت علاجاً لسقوط الشعر وهو "*وضع صبغة الأفيون Laudandum في النبيذ غير المُخمَّر، (ثم) أضف زيت الريحان الشامي بالتعاقب مع النبيذ، حتى يصبح*

الخليط في قوام العسل، ثم امسح بها الرأس قبل الحمام وبعده" (٣٨).

كما ارتبط **أشهر الشعراء** بالمكتبة مثل "**كاليماخس**" أمين المكتبة وشاعر القصر والذي أُشتهر شعره في الرثاء، و "**ثيوكرينوس**" و"**أبولونيوس الرودسي**" وطالما قامت بينهم الحوارات والسجالات والمعارك الأدبية النقدية، حتى أُطلق على الأدب اليوناني كله الأدب السكندري، بعد أن اختطفت الإسكندرية الأضواء من أثينا، وصار لها الدور الأول في بناء الحضارة الإنسانية.

وإن كان بالإسكندرية **ثلاث مكتبات** وهى المكتبة الكبرى، ومكتبة معبد السيرابيوم التي حوت ٤٠٠ ألف كتاب ومكتبة معبد القيصرون، إلاَّ أن المكتبة الكبرى هى المكتبة الأم.

وصل الأصدقاء إلى جزيرة فاروس واختاروا ذات المكان الهادئ على أطراف الجزيرة بالقرب من فنار الإسكندرية أحد عجائب الدنيا السبع، وجلسوا كالعادة يتحاورن ويتحادثون والحديث يحلو ويطول، وإن كانت أحاديثهم السابقة يغلب عليها الطابع الديني، فإن حديث اليوم دار حول تاريخ مصرنا ولا سيما مدينتنا الرائعة الإسكدنرية، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن **الله هو العامل في التاريخ**.

ديمتري: عودة إلى حلم نبوخذ نصر (دا ٢) الذي رأى تمثالاً رأسه من ذهب إشارة للإمبراطورية البابلية وهو ما يقابل في رؤيا دانيال (دا ٧) الحيوان الأول الذي له شكل الأسد وجناحا النسر، **وصدر التمثال وذراعاه** من فضة إشارة إلى مملكة فارس ويقابل في رؤيا دانيال الدب الذي بين أسنانه ثلاثة أضلع، **وفخذ التمثال وبطنه** من نحاس إشارة للإمبراطورية اليونانية التي بدأها الإسكندر الأكبر وسريعاً ما انقسمت إلى أربعة ممالك، ويقابل في رؤيا دانيال النمر المجنَّح الذي له أربعة أجنحة وأربعة رؤوس، **وساقي التمثال وقدميْه** من حديد وخزف إشارة للإمبراطورية الرومانية ويقابل في رؤيا دانيال الحيوان الهائل القوي ذو الأسنان الحديدية .. ثم تساءل ديمتري: **أين مكان ملكة مصر هنا؟**

أرشي: حقبة "**كليوباترا**" هى الحقبة النهائية من مملكة اليونان، فكليوباترا هى آخر الملوك النحاس .. آخر ما تبقى من نحاس في هذا التمثال العجيب، تمثال تعاقب الممالك .. دعونا نصغي لمُعلِّم التاريخ "**ميناس**" ليُحدِّثنا عن ملكة مصر.

ميناس: تفضل يا أخ "**أرشي**" فأنت الذي حدثتنا من قبل عن النمر المجنَّح حديث مُمتع، ووعدتنا باستكمال الحديث عن كليوباترا.

أرشـي: أنا مجرّد هاوي أمّا أنت فقد صرتَ مُحترفاً، فأنت الدارس والباحث المُدقِّق، فدعنا نستفيد من وجودك معنا.

ميناس: طالما تغنى الشعراء بملكتنا العظيمة، وطالما تحاور الفلاسفة عنها، كثيرون رفعوا قدرها ونظروا إليها أنها الملكة شديدة الوطنية التي استخدمت كل وسيلة من أجل حفاظها على استقلال مصرنا الحبيبة "*وصفها أكبر أساتذة التاريخ الهلينسي بأنها أعظم خلفاء الإسكندر الأكبر.. فقد كانت امرأة عبقرية فذة، جديرة بأن تهابها روما كخصم .. {إن روما لم تستسلم اطلاقاً للخوف من أية دولة أو أي شعب، قد خشيت شخصيتين، أحدهما هانيبال، والأخرى امرأة}* " [٣٩] .. وكثيرون حطّوا من قدرها ووصفوها بأنها الملكة الشريرة الشهوانية الأنانية التي تسعى نحو عرش روما وتطمع أن تكون السيدة الأولى للعالم كله، ففقدت في مغامراتها العاطفية عرش مصر.

أرشـي: أُدخل في الموضوع يا أخ "**ميناس**" وحدثنا عن تلك الملكة التي أنتم مُتيّم بها.

ميناس: دعوني أوجز القول في عناصر محددة وكلمات قليلة:

١ ـ نشأة كليوباترا: وُلِدت "**كليوباترا**" السابعة أشهر ملكات التاريخ السكندري في سنة ٦٩ ق.م بالقصر الملكي المُطل على الميناء الشرقي، ونشأت وترعرعت فيه، وتعلّمت الحكمة والأدب والتاريخ والفلسفة، واتقنت عدد كبير من اللغات، ومنها لغة مصر القديمة، وأحبّها كهنة مصر فصوّروها في شكل الإلهة إيزيس على جدران معبد دندرة ومعابد النوبة، وفعلاً اعتقدت كليوباترا تماماً أنها من النسل المُقدّس للإلهة إيزيس، وطالما وقفت بخشوع في هيكلها المُرتفع على الصخر بجوار القصر الملكي تسألها الحماية من الدسائس التي تسود القصر.

" وعندما كانت عينا كليوباترا تتطلع مُتنقلة على الدرج الذي يؤدي إلى القصر إلى الميناء الخاص أخذت تتساءل عما تخفيه مياهه الزرقاء الهادئة من أسرار، إذا اختفى بهذه الوسيلة أمير بعد أمير بل وأميرات أيضاً من أسر البطالمة، وبدت كما لو أن القدر المؤلم قد قضى بأن يقتل أفراد هذه الأسرة بعضهم بعضاً جيل بعد جيل. إنها لعنة شديدة" (٤٠).. كانت "**كليوباترا**" تقطع الطريق من الحي الملكي إلى الفنار محمولة على محفّتها، حولها وصيفاتها وحرسها الخاص،

وهـى تحسـد الفتيـات السـكندريات اللاتـي ينطلقن فـي شـوارع الإسكندرية بلا قيود.

٢ ـ **صراع كليوبـاترا وشـقيقها**: في سنة ٥١ ق.م مـات بطليمـوس الزمـار وخلـف علـى عرش مصـر ابنتـه كليوبـاترا وهـى فـي الثامنـة عشـر من عمرهـا، مـع شقيقها بطليمـوس الثالـث عشـر وهـو فــي العاشـرة مـن عمـره، فكـان لـه ثلاثـة أوصـيـاء هـم "**أخـيلاوس**" قائـد الجيش، و"**بوتينـوس**" مُعلِّـم الأولاد، و "**ثيــوذوتس**" الفيلســوف، وعنــدما شــعر هــؤلاء الأوصياء أن كليوباترا تنوي الانفراد بالعرش أطلقوا الشائعات حولها بأنها سوف تبيع مصر والمصريين لروما لأنها عميلة، وأنها لا تكف عن اكتناز كنوز الذهب والفضـة والجواهر من دمـاء المصـريين، ونجحـت هـذه الحملـة، حتـى أن كليوبـاترا تركـت الإسـكندرية وهربـت، لكنهـا لـم تستسـلم فهـى مقاتلـة عنيدة، وقـد جمعـت جيشـاً مـن الأعـراب عنـد حـدود مصـر الشـرقية، وتأهبـت لغـزو الإسكندريـة، ووصلـت إلـى حصـن "**بلوزيـوم**" (الفرمـا) سـنـة ٤٨ ق.م كمـا تأهـب جيش أخيهـا للقائهـا.

٣ ـ **يوليـوس وبـومبي**: وإذ بيوليوس قيصـر يتابع أخبار مصـر أول بأول، ولا سيما أن بطليموس الزمار قد عهد إلـى

روما الإشراف على تنفيذ وصيّته نحو تنصيب ابنته وابنه على عرش مصر، فوصل بجيشه وأسطوله في أكتوبر سنة ٤٨م إلى مصر، وقد كان في حرب مع منافسه "**بومبي**"، وبومبي هو القائد الروماني الذي أخضع أرض فلسطين للولاية الرومانية سنة ٦٣ ق.م، وقد ثار النزاع بينه وبين يوليوس على عرش روما، وكانت المعركة الفاصلة في "فارسالوس" والتي انتصر فيها يوليوس، ولكن بومبي لم يستسلم، بل اتجه على ظهر سفينة إلى مصر مع زوجته "**كورنليا**" وابنه الصغير "**لاجتا**" وطلب العون والمدد من بطليموس الصغير الثالث عشر، وهو يذكّره بالصداقة التي كانت بينه وبين أبيه الزمار، فبومبي هو صاحب الفضل في إعادة أبيه إلى عرشه يوم طُرد من الإسكندرية، ولكن للأسف الشديد فإن "**ثيؤدوتس**" أحد الأوصياء قد اتخذ قراراً في منتهى الخسة، إذ قرّر اغتيال "**بومبي**" للتقرّب من "**يوليوس**".

وفي سبتمبر سنة ٤٨ ق.م توجه زورق صغير ليُحضِر "**بومبي**" من سفينته إلى الشاطئ، وإذ لم يحضر بطليموس ارتاب بومبي، ولكن الضابط "**سبستميوس**" أخبره بأنه ينتظره على الشط، وعندما وصل الزورق إلى الشط نهض "**بومبي**"

أخذاً بيد أحد الجنود ليساعده على النزول، وفي لحظة غدر طعن "**سبستميوس**" بومبي من الخلف الطعنة الأولى، وتوالى من معه عليه بالطعنات، وسقط بومبي مضرجاً في دمائه دون أن ينطق بكلمة واحدة، وسُمِع في الأفق صوت صرخة مُرّة من "**كورنليا**" زوجة بومبي، وأسرعت السفينة التي تقلها مع ابنها الصغير بالهرب في عرض البحر.

وبعد أربعة أيام وصلت سفينة يوليوس قيصر إلى ميناء الإسكندرية، وأسرع "**ثيوُدوتس**" للقائه حاملاً معه رأس بومبي، وإذ رأى الرأس أشاح برأسه بعيداً، ولم يخفي انزعاجه من هذه الخسة، وعندما تسلَّم خاتم بومبي بكى على خصمه الشريف، وإن كانت العدالة تستوجب الانتقام من قتلة بومبي، لكن قيصر لم يفعل هذا، واكتفى بطرد القتلة من أمامه، وأقام جنازة عسكرية كبيرة تليق بعظمة هذا القائد الذي أُغتيل، وأرسل سفينة مُجلَّلة بالسواد ومعها رماد جثة بومبي إلى أرملته علامة على مدى احترامه لهذا القائد العظيم وحُزنه عليه.

٤ ـ يوليوس وحرب الإسكندرية: أرسل "**يوليوس قيصر**" إلى كل من أنطونيوس الثالث عشر وشقيقته كليوباترا لكيما يتخلّى كل منهما عن جيشه ويجلسا إلى مائدة المفاوضات،

فأقبل بطليموس بينما ظل جيشه كما هو، بينما تخلّت كليوباترا عن جيشها، واحتالت لكيما تجد طريقها إلى قيصر في الإسكندرية، وبينما أعداؤها يحيطون بالحي الملكي، وجدت وسيلة ما للوصول إلى قيصر، وقيل أنها أخذت زورقاً صغيراً وبحاراً رومانياً ماهراً (قد يكون أبلودوروس الصقلي كاتم أسرارها) واستطاع البحار التسلُّل من البحر للميناء الشرقي، وعندما اعترض الحرس الروماني الزورق أقنعهم البحار أنه جاء من صقلية خصيصاً يحمل بساط هدية للقيصر، فسمحوا له بالدخول، وترك الزورق وحمل البساط على كتفه واتجه للقصر الملكي.

وحالف الحظ هذا الرَّجُل حتى وجد نفسه في مواجهة القيصر، فأنزل البُساط وفك الحبل، وإذ بملكة مصر الساحرة كليوباترا في مواجهة قيصر، فتاة في الثانية والعشرين من عمرها، وهو في نحو الثانية والخمسين من عمره، ففتن بجمالها ولباقتها وسعة أفقها وسحر صوتها، وأدركت كليوباترا بذكائها أنها سلبت لُب الرَّجُل، فابتسمت في وجهه وأخفت ما يجيش في صدرها من غيظ لأن "قيصر" لم يدخل للإسكندرية كصديق، إنما دخلها كغازٍ مُنتصر .. "*كان شعرها الكستنائي قد تهدَّل قليلاً بسبب لفها في السجادة،*

ولكن محياها وعينيها الرماديتين الجميلتين وقوامها النحيل كانت كلها تسلب العقل، أضف إلى ذلك أنه كان في استطاعته أن يسمع صوتها الذي اتفق جميع مؤرخي عصرها، مهما بلغ كرههم لها، على القول أنه كان أكثر صفاتها إغراءً للرجال، ولم يتمالك قيصر نفسه، فضحك.

ما الذي رأته كليوباترا ؟ رأت رجلاً قد جاوز الخمسين من عمره، ولكنه نحيف قوي وذو مظهر يدل على القوة. وكان طويل القامة وبشرته صافية وعينان سريعتان سوداوان لا يفوتهما شيء. وكان يرتدي رداءً أبيض مزخرف الحافة بلون أرجواني، وكان منسجماً عليه. أمّا شخصيته، فكانت تستطيع أن تحكم عليها من مظهره وممّا كانت سمعته (عنه)، كانت شخصيته صريحة وحازمة، وكان رَجُلاً عملياً وليس خيالياً، أضف إلى ذلك أنه كان رومانياً منتصب القامة شديداً في معاملته للناس، كريماً مع الذين يطيعونه والمُخلصين له، كريم الأخلاق نحو أعدائه في بعض الأحيان ولكنه لا يهتم بالعواقب كالأيام التي كان يعيش فيها وتعيش فيها كليوباترا. ولكن أعظم ما راق لها فيه هو جرأته التي لا تقل عن جرأتها. وما من شك في أنه كان أشجع من جنوده، وكان مُستعداً لأن يعيش حياة شاقة كما كانوا

يعيشون وكانت شعبيته بينهم وحبهم له مثلاً سائراً في كل أنحاء العالم" [٣٩].

وبعد هذا اللقاء أدرك "**قيصر**" أن إقامته في الإسكندرية ربما تمتد، فنزل إلى شوارع الإسكندرية تحف به قوات الحرس الخاص، وشارات سُلطته القنصلية، ودعا "**قيصر**" كليوباترا وشقيقها للاجتماع في الجمنازيوم، وقرأ وصية أبيهما بطليموس الزمار بأن تحكم مصر كليوباترا مع شقيقها بطليموس الثالث عشر، وأن ترعى روما تنفيذ هذه الوصية، وبهذا أفصح "**يوليوس**" عن حقه في التدخل لحلّ القضية، ولكن إذ أحس بطليموس أن أخته سلبت قلب قيصر، شعر مع أعوانه بعدم الارتياح، ولا سيما أن يوليوس دخل للإسكندرية في موكب قنصلي، مُعلناً سطوة روما وسيادتها، ورفض السكندريون هذه الغطرسة الرومانية، فاندلعت القلاقل والاضطرابات وسادت أحياء الإسكندرية، وممّا ساعد على ذلك ضآلة قوات "قيصر" التي لم تتعدى سوى ٣٤ سفينة، و ٨٠٠ فارس و ٣٢٠٠ جندي.

وسريعاً ما اشتعلت الأمور، فتحصَّن "**يوليوس**" في الحي الملكي وركّز قواته البحرية في الميناء الشرقي والبرية في الحي الملكي وجزيرة فاروس، وقطع الشعب المياه العذبة عن

الحي الملكي وضخوا بدلاً منها مياه مالحة، فتذمّر الجنود الرومان مُفضّلين مواجهة جيش عرمرم من البرابرة عن أن يموتوا عطشاً، ولكن قيصر أشار عليهم بحفر أبار، ونجحت الفكرة ووصلوا للمياه العذبة، وأرسل "**يوليوس**" يطلب امدادات من الخارج، ولم يُفكِّر في الهرب بسُفنه رغم أن "**أخيلاوس**" قائد الجيش وأحد الأوصياء الثلاثة دخل للإسكندرية بجيش قوامه ألفي فارس، وعشرين ألف جندي في أوائل نوفمبر سنة ٤٨ ق.م، ومع أن يوليوس قيصر أرسل إليه رسولين يطلب السلام، إلاّ أن "**أخيلاوس**" اخترق العادات المتعارف عليها، فقتل أحد الرسولين وأصاب الآخر، وحاصر "**أخيلاوس**" الحي الملكي بحراً وبراً، وقد تأهبت السفن المصرية للاشتباك مع السُّفن الرومانية، وأطلق "**يوليوس قيصر**" بطليموس الثالث عشر من الحي الملكي، لا لينضم للقوات المصرية، ولكن تحسُّباً منه إذا قُتل فلا يقال عنه أنه قُتِل بيد غوغاء الإسكندرية، إنما قُتِل بيد جيش ضخم يقوده ملك.

واستطاع "**يوليوس قيصر**" بحنكته العسكرية أن يستولي على فنار الإسكندرية، ونجح في إضرام النيران في سُفن الأسطول المصري بالميناء الشرقي، وامتدت ألسنة اللهب

من سفينة إلى أخرى، حتى أتت النيران على السفينة رقم ٧٢ والأخيرة، بل أن ألسنة اللهب ارتفعت وسرعة الرياح زادت من اشتعالها وانتقالها فامتدت إلى دار الصناعة، وما جاورها من مخازن الورق، والمباني، بل اشتعلت النيران في جزء ليس بقليل من مكتبة الإسكندرية والتهمت عدد كبير من الكتب، فجميعها من ورق البردي سريع الاشتعال.

أمّا "**كليوباترا**" التي تقبع في قصرها تحت بصر وسمع يوليوس، وتطالع الأخبار بل تشاهدها بعينها فقد اشتعل فؤادها بألسنة اللهب التي أكلت الأسطول المصري، وامتدت للمخازن والمباني، ولشد ما أحزنها امتداد النيران إلى مكتبة الإسكندرية التي لا تضاهيها مكتبة ما في الوجود كله، ولأنها مُثقّفة جداً فقد أحسّت بوطأة الكارثة ربما أكثر من أي شخص آخر، وهذا ما دَعى "**يوليوس قيصر**" فيما بعد أن يضمد هذا الجرح، إذ أحضر لها مائتي ألف مُجلّد من مكتبة مدينة برغامة الشهيرة بأسيا الصغرى.

ورغم ما حدث فإن المصريين قد ثبّتوا أقدامهم في ميناء الصمود الحميد (الميناء الغربي) وفي طريق الهيبتاستاديوم، وشرعوا على الفور في بناء بعض السفن الجديدة، وتجهيز معدات الحرب، وظلوا يهاجمون التحصينات الرومانية،

وبينما يستعجل "**يوليوس قيصر**" الساعات وصلت الإمدادات الضخمة من كريت ورودس وكليكية وسوريا وبلاد العرب، فوصلت الفرقة (٣٧) التي أوفدها "**حنايوس دومينيوس**" والي أسيا، وسريعاً ما اشتعلت الحرب الفاصلة، ورغم أن المصريين استبسلوا في صد الهجمات الرومانية، حتى أنهم في إحدى الجولات كاد الزورق الذي يستقلّه "**قيصر**" أن يغرق في الطرف الشرقي بالميناء الشرقي، ممّا اضطر "**قيصر**" للسباحة، حتى وصل إلى سلم القصر وهو ينذف دماً لينجو بنفسه.

ودام القتال عدة أيام بين الجيش المصري بقيادة "**أخيلاوس**" ومساندة الشعب وبين الجيش الروماني، وخلال هذه الجولات سقط "**بطليموس الثالث عشر**" في الماء ومات غرقاً، وهو في السابعة عشر من عمره، ولم تشعر "**كليوباترا**" بالحزن ولا بالآسى من أجل شقيقها الصغير لأنه كان ينافسها على عرش مصر، وقبض "**قيصر**" أيضاً على "**أرسينوي الرابعة**" ولم تشفع لها شقيقتها كليوباترا السابعة، بل تركتها لمصيرها البائس، وهى أن تُعرض في روما في موكب نصرة يوليوس. وقدَّر يوليوس مشاعر كليوباترا فلم يستبح المدينة لجنوده، وعفى عن المصريين الذين قاتلوه ولم

ينتقم منهم، وثبَّت "**يوليوس**" مُلك كليوباترا على مصر بالاشتراك مع شقيقها الأصغر "**بطليموس الرابع عشر**" ذو الخمسة عشر عاماً، وعقد "**يوليوس**" زواجاً صورياً بين كليوباترا وشقيقها الملك الجديد، وخفَّض الديون التي استدانها أبيهم "**بطليموس الثاني عشر**" (الزمار) وأعاد لمصر جزيرة قبرص، وفعل كل هذا من أجل عيون كليوباترا.

٥ ـ **كليوباترا ويوليوس:** تزوّج "**يوليوس**" بكليوباترا زواجاً غير شرعي، لأن القانون الروماني لا يبيح تعدُّد الزوجات، وعاش يوليوس أجمل أيام عمره، وهو يتفقّد معالم الإسكندرية، فذهب إلى قبر الإسكندر، والميوزيوم، والمكتبة، ودعته كليوباترا لحضور بعض الندوات الفلسفية، وعرّفته على كبار العلماء والأدباء الذين فتحت لهم قصرها، وقام "**يوليوس**" برحلة نيلية مع كليوباترا على صفحات النيل الخالد وحتى الحدود الجنوبية لمصر، فأبحر على السفينة الملكية التي تتكوّن من طابقيْن، ولها صاري يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين متراً، يحمل قلعاً من الكتان له حافة إرجوانية مُطرّزة، وتحمل صفّيْن من المُجدّفين الأقوياء الذين يضربون الماء بمجاديفهم الفضية، فيدفعون السفينة للأمام، والسفينة

كأنها قصر صغير، تجد قاعة الطعام مُبطّنة بوزرات من خشب الأرز والسرو، ومُزيّنة بالزخارف المصرية بألوانها الزاهية، وغرف النوم المؤثثة بالأثاث الفاخر، وهناك على سطح السفينة أماكن للاسترخاء بلا سقف يحلو فيها الراحة في الصباح ووقت الغروب، وفي هذه الرحلة رتّبت "**كليوباترا**" الزيارات للمعابد والآثار التي تفوق عن أية آثار أخرى روعة وجمالاً وجلالاً، ووقف القيصر أمام الأهرامات مشدوهاً، وكلّما شدت هذه الآثار إعجاب قيصر كلّما ازداد افتخار كليوباترا بمصريتها، فإنها مصريّة حتى النخاع رغم أنها من أصول إغريقية، لكنها تشعر أن بُناة الأهرام هم أجدادها، فإن كليوباترا لم تتنست لمصر، إنما التفت بمصر، فعاشت مصر داخلها وخارجها.

وأبحرت سفينة يوليوس وكليوباترا في موكب يضم أربعمائة سفينة رومانية، فإن يوليوس قيصر قصد أن يكون مقبولاً مع قواته لدى الشعب المصري، عندما يرونه مع ملكتهم المحبوبة "**كليوباترا**" واحتفى الكهنة بزواجهما واعتبروا "**يوليوس**" أنه الإله آمون، ونقشوا على جدران المعبد بأرمنت هذا الزواج، وصوّروا آمون على شكل إنسان له ملامح يوليوس قيصر له قرنا كبش ملتويان.

وترك "**يوليوس قيصر**" الإسكندرية في يناير سنة ٤٧ ق.م، وكانت كليوباترا حاملاً منه، وما أن شعرت بالجنين ينمو في أحشائها حتى تمنّت أن يكون المولود ولداً، لأن يوليوس ليس له ابناً يخلفه على عرش روما الذي انفرد به بعد اغتيال "**بومبي**" منافسه، وترك "**يوليوس**" خمسة عشر ألف جندياً رومانياً لحفظ الأمن بالإسكندرية وحماية زوجته كليوباترا، واتجه إلى أسيا الصغرى، فحارب الملك "**تارناكيس**" في ربيع سنة ٤٧ ق.م في معركة قصيرة استغرقت ساعات قليلة، حتى قال قولته الشهيرة "*أتيتُ، رأيتُ، انتصرتُ*" (٤١) وأكمل "**يوليوس**" مسيرته إلى روما، وعندما دخلها عرض "**أرسينوي الرابعة**" موثقة بالسلاسل في موكب نصرته، ثم أرسلها كأسيرة في معبد أرطاميس بأفسس.

وفي صيف سنة ٤٧ ق.م وضعت كليوباترا طفلها ودعته "**بطليموس الخامس عشر**" ورأت فيه الوريث الشرعي لعرش روما، أمّا الشعب المصري فقد دعاه "**قيصرون**" أي قيصر الصغير نسبة إلى يوليوس قيصر، وفي سبتمبر سنة ٤٧ ق.م شقّت سفينة كليوباترا عباب البحر المتوسط من الإسكندرية إلى روما، تحمل على متنها ملكة مصر، مع

شقيقها الأصغر - وزوجها الصوري - الفتى "**بطليموس الرابع عشر**" وطفلها "**قيصرون**" وخرجت جماهير روما لتشاهد ملكة مصر ترفل في غناها ومجدها "*وكانت الملكة تبدو جميلة وهى محمولة في محفتها، متوّجة بعصبة من الذهب وتاج رأس الأفعى "سيدة الحياة" فوق جبينها، وكان يجلس فوق ركبتيها طفل ذهبي البشرة، كانت ملامحه هى ملامح قيصر دون شك، ولم تكن هناك حاجة لأي برهان آخر لإثبات نسبه*" (٤٢) وكانت كليوباترا تشعر بالفخر والاعتزاز، إذ هى ملكة دولة مُستقلّة جاءت لزيارة عاصمة الإمبراطورية الصديقة، وإن كانت تخفي في نفسها حسرة، فلا هى زوجة شرعية للإمبراطور، ولا ابنها ابناً شرعياً له، ومع ذلك فإن أملها لم ينقطع في أن يُعالج الموضوع بطريقة ما، وتصل إلى عرش روما في يوم ما.

واستضاف "**يوليوس قيصر**" كليوباترا ملكة مصر في ڤيلا فاخرة في ضيعته الخاصة على تل جانيكولا عبر نهر التيبر، لأن زوجته "**كاليورينا**" تقيم في القصر الإمبراطوري، وأمر مثّالي روما بإقامة تمثال من الذهب للملكة كليوباترا في صورة الإلهة فينوس إلهة الجمال ووضعه في محراب فخم يليق بها، كما أمر بسك قلادة نُقشت عليها صورة كليوباترا

في هيئة الإلهة إيزيس ـ التي عرفها الرومان وأضافوها إلى معبوداتهم ـ وتحمل ابنها على ذراعيها، وأوحى قيصر لأحد عظماء روما ليتقدّم بمشروع قانون لمجلس الشيوخ ليُسمح للقيصر بالزواج من أجنبيات لإقامة نسل له، ومنح "**يوليوس**" الملكة "**كليوباترا**" لقب "**صديقة الشعب الروماني**". وكان يذهب إليها يومياً، كما زار الملكة كبار رجال الثقافة والفن فأُعجبوا بعلمها وحصافتها وذكائها وغناها وكرمها.

أمَّا الشعب الروماني فلم يسترح لهذه الملكة التي هزمت بطلهم بتعويذاتها السحرية، فجاءت تسعى إلى عرش روما، وهى خليلة قيصر وليست زوجة له، واتهموها بالتعالي والكبرياء والغطرسة، تعيش في بذخ وترف خيالي، فعبس "**بروتوس**" صديق قيصر، والذي سيغتاله في يوم ما، في وجهها، ورغم أنها وعدت "**شيشرون**" بأنها ستهديه بعض الكتب الثمينة بمكتبة الإسكندرية إلاَّ أنه كرهها، وكتب في رسالته إلى صديقه "**أثيكوس**" يقول: "*إنني أكره الملكة، ويعلم أمونيوس الذي أكّد وعودها إنني على حق في أن أفعل ذلك، فوعودها إليّ كانت مُتعلّقة بكتب لغوية أدبية ولا تنقص من كرامتي الشخصية، وكنت أجسر أن أتحدّث عنها في اجتماع شعبي. وأمّا صلف الملكة عندما كانت في*

حدائقها (قصرها الريفي) على الضفة الأخرى من التيبر، فلا أستطيع أن أذكره دون أن أشعر بألم شديد" (٤٣).

كما أَلَّف "**هورتيوس**" أنشودته ضد كليوباترا قائلاً: *"تلك الوحش المميت، التي تقود بفجور غير عادي عصابة من الأغبياء لتدمير هذا الكابيتول والإمبراطورية الرومانية" (٤٤).*

والحقيقة أنه" *من الإجحاف وصفها بأنها كانت مجرد غانية لعوب. لقد كانت كليوباترا ملكة واسعة الثقافة، مليئة بالحيوية، ومنظمة بارعة. حَبتها الطبيعة بالجاذبية والذكاء وعذوبة الصوت، وأوتيت من مضاء العزم والشجاعة والطموح قدراً كبيراً، ولا يستطيع مؤرِّخ مُنصف أن يأخذ عليها استغلال كل هذه المواهب في تسخير قادة الرومان لتحقيق أطماعها وصيانة استقلال بلادها" (٤٥).*

٦ ـ **اغتيال الإمبراطور:** وظن المحافظون أن "**يوليوس قيصر**" يسعى لإعادة الملكية ثانية إلى روما، فأشاعوا عنه أنه ينوي نقل العاصمة إلى الإسكندرية، بينما ملكة مصر "**كليوباترا**" قد تركت الإسكندرية منذ ما يقرب من عامين بلا ملكة ولا ملك ولا حاكم، فإنها تؤهِّل نفسها للحياة في روما، وفي ١٥ مارس سنة ٤٤ ق.م انفرد ثلاثة وعشرون شخصاً بيوليوس قيصر وهو على أعتاب مجلس الشيوخ، وطعنوه

طعنات نافذة، ونظر فإذ به يلمح صديقه "**بروتس**" بينهم فقال: "*حتى أنت يا ولدي .. حتى أنت يا بروتس!!*" وذاعت الأنباء في روما "لقد قتلنا الظالم" أمَّا الشعب فقد صمت من هول المُفاجأة، وامتزجت الحسرة بالألم، وارتسمت المأساة واضحة على وجه ملكة مصر، فشدّت الرِّحال وقفلت إلى بلادنا المصرية تنشد الأمن والأمان، بعد أن تبخرت أحلامها في أن تصبح سيِّدة روما الأولى. عادت كليوباترا إلى الإسكندرية لتهتم بالبلاد التي تركتها نحو سنتين، فنظّمت الضرائب، وحسّنت من وسائل الري، واهتمت بتجميل الإسكندرية، وعادت للنهوض بالميوزيوم والمكتبة فشجّعت العلماء والأدباء والفنانين، ونهضت بالصناعة وسَمحت للمصريين بالتعيين في الوظائف الحكومية والتي كانت مُقتصرة على الإغريق، وفرح الناس بقدومها، وعاد الهدوء والطمأنينة والرخاء إلى مصر "*كانت الملكة كليوباترا امرأة ممتازة لصفاتها الشخصية وقوة أعمالها. ولم ينجز أحد من الملوك من أسلافها مثل تلك الأعمال العظيمة التي أنجزتها. لقد عملت كل شيء بسخاء لمصلحة البلاد وقد قامت حتى وفاتها بأعمال عظيمة كثيرة عديدة وأنشأت مؤسّسات هامة*" [٤٦] وعقب اغتيال قيصر هبَّ "**أوكتافيوس**" حفيد

شقيقة يوليوس، وابن يوليوس بالتبنِّي، الذي أوصى له يوليوس بعرش روما، وهبَّ معه "**ماركوس أنطونيوس**" للانتقام من قتلة قيصر "**بروتوس**" و"**كاسيوس**" وانفرد كل من الأربعة بجيشه، وواجه "**أنطونيوس**" كاسيوس وألحق الهزيمة به، فانتحر "**كاسيوس**" قبل أن يعلم أن مشايعه "**بروتوس**" قد ألحق الهزيمة بأوكتافيوس، إنما ظن العكس. وبعد ثلاثة أسابيع استطاع "**أوكتافيوس**" أن يرد الهزيمة على "**بروتوس**" الذي هرب وانتحر أيضاً، وبهذا انتحر قتلة قيصر كاسيوس وبروتوس. أما "**أوكتافيوس**" فقد صار إمبراطوراً للغرب، و"**ماركوس أنطونيوس**" إمبراطوراً للشرق.

وأردف "**ميناس**" قائلاً: إن كانت هذه المغامرة العاطفية لملكة مصر، انتهت باغتيال الإمبراطور، وانتحار قتلته، فإن المغامرة الثانية لكليوباترا ستنتهي نهاية مأساوية بصورة أبشع إذ يُقتل آلاف الجنود وينتحر زوجها الجديد أنطونيوس وتنتحر هى أيضاً.

إسكندر: إن الموضوع مشوق جداً، ولكن عفواً للمقاطعة فإنني أشعر أنني في حاجة شديدة للعودة إلى محل خدمتي، فكأن هناك هاتفاً داخلي يدعوني للإسراع إلى الكاتدرائية، وتعاطف الأصدقاء مع مشاعر إسكندر، فأسرعوا الخطى

نحو الكاتدرائية، وما أن اقتربوا من الباب الخارجي حتى شعروا بأن هناك أمراً غريباً يحدث، وقد تجمّع تقريباً كل آباء الإسكندرية مع الأراخنة، فإذ بالحالة الصحية لـ "**قداسة البابا ثاؤنا**" قد تدهورت كثيراً، فدلف "**إسكندر**" و"**أرشي**" إلى القلاية البطريركية .. التفوا حول سرير البابا وكل منهم يعتصره الألم، وتجرأ أحد الآباء قائلاً: "*أتمضي هكذا يا أبانا وتتركنا يتامى؟!*".

فقال البابا مشيراً على "**أبونا بطرس**": "*هذا أبوكم الذي يرعاكم من بعدي ..*

أخبركم أمراً عجيباً لا أستطيع إخفاءه، فبينما كنت أصلي المزامير وأنا مُستلقي على سريري، ناجيت الرب وطلبت منه أن يرسل راعياً صالحاً لقطيعه، يعمل حسب مشيئة الله، وسط ضيق هذا العالم ..

وإذ برب المجد، ملك الملوك، يظهر لي ويطمئنني قائلاً: أيها البستاني للحديقة الروحية، لا تخف على البستان ولا تقلق، أُسلِّمه إلى بطرس الكاهن يرويه، وتعالَ أنت لتستريح مع آبائك".

والتفت البابا ثاؤنا لأبونا بطرس وقال:

"*تشجّع، فإن الله معك يا ابني. افلح البستان جيداً*".

وبكى "**أبونا بطرس**" وسجد بين يدي أبيه الروحي ومُعلّمه وحبيبه قائلاً:

"*إني غير مُستحق وليس لي قوة لعمل عظيم كهذا*".

فقال "**البابا ثاؤنا**":

"*لا تقاوم الرب، فأنه يهبك قوة*".

وتمتم البابا قائلاً: "*هوذا ملك المجد وملائكته القديسون!!*".

وأغمض "**البابا ثاؤنا**" عينيه ليفتحهما على دهور النور في اليوم الثاني من شهر (طوبه) سنة ٣٠١م، وسريعاً ما انتشر الخبر، حتى ارتجت مدينة الإسكندرية، وجاء المؤمنون عشرات الألوف وحتى غير المؤمنين جاءوا ليشهدوا مدى محبّة الشعب القبطي وإخلاصه ووفاءه لأبيه البطريرك .. لقد أُغتيل "**يوليوس قيصر**" سيّد العالم فلم تهتز روما مثلما اهتزت الإسكندرية بانتقال الأب البطريرك..

عَبَرَ "**البابا ثاؤنا**" ذاك الرَّجُل التقي من أرض الشقاء إلى أرض البقاء ..

عَبَرَ ذاك الرَّجُل المُثقف صاحب الفكر العالي من دار التعب إلى دار الراحة ..

عَبَـرَ ذاك البسـتاني الأمـين الـذي أنشـأ أول كاتدرائيـة عظمـى وجمـع أولاده فـي حضـنه بوجهـه البشـوش وابتسـامته الحلوة وقداسة سيرته ..

عَبَرَ ذاك الرَّجُل العظيم سريعاً بعد أن تولّى الباباوية من ١٤ برمودة سنة ٢٨٢م إلى شهر طوبه سنة ٣٠١م نحو تسعة عشر عاماً مرّت بسرعة البرق، والكنيسة تعيش في سلام، وقد هدأت الاضطهادات طوال فترة رعويّته، بل منذ عهد الإمبراطور "**جاللينوس**" Gallinus (٢٦٠ ـ ٢٦٨م) الذي أصدر مرسوم التسامح الديني سنة ٢٦١م .. يا لها من فترة سلام طويلة استغرقت نحو أربعين عاماً (٤٧) تزايد فيها عدد المسيحيين في الوظائف والمراكز المرموقة، وبُنيت الكنائس في المدن الكبرى، حتى صار في روما نحو أربعين كنيسة، وفي مقدونيا كاتدرائية ضخمة وكذلك في الإسكندرية. ولا أحد يعلم أن الاضطهاد الدقلديانوسي العارم الذي سيغرق العالم في دماء المسيحيين البررة يقف على الأبواب.

الفصل الثامن: تتويج البابا

شيّعت الإسكندرية باباها العظيم "**الأنبا ثاؤنا**"، الذي ظل حيًّا في قلوب أولاده، كما تعلّقت كل عيون الشعب بتلميذه النجيب قدس "**أبونا بطرس**"، فهو باباهم الذي سيجلس على عرش مارمرقس بتصريح رسمي من رب المجد عريس الكنيسة، وكان "**أبونا بطرس**" يناجي في صلواته، ولا سيما في القداس الإلهي، روح أبيه الروحي ومُعلّمه ومُرشده الأنبا ثاؤنا، وبلاشك أن المشاعر مُتبادلة، فلابد أن البابا الذي سكن فردوس النعيم وصار قريباً من العرش الإلهي لا يكُف عن الصلاة من أجل كل أولاده، ولا سيما القس بطرس، المُزمع أن يعبُر بالكنيسة أشد العصور ظُلمةً وظُلماً واضطهاداً وتعسُّفاً ودماءً وأشلاءً .. هذه هى الكنيسة المُقدَّسة، فهى كنيسة فوق الزمان .. المُجاهدون يصلّون من أجل المُنتصرين، والمنتصرون الذين بلغوا سماء المجد يتشفّعون من أجل الأحياء على الأرض، وهؤلاء وأولئك يصلّون من أجل الآتين بعدنا الذين لم يولدوا بعد.

ومع فجر اليوم الأول من أمشير سنة ٣٠٢م بدأت صلوات التسبحة في كاتدرائية السيدة العذراء مريم بالمدينة

العُظمى المُحبّة لله الإسكندرية، وبدأ الأساقفة الذين توافدوا منذ الأمس وأول أمس يتوافدون من سكناتهم، وكذلك الآباء الكهنة من الإسكندرية وخارجها، كما حضر أساقفة أورشليم وأنطاكية وقبرص، والكل يشكر الله الذي أظهر اهتمامه بكنيسته وأعلن إرادته في اختيار "**أبونا بطرس**"، فأراح الجميع من مسئولية الاختيار والتفضيل .. وبعد أن تختار السماء مَنْ يستطيع الاعتراض؟! لم تكفِ كاتدرائية الألف عمود على استيعاب الوافدين من الأكليروس والشعب، فازدحمت الشوارع المحيطة بها، بل أن الإسكندرية قد ارتجت بهذا التجمُّع الضخم والحشد الهائل، وتساءل الناس: ماذا يحدث اليوم ؟! .. وقال أحد الحاسدين: ما بال المسيحيون يخرجون من جحورهم اليوم؟!

وبدأت صلوات التكريس للبابا الجديد "**بطرس بطريرك الكرازة المرقسية وبينتابوليس**" (الخمس مدن الغربية) وارتفعت الصلوات والابتهالات من الآلاف من أجل البابا الجديد، ليجعل الله عهده عهد بركة وسلام، مثلما كان عهد سلفه البابا ثاؤنا، ورغم طول الصلوات ومرور الساعات فإن أحداً لم يمل ولم يكل، ولم ينصرف أحد.

وممّا زاد فرحة الشعب أن أول عمل قام به "**البابا بطرس**" أنه وضع اليد على تلميذيه، فسام "**أرشي**" دياكون باسم "**أرشيلاوس**" وسام "**إسكندر**" دياكون بِاسم "**ألكسندروس**"، والدياكونية (الشماسة) هى أولى درجات الكهنوت الثلاث (الدياكونية والقسيسية والأسقفية).

وانتهت الصلوات بزفّة البابا بطرس الأول، فطاف الأساقفة والكهنة أرجاء الكنيسة يحملون المجامر ومعهم الشمامسة يحملون الصلبان، واستراحت روح أبينا الأنبا ثاؤنا عندما أبصر ابنه الذي ربّاه وتلمذه قد تسلّم البستان ليرويه بعرقه ودمه، وعمّت الفرحة أرجاء الكرازة المرقسية بالبابا الجديد.

أمّا الشماسان المُكرّسان "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**" فقد زادا من طاعتهما لأبيهما الروحي الذي اعتلى السّدة المرقسية، وصارا يبذلان كل جهد في خدمتهما، وقداسة البابا بطرس من جانبه اختصهما برعايته ومحبّته ولم يبخل عليهما بشيء من خبراته الروحية، وهو لا يدري أنه يتلمذ البطريرك القادم وبعد القادم، وهكذا تستمر حياة التلمذة في كنيستنا المقدّسة من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور. آمين.

ولمع في سماء الإسكندرية نجماً جديداً، وهو "**أريوس**" الذي وُلِد سنة ٢٧٠م وعاش في ليبيا، وكان قد تتلمذ على يد "**لوكيانوس**" الأنطاكي الذي تأثر بآراء "**بولس الساموساطي**" الذي وُلِد في "سيمساط" وهى مدينة صغيرة ما بين النهرين، وكان بولس مهموماً بجمع المال والغنى، وتمكّن من الوصول إلى الكرسي الأنطاكي، وعندما كان يسير هذا الأسقف كان يسبقه مائة خادم ويلحقه مائة آخرون، وكان يصطحب معه امرأتيْن جميلتيْن تصحبانه أينما توجّه فيقضي معهما أكثر أوقاته، وبدَّل ترانيم الكنيسة بمدائح لشخصه، وكان يهين ويوبّخ من لا يصفِّق له في عظاته، وكلّفته الملكة "**زنوبيا**" ملكة تدمر بتحصيل الخراج، فتولّى السُّلطة المدنية بجانب الدينية، وأعدَّ لنفسه محكمة وعرشاً مُرتفعاً، وعند دخوله للمحكمة كان يضرب الأرض بقدمه ويضرب بيده على فخذه، ونادى بأن السيد المسيح وُلِد إنساناً عادياً ممتلأً قوة إلهيَّة، ثم حلّ فيه كلمة الله، ولهذا دُعيَ بابن الله لأن الكلمة الإلهي اتحد به، ولكن عند الصليب فارقه، وصلب يسوع الإنسان، وحاول البابا ديونيسيوس رقم (١٤) أن يثنيه عن رأيه، وقد شرح له الإيمان المستقيم من خلال رسائل عديدة، إلاَّ أنه كان

مُتمسكاً برأيه، وكلّما عُقِد له مجمع في أنطاكية كان يراوغ ولا يبوح بعقيدته، فأرسل آباء أنطاكية يشكون للبابا مكسيموس (رقم ١٥) فعقد مجمعاً سنة ٢٦٨ م حضره عدد كبير من الأساقفة وحكموا بحرمه، وتعيّن "**دمنوس**" عوضاً عنه، ولم يرضخ "**بولس الساموساطي**" لحكم المجمع مستقوياً بقوة تدمر، فرفع الأساقفة الأمر للإمبراطور الروماني "**أورليان**" فحكم بأن تعطى الأسقفية لِمَنْ انتخبه المجمع. كما اعتقد "**لوكيانوس**" أن السيد المسيح ليس هو إنساناً كاملاً ولا إلهاً كاملاً، وتأثر أريوس بآراء هذا وذاك .. وهكذا تنتقل البدعة كالوباء من شخص إلى آخر وتزيد وتتفرع، ولكنها تقف عاجزة أمام الإنسان المُتضع، وليس لها سُلطان إلاَّ على الإنسان المُتكبِّر المُتصلّف المُعتد برأيه.

وجاء "**أريوس**" إلى الإسكندرية، والتحق بالمدرسة اللاهوتية، وتبحّر في العلوم اللاهوتية، وتعاطف مع "**ميليتوس**" (أسقف أسيوط المنشق) ثم أعلن "**أريوس**" خضوعه للبابا بطرس، فقَبِله البابا بمحبّة وسامه شماساً، ثم قساً، وعيّنه واعظاً لفصاحته، و"*كان أريوس لاهوتياً مُتعلّماً ناسكاً في طبعه، مُتقد غيرة، قوي العزيمة، له قدرة فائقة على الوعظ*" (٤٨).

وكان "**البابا بطرس**" المُتسربل بالاتضاع لا يستنكف أن يحضر عظات أريوس أو غيره، فلاحظ قول أريوس "*ابن الله كائن بعد إن لم يكن*" .. فظن أنه يتكلّم عن ناسوت السيد المسيح، ومن الطبيعي أن هذا القول ينطبق على الناسوت الذي لم يكن له وجود قبل أن يتكوّن في أحشاء العذراء البتول، فالابن أزلي بلاهوته، أمّا الناسوت فقد مرَّ وقت لم يكن له وجود، لأن الناسوت ليس أزلياً، وإذ بأريوس يركّز على الآيات التي تخُصّ الناسوت ويتفادى الآيات التي تتحدّث عن لاهوت السيد المسيح، ومساواته للآب، ولم يكن لبابا الإسكندرية حارس الإيمان الأمين أن يصمت، إنما بمحبّة وجّه نظر أريوس، ظناً منه أن هذا مُجرّد فكر عابر غير مقصود، ولكنه اكتشف أن هذا الفكر غائر وعميق في قلب أريوس وعقله، والدليل على هذا أن "**أريوس**" لم يتخلّى عن فكره، ولم يتجاهله إكراماً لخاطر البابا، بل ظن أنه هو الوحيد الذي يفهم الحقيقة دون الكل، فظل يؤكّد على فكره الخاطئ، حتى أباح (أريوس) بأن السيد المسيح ليس مساوياً لله، إنما هو إله تابع للرب، وأن الآب الأزلي غير المحدود القادر على كل شيء هو الذي خلق الابن، وقد مرَّ وقت كان فيه الآب ولم يكن فيه الابن، وأن عبادة الابن نوع من

الشرك والوثنية، وإن كان الابن كائن قبل خلق العالم إلاَّ أنه ليس أزلياً، بل يعتمد على المعونة الإلهيَّة، لأنه كان قابلاً للسقوط في الخطية، وأن الابن هو الذي خلق الرُّوح القُدُس، وبدأ أريوس يتحدّث ببدع عجيبة غريبة، وصار لساناً للشيطان.

وعقد "**قداسة البابا بطرس**" مجمعاً بالإسكندرية حضره عدد من الآباء الأساقفة، واستدعوا أريوس وأخذوا يناقشونه في آراءه، ولكن كبرياءه منعه أن يتنازل عن بدعه، وينصاع للحق، فانتهى المجمع إلى حرمه، فحُرِم من الأسرار المُقدَّسة، ومن خدمة الوعظ، ودخول الكنيسة، وممّا زاد من قسوة أريوس أنه كان يتمتّع بشعبية كبيرة نتيجة عظاته الرنّانة وفصاحته، فكثيرون شايعوه ممّا زاد من قساوة قلبه، وشعر أنه في حرب مع الباطل، فراح يعد العُدة لينشر عقيدته من خلال أشعار سهلة يترنّم بها أتباعه، وهي "**الثاليا**" التي سُمِع صداها في شوارع الإسكندرية.

أمّا "**البابا بطرس**" فأخذ يحصِّن شعبه ضد بدع الأريوسية، وأرسل رسائل لاهوتية إلى شتى أنحاء الكرازة المرقسية فاضحاً فكر أريوس الذي ينكر أزلية الابن، موضِّحاً أن الابن اللوغوس هو عقل الله الناطق أو نطق الله

العاقل، فقول أريوس أنه مرَّ وقت كان فيه الآب بدون الابن يساوي القول بأنه مرَّ وقت كان فيه الآب بدون عقل، وشرح البابا عقيدة الثالوث القدوس وتساوي الأقانيم في الأزلية وفي كل الكمالات الإلهيَّة، وأن الآب ليس أعظم من الابن ولا الابن من دون الآب، وإن قال الابن "*أبي أعظم مني*" فقال هذا في حالة كونه مُتجسِّداً مُهاناً مُحتقراً من خاصته حتى ادَّعوا عليه أنه مجنون وببعل زبول يخرج الشياطين، فكون الابن أخفى لاهوته فهذا أظهره بمظهر أقل من الآب كثيراً، ولكن بالقيامة أعلن مجد لاهوته، وأن الابن لم يتخلّى عن لاهوته إنما أخفاه لكيما يرتضي عدو الخير أن يدخل المعركة معه، فيهزمه بالصليب ويسحقه ويُخلِّص آدم وكل بنيه من قبضته، وهكذا ظلّ البابا الأمين حارس الإيمان يحفظ شعبه من الذئاب الأريوسية، ومع هذا فإن شوكة أريوس ظلّت قويّة إذ وضع هدفاً نصْب عينيّه، وهو أن يصل إلى كرسي مارمرقس.

وبينما طوت مشاغل الخدمة "**أرشيلاوس**" و"**ألسكندروس**"، وطوى الدرس والبحث "**ميناس**"، وطوت الحياة العسكرية "**ديمتري**"، أصبح من النادر أن يلتقي الأصدقاء معاً، وبعد نحو عام من حبرية البابا بطرس انتهز

الأصدقاء الفرصة والتقوا معاً، وسريعاً ما دلفوا من الشارع الكانوبي إلى طريق الهيباستاديوم حتى وصلوا إلى مكانهم المُفضّل على أحد أطراف جزيرة فاروس، وفي مسيرتهم وجلستهم إنساب الحديث سلساً وتواصلت الأفكار:

أرشيلاوس: ما هى أخبار دراستك وأبحاثك يا أبو التاريخ؟

ميناس: انتهيت من دراسة تاريخ الدولة الإغريقية، كما حدثتكم من قبل عن ملكة مصر "**كليوباترا .. هل كانت وطنية أم أنانية؟**" ولم نكمل الحديث.

أرشيلاوس: نكتنز الفرصة اليوم لتُكمل لنا يا أخ ميناس قضية " **كليوباترا .. هل كانت وطنية أم أنانية؟**".

ألكسندروس: دعنا يا أرشيلاوس نطمئن أولاً على أحوال الأخ ديمتري .. ما هى أخبار بحارنا المُغامر؟

ديمتري: إن أهوال البحر لا تنقطع وخلال العام الماضي وبسبب ثقة القائد الزائدة بي، شاركت في عدة مهام صعبة لقنص القناصة، حتى عاد النشاط التجاري ونهضت الصناعات، ومنذ ثلاثة أسابيع تعرّضت لموقف صعب وكان من الممكن أن أعود إليكم بغير طرف من أطرافي، أو أعود جثماناً، أو لا أعود على الإطلاق.

ألكسندروس: خير يا ديمتري .. حافظك حافظ إسرائيل لا ينعس ولا ينام.

ديمتري: بينما كُنا نرسو بالسفينة قُرب الشاطئ، وفي وقت الغروب أراد "**فاليري**" الجندي البدين، الذي جذبته مياه البحر بصفاءها ونقاءها وهدؤها، أن يقفز فيها، ولكنني حذرته لأن هذا المكان تكثر فيه أسماك القرش، فقال لي أنه اعتاد أن يلعب معها وهى لا تؤذِه، فقلت له: الذي يلعب بالنار تلسعه، وعلى حين غرَّة وجدته يقفز في الماء من على سطح السفينة بارتفاع نحو أربعة أمتار، ولسوء حظه أنه اصطدم بسمكة قرش ضخمة تفتح فاها فأُصيب ساقه بجرح بالغ وبدأت دمائه تلون المياه الصافية، فأدركت أنه هالك هالك، فالدم يثير شهية أسماك القرش التي تشتم رائحته من على بُعد عدة كيلومترات، وفي لحظة وجدت نفسي أقفز بجواره بملابس الجندية، واستليت الخنجرين اللذين بجانبيَّ، فسلّمت فاليري أحدهما، وحاولنا أن ندافع عن أنفسنا ضد أسماك القرش التي تجمّعت بأعداد ضخمة حولنا، وقد ركّزت هجومها تجاه ساق فاليري التي تنذف، واجتهدنا أن نتعلّق بأطواق النجاة التي طوح بها لنا زملائنا، وهى مربوطة بحبال إلى السفينة، ونجحت في مساعدة الجندي المُصاب،

الذي كان بخنجره يضرب في كل اتجاه، حتى أمسك بطوق النجاة، وفي لحظة كانت ساقه بالكامل في جوف سمكة قرش ضخمة، فالقرش يحمل أكثر من صف من الأسنان القوية التي تأخذ شكل التروس القادرة على تحطيم عظام الإنسان، وأمسكتُ بالطوق الآخر، وسحبنا زملاءنا إلى سطح السفينة وأسماك القرش تتحسر إذ فلت منها هذا الصيد الثمين، فأجرينا الإسعافات السريعة لفاليري من أجل إنقاذ حياته، الذي ارتسمت عِظم الكارثة على وجهه، وليست الكارثة تتمثّل في ساقه الذي بترته سمكة القرش بقدر ما أنه سيفقد عمله، ولن يحصل على الرعوية الرومانية التي كان يحلم بها ولا على مكافأة نهاية الخدمة الضخمة.

ميناس: لقد حفظك الله يا ديمتري حتى تنال الصبغة المُقدَّسة.

ديمتري: ما يؤسفني ويؤرقني ويقض مضجعي أنني لم أعتمد إلى الآن، فإن عقلي يقف حجرة عثرة أمامي .. دائماً أمي تقول لي: "*إنني دائماً أطلب من المصلوب أن يضمك إلى أحضانه قبل أن يغمض الموت عينيَّ*".

أرشيلاوس: ثق أيُّها البحار المُغامر أن محبّتك التي جعلتك تضع نفسك تحت حُكم الموت من أجل فاليري لن

تضيع هباءً، والله ليس بظالم حتى ينسى مثل هذا الحب وتلك التضحية .. هل لك يا ميناس أن تحكي لنا عن تاريخ مصرنا الحبيبة مع نهاية الحكم الإغريقي وبداية الحكم الروماني في عصر كليوباترا؟

ميناس: نبدأ من حيث انتهينا، ونوجز القول، لكن من يذكر ما انتهينا إليه المرّة السابقة؟

فأجاب الأصدقاء في آن واحد: اغتيال يوليوس، وعودة كليوباترا إلى مصر.

ميناس: برافو .. شاطرين ومذاكرين .. أُغتيل يوليوس قيصر في روما، وانسحبت كليوباترا من المشهد بعد أن تبخّرت طموحاتها في عرش روما، وكل ما فازت به هو بغضة وكراهية الرومان لها، وحيث أننا تحدّثنا في المرّة الماضية في ستة نقاط وهى:

١ ـ نشأة كليوباتـرا. ٤ ـ يوليوس وحرب الإسكندرية.

٢ ـ صراع كليوباترا وشقيقها. ٥ ـ كليوباتـرا ويوليوس.

٣ ـ يوليوس وبومبي ٦ ـ اغتيال الإمبراطور.

والآن دعونا نستعرض بقية تاريخ مصرنا الحبيبة في تلك الحقبة في أربع نقاط أخرى وهى:

٧ ـ كليوباترا وماركس أنطونيوس.٩ ـ معركة أكتيوم البحرية.
٨ ـ أنطونيوس وأكتافيوس.   ١٠ ـ انتحار الحبيبيْن.

٧. كليوباترا وماركس أنطونيوس: بعد قصاص أكتافيوس وأنطونيوس من قتلة يوليوس قيصر، وانتصارهما على جيش بروتوس وكاسيوس، كان "**أنطونيوس**" في طرسوس وأرسل يستدعي كليوباترا لمسألتها عن تقاعسها في الانتقام من قتلة زوجها، وأيضاً طمعاً في الحصول على الدعم المصري في حروبه، وتلقّت كليوباترا الرسالة ولم تذهب مع رُسل أنطونيوس، إنما ذهبت بطريقتها الخاصة، إذ أبحرت بسفينتها الملكية ذات الأشرعة الكتانية بأطرافها الإرجوانية المُطرَّزة، تطلّ من على سطحها مظلّة كليوباترا الذهبية، والخدام يرفلون حولها يُروِّحون عنها بمراوحهم الفاخرة، ورقائق الذهب التي تغطي مؤخرة السفينة لا تكف عن البريق، وبينما تنساب السفينة على صفحات المياه الزرقاء، فإن رائحة وأريج العطور الشذية تفوح منها، وصوت الموسيقى يصدح ويتجاوب مع أمواج البحر الرقيقة ونسماته العليلة، بينما أحاطت بالسفينة مجموعة من أسماك الدلفن التي استهوتها تلك السفينة وهذه الموسيقى الرائعة، فراحت تقفز في حركات بهلوانية ترحيباً بملكة مصر: "*كانت*

السفينة التي أقلتها أشبه شيء بالعرش اللامع.
تلمع فوق الماء.
وكانت مؤخرتها من الذهب المطروق.
وقلوعها إرجوانية اللون.
ومضمخة بالروائح العطرية إلى الحد الذي جعل الرياح سكرى بالحب معهم.
وكانت المجاديف من الفضة.
وكانت تضرب صفحة الماء على نغمات النادي.
وجعلت الماء الذي ترتطم به يسير خلفها بسرعة أكثر كأنما هام بضرباتها.
أمّا هي نفسها فإنها تزيد وتعلو عن كل وصف.
كانت تضطجع في سرادقها، المصنوع من قماش من خيوط الذهب من نسيج تزيد في صورتها على فينوس ..
وعلى الجانبين منها وقف غلمان رشيقون، بخدودهم غمازات، وكل منهم يشبه كيوبيد وهو يبتسم.
ومعهم مراوح ذات ألوان مُتعدِّدة، كأنما كان نسيمها الذي ترسله يزيد من حمرة الوجنات اللطيفة التي كانت ترطبها.
ثم تعود فتلقي ما عملته، لتعمله من جديد" (٤٩).

وعندما وصلت سفينة كليوباترا إلى طرسوس تقاطر أهل المدينة ليروا عظمة ومجد وغنى ملكة مصر، ونما إلى علم أنطونيوس ذاك المجد وتلك الأُبهة، وعِوضاً أن تمثُل ملكة مصر أمام أنطونيوس لتؤدي حساباً، دعته للصعود إلى السفينة، فصعد ووقف وأُخذ بجمالها وجلالها، كما أُخذ من قبله قائده يوليوس قيصر. كانت "كليوباترا" ترتدي ثوباً سندسياً تضيف عليه جمالاً من جمالها، وشذى عطرها يفوح بقوة أنست أنطونيوس لماذا استدعاها ؟! بل نسى نفسه أمامها، وبذلك لم تكن ملكة مصر في حاجة إلى رد التهمة عن نفسها، أو تبرير موقفها، فترحيب أنطونيوس بها كان وافراً غامراً، ودعاها لتناول العشاء معه، أمّا هى فقد وجّهت ذات الدعوة في جديّة مع دلال، ولم يكن لأنطونيوس جرأة الرفض، فللوقت لبّى الدعوة، وعلى هذه المائدة رأى أنطونيوس ما أدهشه وسَحره، فأواني وأدوات المائدة من ذهب، صحائف من فضة وذهب تأخذ بالألباب، ونيران المشاعل وأنوار المصابيح تتلألأ على صفحات مياه البحر الأبيض، وقد أحضرت كليوباترا معها أعظم طُهاة مصر وأفضل الجرسونات، من شباب وشابات يفيضون حيوية وجمالاً، فأكل أنطونيوس أشهى المأكولات، وشرب أفخم

النبيذ المريوطي، ويعد الوليمة أهدت ملكة مصر لأنطونيوس بعض الصحف الذهبية والطنافس، وانبهر القائد الروماني من هذا الغنى، وذاك المجد، وتلك العظمة التي لم تصل إليها روما بعد.

وفي اليوم التالي كرَّرت ملكة مصر الدعوة والوليمة بصورة أكثر فخامة وفخفخة من الأولى، وفي اليوم الثالث حلّت كليوباترا ضيفة على أنطونيوس في طرسوس، وشتان بين ولائم ملكة مصر الخيالية، والموسيقى الفرعونية تصدح فتنتشي النفوس وتصفو الأرواح، وبين وليمة أنطونيوس التي يعوزها الفن والرّقة والغنى .. هام أنطونيوس حُبّاً بكليوباترا وطمع ليس في غناها وذهبها فقط، بل طمع أن تكون هى بجملتها له، وهذا ما خطّطت له كليوباترا ونجحت فيه إلى حد بعيد، حتى صار كخاتم في اصبعها، وكطفل صغير يحبو نحو صدر أمه، لقد غرق القائد الروماني العنتيل في حب الملكة التي ملكت كل مشاعره وأحاسيسه، ووضعته في قلبها وأغلقت عليه، وأنسته زوجته الرومانية تماماً.

وأمضت "**كليوباترا**" أياماً في طرسوس عادت بعدها إلى الإسكندرية، وهى توقن أن أنطونيوس سيسعى في أثرها، وهذا ما حدث إذ أقبل أنطونيوس في شتاء عام ٤١ ق.م إلى

الإسكندرية، ودخلها كمواطن روماني عادي، وليس كقنصل يحمل سُلطة وسيادة روما، كما فعل قائده يوليوس قيصر منذ سبع سنوات فثار عليه الشعب السكندري وقاتله، وعاش "**أنطونيوس**" في القصر الملكي مع كليوباترا أجمل أيام عمره، وكوّن الاثنان نادياً بإسم "**نادي الزملاء الذين لا يحكمون**" ورتبت "**كليوباترا**" لأنطونيوس جولة لزيارة معالم الإسكندرية، فصعد إلى الفنار ونظر وإذ كل شيء مكشوف أمامه، وتجوّل في الميوزيوم، ومكتبة الإسكندرية التي ليس لها مثيل في العالم كلّه، وتعرَّف على أقسام الميوزيوم وعلمائه، وذهب إلى معبد السيرابيوم، والجمنازيوم، ودار القضاء، والميناء الغربي والشرقي .. الخ، ثم رتّبت له جولة أخرى في الربوع المصرية فوقف أمام الأهرامات مشدوهاً، وأمضى ساعات طويلة في زيارة المعابد الفرعونية، وجال بخاطر ملكة مصر الرحلة النيلية الرائعة التي صاحبت فيها من قبل يوليوس قيصر على نفس السفينة، فيكاد كل شيء لم يتغيّر باستثناء تغيّر الشخصية الرئيسية، فذهب إمبراطور وأتى إمبراطور، وهذه هي سُنّة الحياة "*مات الملك عاش الملك*"، وقالت في نفسها: إن كانت الدنيا قد ضنَّت عليَّ بالرَّجُل الذي أحببته وتزوّجته وأنجبت منه ابني "**قيصرون**"

فأُغتيل بأيدي أثمة، فهل تترك لي الدنيا زوجي الجديد أنطونيوس ؟!

ومع كليوباترا نسى القائد الروماني واجباته في الدفاع عن أراضي الإمبراطورية، بل نسي نفسه، حتى أنه كان يتنكّر مع كليوباترا في زي العامة، ويطوفان شوارع الإسكندرية ويحتكان بالكتل البشرية التي تموج بها المدينة من جنسيات شتى، ثم أسَّس الاثنان نادياً آخر بِاسم "**فيلوباتور**" على مستوى عالٍ من الرفاهية والبذخ، حتى أن الآنية والكؤوس المُستخدمة فيه كانت من فضة وذهب، وصار النادي عنواناً للغنى الفاحش، وكانت نتيجة زواج كليوباترا بأنطونيوس توأم ولد وبنت، وهما "**بطليموس هيليوس**" أي الشمس، و"**كليوباترا سيلين**" أي القمر.

وكان من السهل على أنطونيوس أن يستولي على مصر، ويغتصب كنوز البطالمة، ولكن حب كليوباترا لأنطونيوس أتاح لمصر أن تعيش فترة أخرى كدولة مُستقلة، وظلت المدينة العظمى هى الأولى في العالم من جهة العلم والحضارة والثقافة والفن والتجارة .. الخ، وأقامت كليوباترا "**معبد قيصريوم**" تكريماً للقائد الروماني ماركوس أنطونيوس واعترافاً بالجميل الذي أسداه لوطنها، وفرح هو بهذا: "*فأي*

رجل يستطيع مقاومة إغراء المناداة به إلهاً، يُعبد في معبد فخم (قيصريوم) بُني خصيصاً تكريماً له ؟! كان هذا بعد زواجه منها .." [٥٠] .. واستيقظت طموحات كليوباترا في عرش روما مرّة ثانية .. لقد نجحت كليوباترا في أن تجعل من أنطونيوس مواطناً إسكندرياً أكثر منه رومانياً، وبهذا تكون كليوباترا قد أنقذت مصر مرّتين، الأولى عندما سلبت قلب يوليوس قيصر، والثانية عندما سلبت عقل ماركوس أنطونيوس، فهل ستنجح في إنقاذ مصر للمرّة الثالثة من مخالب أكتافيوس، أم ستكون نهايتها المآسوية مع زوجها أنطونيوس، فيقودها إلى الانتحار وتسقط مصر في قبضة روما تستنذفها وتمتص دمائها؟!!

٨ ـ **أنطونيوس وأكتافيوس:** أكتافيوس هو ابن يوليوس قيصر بالتبني، اشترك مع أنطونيوس في القصاص من قتلة يوليوس، وانتصروا على جيشي بروتس وكاسيوس، ولكن بعد أن لقَّت كليوباترا عقل أنطونيوس صار موضع سخرية أكتافيوس ومجلس الشيوخ والشعب الروماني، وأُشيع عنه أنه ينوي نقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى الإسكندرية، وأنه فقد رعويته الرومانية، ووقفت روما ضد الإسكندرية

وأكتافيوس ضد أنطونيوس، وتدهورت العلاقة بين الصديقين أكتافيوس وأنطونيوس.

وفي سنة ٤٠ ق.م اضطر "**أنطونيوس**" إلى ترك الإسكندرية ليصد غزوات البارثيين في أسيا الصغرى، وتدخّل بعض العقلاء في الصلح بين أنطونيوس وأوكتافيوس في "بريندیزیوم" في نوفمبر سنة ٤٠ ق.م، وإذ فارقت "**فولفيا**" زوجة أنطونيوس الحياة انتهى الصلح بزواج أنطونيوس بأوكتافيا شقيقة أوكتافيوس، وكانت امرأة رومانية فاضلة رقيقة الطباع، كثيرة الاحتمال، بذلت قصارى جهدها لإقرار السلام بين أخيها وزوجها، وأنجبت لأنطونيوس "**أنطونيا**" وظلّ أنطونيوس بالقرب منها إلى سنة ٣٧ ق.م نحو ثلاثة سنين ونصف مُبتعداً عن كليوباترا، ولكنه لم يحتمل أكثر من هذا فأرسل أوكتافيا إلى إيطاليا، وأرسل يستدعي كليوباترا.

وذهبت "**كليوباترا**" ثانية لأنطونيوس مصطحبة ابنها وابنتها معها، فأعلن أنطونيوس زواجه منها، واعترف بهيليوس وسيليني أبناء شرعيين له، ثم أنجب منها ابناً آخر دعته كليوباترا "**بطليموس فلادلفوس الثاني**" وفي سنة ٣٤ ق.م عاد أنطونيوس إلى الإسكندرية وارتكب خطئين هما:

أولاً: أقام مهرجان انتصاره على الأرمنيين في الإسكندرية بدلاً من روما، فتقمّص دور الإله "**ديونسيوس**" مُزيناً شعره بإكليل من نبات اللبلاب، مُستقلاً مركبة خاصة، وهو يمسك صولجاناً مُقدَّساً: "*لقد حطمت كليوباترا العادة (الرومانية) القديمة المُقدَّسة التي كانت تقضي بأن الاحتفالات بمواكب النصر الرومانية لا يمكن إقامتها إلاَّ في روما فقط. وذلك بإقامتها موكب انتصار رائع لأنطونيوس في الإسكندرية لتخلّد ذكرى حملاته الأسيوية، وقد ركب فيها أنطونيوس عربة ذهبية تجرّها جياد بيضاء في لون اللبن يسير من خلفه الملوك أسرى مصفدين في الأغلال*" (٥١) وأُقتيد في الموكب ملك أرمينيا مُقيداً بسلاسل ذهب إلى "**معبد سيرابيس**" حيث جلست "**كليوباترا**" على عرشها الفضّي، وقدّم لها أنطونيوس الأسرى تحت أقدامها بما فيهم ملك أرمينيا، وبعد الموكب أودع الأسرى في السجون، وأُقيمت وليمة ضخمة للإسكندريين حيث وزعّت عليهم الأطعمة الفاخرة والأموال.

ثانياً: أقام "**أنطونيوس**" احتفالاً رسمياً في ساحة الألعاب الرياضية بالإسكندرية، وقسم حكم البلاد على كليوباترا وأولادها، فوُضِعت في الاحتفال ستة عروش اثنان منهما من الفضة وسقفهما من الذهب، وهما أعلى من العروش الأربعة

الأخرى، وخصّصا لأنطونيوس وزوجته، التي منحها لقب "**ملكة الملوك**" وثلاثة لأبنائه من كليوباترا وهم "**بطليموس هيليوس**" البالغ من العمر ست سنوات، فوهبه والده مُلك أرمينيا ومادي وأراضي الشرق حتى الهند، و "**كليوباترا سيليني**" وعمرها ست سنوات، وقد وهبها والدها مُلك القيروان وجزيرة كريت، و "**بطليموس فيلادلفوس الثاني**" وله من العمر سنتان، ووهبه والده مُلك سوريا وفينيقيا، والعرش السادس والأخير خُصص لقيصرون ابن كليوباترا من يوليوس قيصر، وأشركه أنطونيوس معه في حكم مصر وقبرص، واعترف به ابناً شرعياً لقيصر قاصداً نزع الشرعية عن أوكتافيوس ابن قيصر بالتبنّي، ودُعيت هذه الهبات بـ "**هبات الإسكندرية**" وكان على كليوباترا دفع رواتب جيش أنطونيوس، بينما عاش أنطونيوس في رفاهية وبذخ شديد.

٩ـ معركة أكتيوم البحرية: وقف "**السناتو**" (مجلس الشيوخ) مع الشعب الروماني خلف أكتافيوس الذي يدافع عن شرف روما ضد أنطونيوس الذي خان وطنه وباع قضيته، وألقى بنفسه في أحضان امرأة أجنبية، أمّا أنطونيوس فقد دافع عن نفسه بقوله أن كليوباترا لم تعد امرأة أجنبية بعد أن صارت زوجته الشرعية، وقد طلّق أوكتافيا بعد

أن خطب أكتافيوس أمام "**السناتو**" مُهاجماً أنطونيوس، ووصف "**بلوتارخوس**" المؤرِّخ الإغريقي الأصل الروماني التبعية "**كليوباترا**" على أنها المرأة التي لعبت بقلب القائد أنطونيوس فصرفته عن واجباته العسكرية، وعن زوجته الجميلة أوكتافيا، ومع ذلك فإنه يعترف بإمكاناتها الجبارة فيصفها بأنها الساحرة ذات الصوت المُنغَّم الصادر من آلة موسيقية مُتعدِّدة الأوتار، فتجد طريقها في أغوار نفوس الرِّجال، وهى المُتحدِّثة بعدة لغات منها المصرية والعربية واليونانية والفارسية والعبرية والحبشية والميدية، وقلّما كانت تحتاج إلى ترجمان بينها وبين قوم من الأمم "*وكان هذا يثير الدهشة لأن الكثيرين من أسلافها الملوك قلّما ألموا باللغة المصرية، وبعضهم نسى اللغة المقدونية*" (٥٢).

وأعلن "**أوكتافيوس**" الحرب على كليوباترا وهو مُتيقِّن أن أنطونيوس سيهب لنجدتها وبذلك يظهر أنه خائن لروما، ولم يرد أكتافيوس أن يعلن الحرب على أنطونيوس حتى لا يقال أن الجنود الرومان يتقاتلون معاً، أمّا "**أنطونيوس**" فقد أرسل إلى مجلس الشيوخ الروماني يعرض تقديم استقالته بشرط أن يفعل أكتافيوس نفس الشيء، الأمر الذي بالطبع رفضه أكتافيوس الذي يرفع علم روما، بل أن أكتافيوس اتجه إلى

معبد الربّة "**فستا**" وأخرج وصية أنطونيوس مُخالفاً بذلك الشرائع الرومانية وأفصح عمّا فيها من اعتراف أنطونيوس ببنوة قيصرون الشرعية ليوليوس قيصر، وأنه يرغب أن يُدفن في الإسكندرية حتى لو مات في روما، وإن كان القليلون شكّكوا في هذه الوصية، لكن الكثيرين اعتبروا أن أنطونيوس قد جرَّد نفسه من الرعوية الرومانية، وارتدى "**أكتافيوس**" الزي الكهنوتي وتبعه أعضاء مجلس السناتو إلى معبد إله الحرب "**مارس**" Mars، فأطلق السهم الأول ايذاناً ببدء الحرب مع كليوباترا، أمّا "**كليوباترا**" فقد حفّزت أنطونيوس ليخوض غمار الحرب ضد أكتافيوس، ومنحته مائتي سفينة، وألفي طِالن (عملة نقدية كبيرة) ووضعت كل إمكانات مصر تحت أمره، وشدّدت من أزره، بل أصرّت على الخروج للحرب معه، فلم يعد بينها وبين عرش روما من عقبة سوى أكتافيوس.

وفي سنة ٣٢ ق.م وصل أنطونيوس وكليوباترا إلى جزيرة "**ساموس**" اليونانية، وأقاما مهرجاناً عظيماً لـ "**ديونيسوس**" ثم أبحرا غرباً إلى أثينا، وفي ربيع سنة ٣١ ق.م عبر "**أوكتافيوس**" البحر الأدرياني على رأس جيش من المُشاة وأسطول قوامه ٤٠٠ سفينة، بينما كان جيش أنطونيوس

أضخم وأكبر من جهة المُشاة والفرسان والسُّفن، فقد ضم ٧٠ ألفاً من المُشاة، و ١٢ ألفاً من الفرسان، و ٥٠٠ سفينة، وعسكرت قوات أنطونيوس وكليوباترا البحرية في خليج وشبه جزيرة "أكتيوم" Actium على الساحل الغربي لبلاد اليونان نزولاً على رغبة كليوباترا، ولم يستمع أنطونيوس لنصيحة قواده الذين أشاروا عليه بالمواجهة البرية التي يبرع فيها، ولم يستمع أيضاً لبعض قادته بأن يصرف كليوباترا إلى بلادها، لأن الجنود الرومان مستعدون للحرب عن ملكهم أنطونيوس، وليس عن ملكة أجنبية، فلم يشأ أنطونيوس ذلك، فتركه هؤلاء القادة وانضموا لخصمه أكتافيوس.

وفي ٢ ديسمبر ٣١ ق.م احتدمت المعركة، واستطاعت قوات أكتافيوس من فرض حصار بحري على قوات أنطونيوس وقطعت الاتصال بينه وبين بلاد اليونان، فبدأ جنود أنطونيوس يعانون من نقص المؤن وتفشي الأمراض وظهور حركات التمرُّد، وفي خضام المعارك ظن أنطونيوس أن سفينة كليوباترا قد أُصيبت أو أُسرت، فانسحب من ميدان المعركة بقصد انقاذها، تاركاً جنوده الأوفياء، وبذلك ظهر كخائن أمام جنوده الذين ظلّوا يحاربون حتى تأكّدوا من هروب قائدهم فخارت غزائمهم. أمّا "كليوباترا" فقد استطاعت

أن تكسر الحصار وأسرعت إلى الإسكندرية يتبعها ستون سفينة، وكانت تهدف من العودة للإسكندرية إعادة تجميع قواتها وإعادة الكرة ثانية، وعندما اقتربت من شواطئ الإسكندرية خشت لئلاّ ينقلب الشعب ضدها إذ دخلت في حرب لا مُبرِّر لها، فرفعت على مقدمة السفن رايات النصر متظاهرة بأنها انتصرت في المعركة. أمّا سفن أنطونيوس فقد تحطّم بعضها وسقط الآخر في الأسر، ويصف "**فرجيل**" أمير شعراء اللاتين هذه المعركة فيقول: ٔ

" واندفع الجميع في آن واحد فازبد البحر كله وتمزّقت صفحته من شدة المجاذيف ومن المناطق مثلثة الأشواك.

وإلى اليم سعوا حتى لتخال الكيكلاديس (جزر في البحر الأيجي) قد أُقتلعت وأخذت تطفو فوق الماء أو تخال شواهق الجبال يناضح بعضها بعضاً.

وبهذه السُّفن الهائلة أخذ الملاّحون يهاجمون المراكب ذات الأبراج.

وينثرون بأيديهم قطع الجوت المشتعلة وحديداً ينطلق طائراً بالقذائف.

وتخضّبت حقوق بنتوتوس (إله البحر) بدماء مجزرة لم يسبق لها مثيل.

وفي الوسط كانت الملكة تنادي جحافلها بجلجل وطنها (آلة موسيقية كان يحملها أتباع إيزيس).

ولم تلتفت بعد وراءها لترى الحيَّتين خلفها (اللتين لدغتا كليوباترا) ..

وقد شُوهدت (الملكة) نفسها تدعو الرياح وتطلق لها

أشرعتها وتحل - حتى في هذه الآونة - حبالها المُتراخية

وقد شحب وجهها وسط المجزرة خوفاً من الموت المُرتقب.

هكذا جعلها إله النار منساقة بالأمواج والريح.

لكن قبالتها كان النيل - ذوي المجرى العظيم - حزيناً.

ينشر طيات ثيابه، بل كل رداءه داعياً

المنهزمين إلى حضنه القاتم الزرقة ومياهه الآمنة" (٥٣).

أمّا الشاعر "**هوراتيوس**" فيُعبِّر عن ابتهاج روما **بهزيمة كليوباترا** الملكة الهوجاء التي كانت تدبر الخراب للإمبراطورية، واصفاً فرارها من المعركة، وانتحارها حتى لا تُعرَض في موكب انتصار أكتافيوس، فيقول:

" *الآن ينبغي أن نشرب أو ندق الأرض*

بأقدام طليقة (تعبير عن الرقص) ونعد أرائك

الآلهة (إشارة إلى وضع تماثيل الآلهة أمام مائدة الطعام)

لأفخر المآدب

لقد أزف الوقت، أيها الرفاق !

فمن قبل كان محرَّماً أن تُحضِر فاخر النبيذ

المعتق تحت الأرض بينما كانت

ملكة هوجاء تدبر الخراب

للكابيتول والدمار للإمبراطورية

مع شرذمة من رجال أنجاس

مدنَّسين بالرذيلة (أغفل اسم أنطونيوس) لقد أسكرتها

خمر الحظ الحلوة

حتى لم تعد (كليوباترا) بقادرة أن تكبح نفسها

عن تمني أي شيء. غير أن دمار أسطولها كله

بالنيران أطفأ (أكتافيوس) ثورة جنونها

ورد قيصر صوابها الذي أطاشته

خمر مريوط إلى واقع الفزع

وطاردها وهي تطلق ساقيها للريح مبتعدة

عن إيطاليا بمجاديفه مثلما يُطارد الباز

حماماً رخصاً أو يطارد الصياد السريع الخطأ

أرنباً يرباً فوق سهول نساليا

المُغطاة بالثلوج لكي يقيد بالسلاسل

الوحش الخطير. غير أنها قد وسعت إلى أن تموت
ميتة نبيلة لم تهلع من نصل السيف مثلما
تهلع النساء ولم تسع بأسطولها
السريع إلى شطآن خفية.
بل أنها اجترأت على أن ترمق قصرها النهاري
بعين ملؤها الهدوء. وأنها لمقدامة أيضاً إذ أمسكت
بالأفاعي الشرسة لكي يُمتص
جسمها بالسم الزعاف
وقد زادها الإصرار على الموت جرأة
فاستنكفت أن تحمل ـ وهي مُتجردة من أبهة
الملك ـ على سفن القساة أن تُساق
في موكب النصر الفاخر. فهي امرأة ذات إباء" (٥٤).

وتبع "**أنطونيوس**" كليوباترا إلى الإسكندرية، وقد أُصيب بحالة إحباط واكتئاب، فعاش مُنعزلاً في بيت بناه لنفسه بالقرب من فنار الإسكندرية بمنأى عن كليوباترا، ولكنه لم يقدر على مقاومة الحنين إليها، فخرج من عزلته، وبدأ جولة جديدة من الحفلات مع كليوباترا تحت شعار "**الصحبة التي لا يفرّقها الموت**" فقد كان الاثنان يعلمان أن أكتافيوس قادم قادم، وفي أقدامه الموت.

١٠ـ انتحار الحبيبين: جاء "أكتافيوس" إلى مصر من عبر الحدود الشرقية قادماً من سوريا، وعندما اقترب إلى ميناء عكا أرسلت إليه كليوباترا تعرض تنازلها عن العرش لأحد أبناءها، وأرسل إليه أنطونيوس رسالة مع ابنه أنتيلوس يعرض عليه استعداده لاعتزال الحياة العسكرية، بل وقدَّم له بعض الأموال، التي أزادتها كليوباترا، فاحتفظ أكتافيوس بالمال ورد الرسل خائبين، إذ لم يقبل مساعي الصلح هذه. وتقدَّمت مفرزة من رجال أكتافيوس نحو الإسكندرية فخرج أنطونيوس على رأس فرقة من الفرسان مُحقِّقاً آخر انتصاراته، وإذ بأكتافيوس يقترب من الإسكندرية، وإذ بكليوباترا تدخل إلى مقبرتها الفخمة التي أعدَّتها لنفسها ومعها كل كنوزها، والتي يصعب جداً اقتحامها، وإذ برسالة خاطئة تصل إلى أنطونيوس في أول أغسطس سنة ٣٠ ق.م بانتحار كليوباترا، وإذ كان هذا أمراً متوقّعاً لم يتقصى أنطونيوس الحقيقة، إنما طلب من أحد عبيده أن يطعنه، ولكن العبد طعن نفسه طعنة نافذة فسقط على الأرض غارقاً في دمائه، فقال أنطونيوس "*إيه يا من هو أشرف مرات أكثر مني !! .. لقد علمتني ما يجب عليَّ عمله*" وطعن نفسه، وإذ بالطعنة لم تكن نافذة، وطلب أن يرى حبيبته،

فحملوه إليها وأدخلوه من إحدى نوافذ المقبرة، فلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها .." *حملوه وهو يعاني سكرات الموت إلى كليوباترا .. وصحا في قلبها كل حبها القديم له عندما وقعت عليه عيناها وهو يعاني الموت، فأخذت تقبله وهي تنتحب، وغطته بثيابها، ومات أنطونيوس بين ذراعيها* " [٥٥] وشرعت في تحنيط جثمانه.

ووصل "**أكتافيوس**" إلى الإسكندرية ودخلها ظافراً مُنتصراً بلا أدنى مقاومة، بل خرجت المدينة بكاملها تعلن طاعتها وولائها له، فألقى خطاباً باللغة اليونانية، وأبدى احترامه للإسكندر الأكبر مؤسِّس المدينة، وأمَّن السكندريين على أرواحهم وعلى ممتلكاتهم، وفعلاً برَّ بوعده، فلم يسمح لأحد من جنوده باستباحة المدينة وسلبها، وممّا أراح السكندريون أن الوافد الجديد قدم تقديره للإله "**سيرابيس**"، وعندما عرضوا عليه جثمان الإسكندر الأكبر لمس موميائه وكان جزء من أنفه مكسور، وعندما تحمس السكندريون ليروه رفات البطالمة رفض قائلاً: "*كنت أتمنى أن أرى ملوكاً وليس جثثاً*"، وحقر أكتافيوس من نفوذهم لئلاّ يقوم أحد يشايعهم بعد موتهم ويستعيد الدجاجة التي تبيض كل يوم بيضة من ذهب.

ولازت "**كليوباترا**" بمقبرتها وتحصّنت بها "*وكانت كليوباترا مثل كل فرعون من الفراعنة شيدت ضريحاً، وكان بناءً مكوَّناً من طابقين فوق ربوة صخرية بالقرب من محراب مغارة إيزيس التي أحبّته وكانت تأتي لتصلي فيه منذ أن كانت طفلة. وملأت المقبرة السفلى بالكنوز والذهب والأمتعة الثمينة*" (٥٦) ولكن "**أكتافيوس**" احتال عليها عن طريق اثنين من أتباعه، وهما "**بروكوليوس**" و"**كورنيليوس جاللوس**" الذي صار والياً لمصر فيما بعد، ونقل "**أكتافيوس**" كليوباترا مع كنوزها للقصر الملكي، ووضعها تحت حراسة مُشدّدة، وعندما وقفت كليوباترا أمام أكتافيوس كان شعرها مُتهدلاً من الحزن، وعينيها فقدت بريقهما، واعتلت وجهها صفرة الموت، وفي لقائهما التقت مدينتان روما المُنتصرة وإسكندرية المنهزمة، فنظر إليها "**أكتافيوس**" نظرة كبرياء وتعالي، لأنه لم يكره امرأة مثلما كرهها، فهى التي أضاعت مَنْ كان في منزلة أبيه وهو "**يوليوس قيصر**"، وهى التي هيمنت على صديقه ورفيق كفاحه وزوج شقيقته "**ماركوس أنطونيوس**"، ولذلك أملى عليها شروطه وأصر أن تذهب معه إلى روما، وهى فهمت قصده، فأنه يريد أن يعرضها في شوارع روما وأمام الشعب الروماني كأسيرة، تلك المدينة التي شاهدت

غناها ومجدها وعظمتها أيام يوليوس قيصر، ورفضت "كليوباترا" بإباء وشَمَم أن تُعرَض أسيرة ذليلة مُكبّلة بالأغلال كما عرض من قبل يوليوس أختها "أرسينوي"، فاتخذت قرارها بالانتحار، وقد استشعر أكتافيوس هذا فهدَّدها بقتل أولادها إن أقدمت على الانتحار.

وكانت "كليوباترا" قد جهّزت نفسها تماماً لهذا المشهد المأساوي، إذ قرّرت أن يكون انتحارها عن طريق لدغة الكوبرا، فتاج مصر السفلى اعتلته الكوبرا، وتاجها هى كان يعلوه العقاب رمز مصر السفلى، والكوبرا رمز مصر العليا، فالكوبرا في المعتقد الفرعوني هى خادمة "رع" إله الشمس، ولدغتها لا تهب الخلود فقط بل تمنح الألوهة أيضاً، وبهذا ستصير من أبناء رع. كما أن كليوباترا قد أجرت بعض التجارب على المُجرمين لتعرف مدى الألم الذي يعاني منه الإنسان عقب لدغة الكوبرا، وأدركت أن لدغة الثعبان لا يتبعها ألم كبير وانفعال شديد، إنما تؤدي إلى ارتخاء العضلات وغياب الإنسان عن وعيه وموته السريع، فارتضت بهذه الميتة التي تكتب لها الألوهة.

ووضعت "كليوباترا" خطتها بحنكة، ففي ١٠ أغسطس سنة ٣٠ ق.م وبعد انتحار أنطونيوس بعشرة أيام، حمل أحد

غلمانها سلة تين اختبأت فيه كوبرا كامنة، فحملت إحدى الوصيفات السلة، دون أي اعتراض من جنود أكتافيوس المُكلّفين بالحراسة المُشدَّدة، بل ربما مد أحدهم يده والتقط إحدى ثمار التين وأكلها، وكتبت "**كليوباترا**" وصيّتها أن تُدفن بجوار زوجها أنطونيوس، وكان المصري القديم قبيل موته يُعطي كل تركيزه للاعتراف الذي سيتلوه أمام المحكمة الإلهيَّة التي تضم ٤٢ قاضياً برئاسة "**أوزيريس**" إله العالم السفلي، ففي هذا الاعتراف يقول الميت:

"لم أشرك بالله، ولم أقتل، ولم آمر بقتل أحد، ولم أزنِ. لم أشتهي زوجة جاري، لم أدنس نفسي، لم أكذب، لم أسرق، لم أشهد زور. لم أملأ قلبي حقداً. لم أكن سبباً في دموع إنسان، لم أتسبّب في شقاء حيوان، لم أُعذِّب نباتاً بأن نسيت أن أسقه ماء. أطعمت الجائع، رويت العطشان، كسوت العريان، كنت عيناً للأعمى، ويداً للمشلول، ورجلاً للكسيح، ملأت قلبي بماعت (الحق والعدل والإستقامة) ..".

وردَّدت "**كليوباترا**" هذه الكلمات للمرّة الأخيرة، وهي تعلم جيداً أنها لا تنطبق عليها في كثير من بنودها، ولكن ما يطمئن قلبها أنها تمثل روح "**إيزيس**" زوجة "**أوزيريس**" .. فعلام الخوف ؟! وعلام الرعب ؟!! .. لتنام وتسترح لأنها

بمجرّد أن تغمض عينيها عن هذه الحياة ستجد نفسها في أحضان أوزيريس في جنات وفراديس.

وعرّت "**كليوباترا**" أعلى يدها اليسرى، وقَبِلت لدغة الحيَّة المُقدَّسة، ويصف "**بلوتارخوس**" الذي عاش بين القرنين الأول والثاني الميلادي هذا المشهد فيقول:

" بعد أن ذرفت العبرات، فإن كليوباترا تنهدت وقبّلت الجرة التي تحوي رفات أنطونيوس، وأمرت بأن يعدو لها الحمام. وبعد أن استحمت تمدّدت وتناولت غذاءاً رائعاً. وعندما وصل رجل من الريف سأله الحراس ماذ أحضر معه، ففتحه فظهر منه غصون التين وبان أن المحتوى كان عبارة عن سلة مليئة بالتين. وقد اندهش الحراس من جماله وحجمه، وابتسم الرَّجُل ودعاهم ليأخذوا بعضاً منه، وبهذا قد تبدّدت شكوكهم وسمحوا له أن يقدِّم هذه الفاكهة للملكة. وبعد أن تناولت كليوباترا عشائها تناولت لوحاً كانت قد خطته قبلاً وقامت بإغلاقه وختمه ودفعت به إلى من يعطيه إلى "أوكتافيوس قيصر " وعقب ذلك صرفت كل من كان بحضرتها فيما خلا امرأتين من خلصائها .. "

عندما فضّ "أوكتافيوس قيصر " اللوح المُرسَل إليه وبمجرد أن قرأ رسالة كليوباترا بأنها سوف تُدفن مع

"أنطونيوس" فقد خمّن فوراً ما هي مُقدِمة عليه. وكان أول ما تبادر إلى فكره هو أن يذهب هو بنفسه كي ينقذ حياتها. لكنه كبح جماح نفسه وأوفد الرُسل ليسرعوا إلى الملكة ويستجلبوا خبر ما أقدمت عليه، لكن المأساة كانت قد أخذت طريقها بنعومة لتسبق الجميع. تحرك الرسل بسرعة ووجدوا أن الحرس كانوا لا يزالون غير مدركين لما حدث. لكن حين فتحوا الأبواب وجدوا "كليوباترا" ترقد ميتة فوق أريكة ذهبية مرتدية كامل زيها الملكي. أمّا المرأتين فقد كانت أولاهما وهي "إيراس" راقدة ميتة عند قدميها. بينما "خارميان" كانت تترنح وبالكاد قادرة على أن تقيم رأسها. وكانت تعيد ضبط التاج الذي كان قد مال عن رأس مليكتها. عندئذ صاح واحد من الحراس بغضب "خارميان": هل تم كل شيء على خير وجه؟

فأجابت: نعم، وبصورة تليق بملكة تنحدر من نسل العديد من الملوك العظماء.

وبمجرد أن أفضت بهذه الكلمات سقطت ميتة بجوار الأريكة" (٥٧).

وبانتحار كليوباترا انتهى عصر وبدأ عصر جديد، انتهى العصر الإغريقي اليوناني وحُكم البطالمة، وبدأ العصر

الروماني، ولم ينفذ أكتافيوس تهديده بقتل كل أولاد كليوباترا، واكتفى بأخذ "**بطليموس هيليوس**" و"**بطليموس فيلادلفوس**" إلى روما وعرضهما في موكب النصر الذي أقامه، ثم أرسلهما مع أختهما "**كليوباترا سيليني**" إلى موريتانيا (المغرب) فتزوّجت سيليني من ملك المغرب، وقتل أكتافيوس "**قيصرون**" ابن كليوباترا من يوليوس قيصر حتى لا ينازعه الحكم، وضم أكتافيوس مصر إلى روما بجملة واحدة:

"**لقد أضفتُ مصر لممتلكات الشعب الروماني**" (٥٨).

واهتم "**أكتافيوس**" بالضيعة الرومانية الجديدة، فمصر هى آخر الأقطار التي ضُمّت للإمبراطورية الرومانية أقوى الإمبراطوريات وأوسعها إنتشاراً على مدار التاريخ، والتي استغرق تكوينها مائتي عام، وعمل "**أكتافيوس**" على تحسين وسائل الري، كما مدَّ خط مواسير من ترعة "**شيديا**" (المحمودية الآن) لتصل المياه النقيّة إلى كل أحياء الإسكندرية، وسك عملة تذكارية تحمل صورة التمساح، وهو أشهر الحيوانات النيلية وأحد المعبودات المصرية، وكتب أسفلها عبارة "Aegypto Copta" أي "فتح مصر" كنوع من الدعاية السياسية، وصارت مصر مُلزَمة أن تصدر كميات ضخمة جداً من القمح لروما بلا مقابل.

وفي عصر "أكتافيوس" (أغسطس قيصر ٣٠ ق.م - ١٤م) وُلِد مُخلِّصنا الصالح، واختار أكتافيوس ولاة مصر من طبقة الفرسان، وليس من أعضاء السناتو، بل منع أعضاء السناتو والشخصيات البارزة من زيارة مصر إلاَّ بإذن شخصي منه، وكانت مدة الوالي صغيرة، والوالي الذي يثير مخاوف الإمبراطور لا يفقد منصبه فقط، بل يفقد حياته أيضاً، وكان اللّقب الرسمي للوالي "**والي الإسكندرية ومصر**".

وصار والي مصر يتصرّف كملك، فمِن الناحية العسكرية يفرض سيطرته على القوات الرومانية المُرابضة بمصر، ومن **الناحية الدينية** يسلُك سلوك الفرعون، فهو الذي يصدّق على قرارات تعيين الكهنة المصريين، ومن **الناحية القضائية** يرأس الجهاز القضائي ويصدر الأحكام، ويعقد مجلسه القضائي ثلاث مرات في السنة في أماكن مختلفة، ففي شهر يناير يعقد المجلس القضائي في "بيلوزين" (شرق بورسعيد)، وفي شهر فبراير إلى أبريل في مصر الوسطى والعليا، وفي شهري يونيو ويوليو في الإسكندرية، ومن **الناحية المالية** يقوم بجولات تفتيشية والإشراف على الجهاز المالي والإداري، ويقر الجداول الضريبية والمبلغ المُستحق على كل

مديريـة، ونظـام الخدمات الإلزامية، ويصـدر تصـاريح السفر إلى خارج البلاد.

أمّـا تـاريخ مصرنا الحبيبـة في العصـر الرومـاني فهـو تاريخ الظلم والقهر والاستبداد، هو قصة حزينة تفيض ألماً ودمـاً، فمصـر هى البقـرة الحلـوب التـي يسـتنذف الرومـان لبنها، وهى الشاة التي تجزّ القوات الرومانية صوفها، وهى سلّة الغلال التي تطعم روما وشعبها لمدة أربعة شـهور من كل عـام، وبينمـا الشـعب المصري المُستعبد يكدح ويشـقى ويعرق فالشعب الرومـاني يحصد الثمار مجاناً.

ويصـف "**فيلـون**" مـدى القهـر الـذي يتعرّض لـه الإنسان المصري فيقول: "*فـي الفترة الأخيرة عُيِّن جابياً للضريبة فـي المنطقة التـي نسكن فيها، وعندما هرب بعض السكان لعدم قدرتهم علـى دفـع الضرائب بسبب فقرهم وخوفهم من العقاب القاسـي الـذي سينزل بهـم، اتجـه هـذا الجـابي إلـى زوجـات الهاربين وأطفالهم وآبائهم وأقاربهم فسامهم سوء العذاب، ذلك أنـه طـرحهم أرضـاً وأخذ يضربهم ويطأهم بقدميه. ولم يتـرك وسـيلة لإهـانتهم إلاّ وسـلكها ليجبـرهم علـى الإدلاء بمكـان الهـارب، أو دفـع الـديون المُسـتحقة عليـه.. لـم يكـن يتـركهم لحـال سبيلهم بل كـان يعذبهم ويؤذي أجسـادهم، بل أنـه لـم*

يكن يتورّع عن قتلهم بوسائل تفتق عنها ذهنه. فكان يربطهم من رقابهم إلى زكائب مملوءة بالرمال ذات وزن ثقيل ويتركهم في العراء في ساحة السوق نهباً للرياح والشمس المُحرقة وسخرية المارة وإحساسهم القاتل بالمرارة بسبب ما يعانونه. وإلى جانب الحمل الثقيل الذي كان يُقيِّدهم به فإنه كان يجبرهم على خلع ملابسهم، وكان هذا المنظر يترك أبلغ الأثر في نفوس الآخرين الذي كانوا يحدثون أنفسهم بما سوف يحل بهم، فتغمرهم مشاعر أشد قسوة ممّا رأوه، ويحدوهم ذلك إلى التفكير في القضاء على أنفسهم بسيوفهم أو بالسم أو بالشنق. وهم في هذا كانوا يعتبرون أنفسهم أوفر حظاً لأنهم سيموتون دون أن يُعذبوا (٥٩).

حقاً! إن أيام أجدادنا منذ أكثر من مائتي سنة ليست أفضل من أيامنا، ولا أيامنا أفضل من أيامهم. فمنذ انتحار ملكتنا ونحن نعاني الأمرّين، ولا ندري إلى متى سنظل نعاني !!



احتفلت الكنيسة بأعياد الظهور الإلهي، الميلاد والختان والغطاس، وتركّزت عظات "**قداسة البابا بطرس**" في شرح عقيدة الثالوث القدوس، والرد على كل الشكوك التي أثارها أريوس، واستفاض أبونا المحبوب بطرس في الحديث عن الظهور الإلهي للأقانيم الثلاثة في قداس عيد الغطاس (١٩ يناير سنة ٣٠٣م).

وفي يوم عيد الغطاس كانت فرصة لقاء طيبة للأصدقاء، إذ سمحت الظروف بتواجد "**ديمتري**"، الذي استضاف أصدقائه الأحباء، "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**" و"**ميناس**"، وإذ كانت أُسرة ديمتري ميسورة الحال، وقد نالت أمّه وأخواته الصبغة المُقدَّسة بيد المتنيح أبونا ثيؤدوسيوس والد قداسة البابا بطرس، صارت "**سوسنا**" والدة ديمتري إنسانة تقيّة تصنع إحسانات كثيرة للفقراء، وصارت أخواته "**راحيل**" و"**دينة**" و"**ميراب**" خادمات فضليات في كاتدرائية الألف عمود. أمّا "**ديمتري**" فقد ظلّ كما هو، لا هو يهودي، ولا هو مسيحي، والأمر العجيب أن الأصدقاء يعاملونه بكل حب وإخاء، بالرغم من أنه يقف في محطة وسط بين اليهودية

والمسيحية، فمازال عقله يقف بمقابله: *"يهوه يصير عبداً! .. يهوه يُضرب ويُهان ويُصلب ويموت!!"* .. كان الأصدقاء يوقنون أن الله لن يتخلّى عن ديمتري الإنسان المُحب المُخلِص الصادق الأمين، وكما اعتاد الأصدقاء أن يجري الحديث بينهم بلا عائق، وتتواصل الأفكار بلا مانع، فهذه قلوب عامرة بالمحبة تستأنس لبعضها البعض.

ديمتري: إنني أعيش قول بولس الرسول لأهل روميا عن اليهود " **فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة، كما هو مكتوب: ها أنا أضعُ في صهيون حجر صدمةٍ وصخرةَ عثرةٍ** " (رو ٩ : ٣٢، ٣٣).

ألكسندروس: ولماذا لا تكمل القول "**وكل مَنْ يؤمنُ به لا يُخزى**" (رو ٩ : ٣٣).

ديمتري: نعم كل مَنْ يؤمن!! .. لكنني للآن لا أستطيع أن أؤمن، أفلا ينطبق عليَّ قول الرسول بولس لأهل كورنثيوس " **نحن نكرز بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرةً، ولليونانيين جهالة** " (١كو ١ : ٢٣).

ألكسندروس: وأيضاً أكمل الرسول قوله "**وأمّا للمدعوّين: يهوداً ويونانيين، فبالمسيح قوّة اللّه وحكمة اللّه**" (١ كو ١ : ٢٤) وقال لأهل رومية عن اليهود " **فأقولُ: "ألعلَّ اللّهَ رفض شعبهُ ؟**

حاشا! لأني أنا أيضاً إسرائيليٌّ .. لم يرفُض اللّه شعبه الذي سبق فعيَّنه " (رو ١١ : ١، ٢).

ديمتري: ولكن ماذا أعمل لو كنت لستُ من المُعينين المُختارين لملكوت السموات ؟ هل أذهب للجحيم ؟ .. أمي وأخواتي الذي أحبّهم يذهبون لمكان السعادة وأنا لمكان الشقاء ؟! .. هل جاء المسيح ليصنع انشقاقاً في الأسرة المتآلفة المُتحابة ؟!!

ألكسندروس: الله لم يُعيّن مجموعة للملكوت وأخرى لجهنم النار، ولكن الله بعلمه السابق يعلم الذين سيقبلوه ويسلكون في وصاياه، فعينهم للملكوت، وبعلمه السابق أيضاً يعلم الذين سيرفضونه فهؤلاء ليس لهم نصيب في ملكوته.

ديمتري: لكنني لم أرفضه. فقط عقلي يقف مقابلي حجر عثرة في طريق إيماني .. فماذا أفعل ؟

ألكسندروس: اطمئن يا ديمتري، فإن لكل شيء تحت السماء وقت .. سيأتي الوقت الذي تؤمن فيه، ويكون إيمانك عظيماً، فإن الله ليس بظالم حتى ينسى تعبك ومحبّتك وصدقك وأمانتك، ولن ينسى الله صلوات أُمّك عنك وطلبتها بأن يضمك المصلوب إلى أحضانه، وأيضاً أنت بالنسبة لنا أخ محبوب من أجل الآباء كقول مُعلّمنا بولس الرسول عن

اليهود " من جهة الإنجيل هم أعداءٌ من أجلكم، وأمَّا مِن جهة الاختيار فهُم أحبَّاء من أجل الآباء. لأن هبات اللَّه ودعوته هي بلا ندامة " (رو ١١ : ٢٨، ٢٩) .. ونحن لسنا ننكر أننا مديونين لليهود الذين حفظوا لنا أقوال الوحي الإلهي " إذاً ما هو فضلُ اليهودي، أو ما هو نَفعُ الختان؟ كثيرٌ على كلِّ وجهٍ! أمَّا أولاً فلأنهم استؤمنوا على أقوال اللَّه" (رو ٣ : ١، ٢).

ديمتري: كنت أشعر أن والدي رغم أنه لم يكن متديناً، ورغم محبته الكبيرة لنا، فإنه كان يوقر ويحترم ويهاب ويُقدِّس الرقوق المُقدَّسة، وأنه على استعداد أن يضحي بنا ولا يضحي بهذه الأسفار المُقدَّسة ..

أرشيلاوس: ما هى أخبار دراستك وأبحاثك يا أبو التاريخ؟

ميناس: بعد أن انتهيت من دراسة تاريخ الإسكندرية في العصر اليوناني، كما حكيت لكم من قبل عن نهاية عصر حَسِن وبداية عصر سيء، نهاية العصر الإغريقي (اليوناني) حيث كانت خيرات مصر لمصر، وبداية العصر الروماني، حيث تَنهب روما خيرات بلادنا وتُثقل كاهلنا بالضرائب الباهظة المُتعدِّدة وتعاملنا كعبيد .. بدأتُ الآن في دراسة التاريخ الحديث المعاصر، فالإمبراطور "**دقلديانوس**"

يبذل جهود مضنية للإصلاح، والكنيسة بلاشك لا تكف عن الصلاة من أجله، ولا أحد ينكر أننا نتمتع بالسلام الجزيل في هذا العهد المبارك، وقد جفت أنهار الدماء التي روت أرض مصر.

أرشيلاوس: وهل عرفت آخر الأخبار يا أخ ميناس ؟

ميناس: وما هى يا أرشي ؟

أرشيلاوس: هذه الأخبار لا يمكن أن تخفى عن دارس مُدقِّق وباحث ضليع في التاريخ الحديث مثلك يا ميناس .. إن دقلديانوس أوشك على تغيير سياسته نحونا ١٨٠ درجة.

ديمتري: سمعت هذا وحزنت جداً، الرجل الذي ترك لنا الحرية الدينية، حتى ارتفع شأن المسيحيين في كل المسكونة نحو عشرين عاماً، يعود إلى أفعال الأباطرة البشعة .. سمعت أن جاليريوس هو الذي يغريه لاضطهادنا.

يا أخ ميناس .. ما هو تقييمك لهذا الرَّجُل الذي تفتخر به؟

ميناس: قبل أن نقيّم دقلديانوس دعونا نُلقي الضوء قليلاً على **الأوضاع التي كانت سائدة في مصر قبل حكمه**، فإن الإمبراطورية الرومانية، أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ قوة واتساعاً، قد شهدت في القرن الثالث اضطرابات وقلاقل

كثيرة، فمثلاً في سنة ٢٤٠م اخترقت جماعات البربر حدود الإمبراطورية من الغرب، فغارت على غالة (سويسرا وفرنسا)،، وفي سنة ٢٥١م زحف القوطيون من الشمال إلى شبه جزيرة البلقان وقتلوا الإمبراطور "**ديكيوس**"، وفي سنة ٢٦٠م هاجم الفرس الحدود الشرقية واستولوا على بارثيا وأسروا الإمبراطور "**فاليريان**" (٢٥٣ ـ ٢٦٠م)، وفي سنة ٢٨٢م جاء الجرمانيون من الشمال، وهم قوم يتميّزون بقوة البنية والعيون الزرقاء اللامعة، والشعر الأحمر، وأغاروا على حدود الإمبراطورية، وأخيراً استطاع "**كاروسوس**" (٢٨٧ ـ ٢٩٦م) قائد الأسطول الاستقلال بإنجلترا، وعمّت القلاقل أنطاكية فتصدى لها دقلديانوس إمبراطور المشرق، وكذلك شمال أفريقيا فتصدى لها ماكسيميان إمبراطور الغرب، وفي مارس ٢٩٧م هزم "**تارسيس**" ملك الفرس بجيشه العرمرم الروم، واستولى على ولاية ما بين النهرين حتى استعادها "**جاليويوس**" في مايو ٢٩٨م، وتزايد الصراع على عرش روما لدرجة أنه خلال القرن الثالث تولّى العرش ستة وعشرون إمبراطوراً، أُغتيل منهم خمسة وعشرين، وكان من النادر أن يحتفظ أحد الأباطرة بالعرش لمدة عشر سنوات. أمَّا "**السناتو**" (مجلس الشيوخ) فقد تعرَّض للضعف

فـي عهـد الإمبراطـور "**كــاروس**" Carus (٢٨٢ ـ ٢٨٤م) وبعـد أن كـان "**السـناتو**" هـو الـذي يُـنعم علـى الأبـاطرة بـالإمبيريوم Imperum (سُـلطة قيـادة الجيـوش) صـارت السُلطة للجيش، فالجيش هو الذي يُنصّب الإمبراطور، وهو الـذي يعزلـه أو يغتالـه، أمّا "**السـناتو**" فصـار أشبه بمجلس البلديـة الـذي يجمـع أغنياء روما ووجهاءها، بل أن الجيش نفسه تعرَّض للضعف، بسبب كثرة الحروب من جانب، ومن جانب آخر سمح لِمَنْ لا يريد أن يلتحق بالجيش من الشباب أن يـدفع "البـدل" وهـو مبلـغ مـن المـال مقابـل الإعفـاء مـن الخدمة العسكرية. هذا من الناحية **السياسية**.

أما من **الناحيـة الاقتصـادية**، فقد أصاب الكساد **الزراعة** بسبب كثرة الحـروب، وبسبب الضـرائب الباهظـة، فانتشـرت ظـاهرة "**الأناخوريسـيس**" Anachoresis أي هـروب الفلاحـين مـن زراعـة الأرض، فيتركـون ذويهـم وأراضـيهم وينـزوون فـي أحد المدن البعيدة، حتـى يفلتـوا مـن الضـرائب الباهظـة الكثيـرة والمُتشـعّبة، فالضـرائب تُفـرض علـى الغـلال مثـل القمـح والشـعير، وعلـى التـبن، وعلـى الكتـان، والفواكـه والخضـروات، والنبيـذ، واللحـوم، وعلـى الأشـخاص (ضـريبة الـرأس) مـن سـن ١٤ إلـى ٦٠ سـنة، وعلـى البيـع والتجـارة،

وعلى الوظائف والحرف والخدمات مثل النقل، وعلى حركة البضائع، وحركة الأفراد، والممتلكات، والرهونات، وعلى كل شيء، وبنسبة غير مُحدَّدة، حتى أن أحد الولاة لكيما يُسرّ قلب الإمبراطور زاد من الأعباء الضريبية، وعندما أرسل الحصيلة إلى الإمبراطور بكّته قائلاً: "*لقد كان مُرادي أن تجز صوف غنمي لا أن تسلخها*" (٦٠).

وبالإضافة للضرائب فهناك "**الخدمات الالزامية**" Leitourgia أي "العمل من أجل الشعب" فيكلّف الأشخاص بأعمال إلزامية مجاناً، فمثلاً كل شخص عليه أن يعمل خمسة أيام في تطهير الترع والقنوات بلا مُقابل، ويحصل على شهادة تثبت إتمام هذه الخدمة وإلاَّ تعرَّض للمسائلة الشديدة، ويكلَّف أحد الأشخاص الأغنياء بوظيفة "**السينولوجوس**" أي المسئول عن تجميع الضرائب العينية بلا مقابل، بل أن الغلال التي يجمعها هو مسئول عن شحنها للإسكندرية توطئة لشحنها إلى روما، وهو مسئول عن سد أي عجز يحدث في الكمية المتوقَّعة، حتى لو بعد انتهاء مدة تكليفه، وإن أراد هذا الشخص الذي تم اختياره لتجميع الضرائب إعفاءه من هذه المُهمة الثقيلة، لا يُعفى إلاَّ إذا تنازل عن أمواله وممتلكاته، وكثيرون كان يفضّلون هذا،

وعندما كان يهرب أحد الفلاحين تاركاً أرضه بدون زراعة تتعرَّض أُسرته للضرب والتعذيب الذي يصل إلى حد القتل للإرشاد عنه، بل أن الدولة ترصد مكافآت مالية لِمَنْ يرشد عن هؤلاء الفلاحين الهاربين، وأيضاً يُعاقب أهل قريته فيُلزمون بزراعة أرض الفلاح الهارب وتسديد الضرائب عنها، فكل اهتمام روما زراعة كل شبر لكيما تضمن وصول القمح مجاناً إليها، فمصر هى الضيعة الرومانية، والبقرة الحلوب التي يُستدَر لبنها حتى الاستنذاف، والشعب المصري هم سخرة لروما، وما يُقدِّمه المصريون للرومان من ضرائب عينية ومالية هى خطوط حمراء لا يمكن المساس بها.

وأيضاً أصاب الكساد التجارة بسبب غزوات البرابرة، وإنتشار أعمال القراصنة الذين يسطون على سُفن البضائع وسُفن الركاب، فيأسرون الأشراف، ويبيعونهم عبيد، فأسواق الرقيق الأبيض يُعرَض فيها عشرات الألوف من هؤلاء التعيسي الحظ، الذين ساقتهم أقدارهم لفقدان أسرهم وذويهم إلى الأبد، وسلبت منهم حرياتهم فصاروا أشياء تُباع وتُشترى، والضيع الرومانية المُتسعة استوعبت أعداداً ضخمة منهم في أعمال الزراعة، والبعض أُرسلوا للعمل في المناجم في ظروف قاسية للغاية، ويكاد لا يخلو بيت من وجود

العبيد، حتى أن عدد العبيد في روما يفوق جداً عدد الأحرار فيها، وأُستغل بعضهم في التعليم وإدارة أعمال سادتهم، بينما عمل الآخرون كالدواب في إدارة الطواحين، وقد عُلّقت الأجراس بأقدامهم حتى لا يتوقفوا عن العمل، وتشوَّهت أجسادهم من ضربات الشيطان أقصد ضرباب السياط، فحينما لا يوجد المسيح توجد كل قسوة وتجبُّر، وسعداء هم العبيد الذي يعيشون في بيت من بيوت المسيحيين، يشاركونهم الصلوات ويتمتّعون بمحبّتهم ورحمتهم وكأنهم أعضاء في البيت الواحد.

ومن **الناحية المالية** لم تجد الإمبراطورية الرومانية كفايتها من المعادن التي تُسبك منها العملات الذهبية والفضية والنحاسية، فلجأت للتزييف، فخلطت العملات الذهبية بنسبة أكبر من الفضة، والعملات الفضية بنسبة أكبر من النحاس، حتى وصلت نسبة الفضة في عهد "**أوريليان**" (٢٧٠ ــ ٢٧٤م) إلى ٥ % من وزن العملة الفضية، وخُلِطت العملات النحاسية بالرصاص، فقلّت قيمة العملة وارتفعت الأسعار ارتفاعاً جنونياً، وحدث تضخُّم كبير، ممَّا أدى إلى فقدان السلام، وانتشار الفقر والأوبئة، بالإضافة للحروب والقلاقل وشر القراصنة، وقد عبّر

"**برونــوس**" كاتــب ســيرة الإمبراطــور "**تومريــانوس**" (٢٧٦ - ٢٨٢ م) عن حلمـه فـي مستقبل يسـوده السـلام والرخـاء فقال عن ذلك العصر:

"*لن يُحتاج إلى جنود، وكذلك قريباً لن يكون هناك جنود رومان.*

سـوف تسـود الدولـة (الرومانيـة) فـي كـل مكـان، وتحكـم الجميع في أمان.

لن يصنع أحد أسلحة ولن يجهز المؤن.

سـوف تُحفـظ الثيـران لحـرث الأرض، سـتُربّى الخيـول لأغراض السلام.

لن تكون هناك حروب ولا أسرى.

سوف يسود السلام في كل مكان، وسيكون قضاة منا في كل مكان" (٦١).

بينمـا كتـب أحـد الأشـخاص الـذي يعيش فـي قلـق دائـم بسبب الخدمات الإلزامية، فقال:

"*هل سأبقى تحت ثقل الضغوط ؟!*

هل ستصـادر أموالـي ؟!

هل ستُباع أملاكـي في المزاد العلنـي ؟!

هل سأستطيع الحصـول علـى أموال ؟!

هل سأكلف بالسفارة ؟! وهل سأصبح عضواً في المجلس البلدي ؟

هل ستنتهي مقاومتي" [٦٢].

فواضح أن أي شخص ميسور الحال حينذاك كان يتوقّع أي كارثة تحلّ به، كأن يُنتدب للسفارة، أو يُختار عضواً في المجلس البلدي، أو تُصادر أملاكه وتُباع بالمزاد العلني .. الخ.

أرشيلاوس: يبدو يا أخ ميناس أنك لم تكتفِ بالتخصُّص في التاريخ الحديث، ولكنك صرت أيضاً خبيراً في الأمور الاقتصادية والمالية .. على كلٍّ لنستمع إلى تقيّمك للإمبراطور دقلديانوس.

ميناس: ليكن كقولك يا أرشيلاوس ..

وُلِد "**دياكلس**" Diocles في ٢٢ فبراير سنة ٢٤٥م في مدينة "سالونا" بولاية "دالمتيا" بإقليم "إيلليريا" المُطل على البحر الأدرياني (غرب كرواتيا) وكان والده يعمل كاتباً لدى السيناتور الروماني "**انوللينوس**" Anulinus، والتحق بالجيش الروماني في طبقة الفرسان، فوصل إلى رتبة "**دوق**" (أي قائد فرسان) ثم أصبح قائداً لقوات الحرس الإمبراطوري، ورغم أنه لم يكن قائداً عسكرياً فذاً، لكنه كان سياسياً مُحنّكاً

واسع الأفق، له مواهبه في شئون الإدارة والسياسة، وفي خريف سنة ٢٨٤م استطاع الوصول إلى عرش روما، فقيل[٦٣] أنه عندما مات "**تومريانوس**" في خلقيدونية بعد عودته من حرب الفرس، دبّر "**دقلديانوس**" حيلة محبوكة، فاستطاع الحصول على تصديق من قواد الجيش لانتخابه إمبراطوراً، وعندما خشى من رَجُلاً كان أحق منه بالكرسي الإمبراطوري، أمر بالقبض عليه، فأحضروه أمامه مُقيّداً بالسلاسل والأغلال، فلم يُحقِّق معه، بل اتهمه بأنه هو الذي قتل الإمبراطور "**تومريانوس**" ولم يُقدِّمه للمحاكمة، إنما أطاح بكل التقاليد والأعراف الرومانية، وفعل ما لم يفعله إمبراطوراً قبله، إذ جرّد سيفه وأطاح برأس الرَّجُل البرئ.

وعندما تولّى دقلديانوس الحكم سنة ٢٨٤م قام **بإصلاحات جوهرية سياسية، وإدارية، وعسكرية، ومالية وضريبية** [٦٤]:

فبالنسبة **للإصلاح السياسي** اختار دقلديانوس شريكاً له في الحكم، وهو "**مكسيميان**" Maximian الذي كثيراً ما شاركه في المعارك الحربية، فكان كل منهما يسعف الآخر، فصار "**دقلديانوس**" مسئولاً عن الشرق، و"**مكسيميان**" مسئولاً عن الغرب، ومكسيميان أكبر من دقلديانوس سناً فوُلِدَ نحو

سنة ٢٤٠م ونشأ في أسرة قروية بجانب مدينة "سرميوم" Sirmium (بلجراد) ولم يتلقى إلاَّ القليل من التعليم، ولكن كان له قدرة عسكرية فذة، ومنح دقلديانوس مكسيميان رتبة "**قيصر**" وهذه الرتبة لا تعطه امتيازات دستورية وتشريعية، ولذلك رقاه إلى رتبة "**أغسطس**" أي "المهيب" أو "المختار بحسن الطالع" وهو لقب إلهي، وكان "**مكسيميان**" يميل للقسوة والإفراط في استخدام القوة، يميل للخرافات، ويعتقد بالسحر، حتى أنه كان يفتح بطون الحبالى، ويُقدِّم ضحايا بشرية للشياطين، وظل ماكسيميان وفيّاً لدقلديانوس رفيق السلام. وفي سنة ٢٩٣م عيَّن دقلديانوس "**جاليريوس**" Galerius زوج ابنته "**فاليريا**" Valeria مساعداً له في الحكم برتبة "**قيصر**"، كما عيَّن "**قنسطنطينيوس**" Canstantius زوج "**ثيودورا**" Theodora ابنة ماكسيميان مساعداً لماكسيميان برتبة "**قيصر**"، **وبذلك تغلب دقلديانوس على مشكلة من أهم المشاكل التي كانت تقابل الأباطرة، وهي اغتيالهم**، فجعل المسئولين عن الحكم أربعة أشخاص، حتى إذا أُغتيل واحد منهم يظل في الحكم ثلاثة آخرون يقتصون من الجناة، وكان "**قنسطنطينوس**" ابن "**يتروبيوس**" Eutropius من الأشراف، وأمه ابنة أخت

الإمبراطـور "**كلاوديـوس**" Claudius (٢٦٨ ـ ٢٧٠م) وقد تميّز بـالخلق الرفيـع والطبـع الهـادئ الرقيـق، فكـان أفضـلهم جميعاً، فأحب الجميع وعاملهم بالحسنى، ومنح حريـة العبادة للمسيحيين، ولـم يسـتخدم أي قسـوة معهـم، ولـم يضـطهدهم، ولم يصـادر أملاكهـم، إنمـا طلب منهم أن يصلّوا من أجلـه ومن أجل حكومته (٦٥)، وقـال عنـه "**يوسابيوس القيصري**": *"كـان كل أيام حياتـه رحيماً برعاياه ومحباً للكلمـة الإلهيّـة .. كـان أرق إمبراطـور، وأكثرهم شفقة ورحمة. كـان هـو الوحيد بـين أبـاطرة عصـرنا الـذي قضـى كـل وقـت حكمـه بكيفيـة تتناسب مع مركزه. وعلاوة علـى هذا فقد تصرّف مـع الجميع بكل رقـة وصـلاح، ولـم يشـهر ضـدنا أقل حـرب، بل حفظ الأتقيا ء الذين كانوا تحت إدارته دون أن يمسّـهم أقل أذى. لم يهدم أبنيـة الكنـائس ولا دبّـر أي شـيء آخـر ضـدنا، وكانـت خاتمة حياتـه مُكرَّمـة، ومثلثـة الطـوبى، فهو الوحيد الـذي ترك الإمبراطورية فـي حالة سعيدة ومجيدة لابنه خليفة له"*(٦٦).

وتولّى "**دقلديانوس**" حكم أسيا الصـغرى والشرق ومصـر، فقسم مصر إلى ثلاث ولايات هى:

١ ـ **مصر الجويترية**: وتضم غرب الدلتا والإسكندرية.

٢ ـ **مصر الهرقلية**: وتضم شرق الدلتا ومصر الوسطى.

٣ - طيبة.

وعيّن لكل ولاية "**إيبارخوس**" أي والياً مدة ولايته عامين، و"**ديـــوكس**" dux أي قائـــداً عســـكرياً، واتخـــذ دقلـــديانوس "**نيقوميـــدا**" Nicomedia بآسيا الصـغرى عاصـمة لـه بـدلاً من روما، فابتعد عن مؤامرات ودسائس "**السناتو**" من جهة، ومـن جهـة أخـرى كانـت نيقوميدا مـن الولايـات الغنيـة، ذات الكثافـة السكانية العاليـة، يتـوفر بهـا أمهـر الصـنَّاع والتجـار والمـزارعين، وأيضـاً يستطيع دقلديانوس أن يصـد أي هجـوم فارســي قبـل أن يتغـوَّل فـي جسـد الإمبراطوريـة .. وتـرك دقلديانوس "**روما**" التي عبر زمانها وفات.

وتـولّى "**جاليريوس**" منطقـة البلقـان وجـزء كبيـر من أسيا الصـغرى، واتخذ "سيرميوم" عاصـمة لـه.

وتولّى "**مكسيميان**" إيطاليا والمناطق الشمالية من الراين والـدانوب وشـمال أفريقيـا، واتخـذ "**مـيلان**" Milan شـمال إيطاليا عاصـمة لـه، حتـى يراقـب حركـات البرابـرة ويتصـدى لغـاراتهم فـي وقـت مُبكِّـر، وقـد تميّـزت هـذه المدينـة بمبانيهـا الفخمـــة، وميادينهـــا المُنســـقة المُزيّنـــة بالتماثيـــل، وأســـوارها العالية.

وتـــولّى "**قســـطنطينوس**" بـــلاد الغـــال وبريطانيـــا وأســـبانيا

وموريتانيا، واتخذ "**تريفس**" Treves (جنوب بلجيكا) عاصمة له.

والجميع يخضعون لدقلديانوس الذي أرسى نظاماً جديداً للحكم يقوم على الكفاءة بدلاً من الوراثة، بل أنه حدَّد مدة للحكم، بأنه ألزم نفسه بالتخلِّي عن منصبه بعد عشرين عاماً، وبعد أن كانت بعض الولايات تخضع للسناتو والبعض يخضع للإمبراطور، جعل جميع الولايات تخضع له، وأعاد المَهابة والقداسة لمنصب الإمبراطور، فأقام من نفسه إلهاً يستوجب العبادة، فكان كل من يقترب منه يمرّ بين صفيْن من الخصيان والحُجَّاب وأمناء القصر ذوي الألقاب، وعندما يصل هذا الشخص إلى عرشه يركع ويُقبّل أطراف ثوبه الحريري فإذا رفع عينيْه يرى حذاءه المُرصَّع بالأحجار الكريمة، كما أن الخواتم في أصابعه مُرصعة بالجواهر التي تومض، وعقود الياقوت والزمرد تحلِّي صدره، والتاج المُرصَّع بالجواهر الكريمة على رأسه .. فماذا ينقصه إذاً من مظاهر الألوهة بحسب الفكر الروماني ؟! .. كانت عباءة دقلديانوس يحملها ثمانية أشخاص يسيرون خلفه، ولقَّب نفسه بلقب "**جيوفيوس**" أي مُمثِّل الإله "**جويتر**" Jupiter .

وبالنسبة **للإصلاح الإداري** فقد قام دقلديانوس بتقسيم الولايات، حتى وصل عدد الولايات إلى أكثر من مائة ولاية، وبذلك قلّص من سُلطات رؤساء الولايات، وإن كان هذا النظام الجديد قد حمّل الدولة أعباء أكثر وأرهق ميزانيتها لكنه أدى إلى استقرار الأمن والسلام وقضى على الفتن والقلاقل داخل الإمبراطورية. كما قام دقلديانوس بفصل الحكم الإداري عن الحكم العسكري، فعيَّن حُكاماً للقيام بالأعمال الإدارية، وترك العمل العسكري للقادة العسكريين، كما أنشأ كتيبة Agentes in rebus كجهاز مخابرات، ترفع له التقارير السريّة حتى شعر كل موظف أنه تحت الرقابة ولا سيما أن الفساد كان مُتفشّياً بين كبار الموظفين الذين يبيعون الوظائف ويسرقون الشعب.

وقام دقلديانوس **بالإصلاح العسكري** فقوّى الحصون، وأقام مصانع لتصنيع الأسلحة من سهام ونبال وسيوف وعجلات حربية في كل من الرها وأنطاكية ودمشق. كما أقام مصانع لملابس الفرسان، وصنّع المعاطف المُدرّعة من الرأس للقدميْن، وكوّن فرقة كبيرة قوية يصل عددها إلى ٤٥ ألف فارس و ١٥ ألف من المُشاة، تميّزت بسرعة الحركة والانتقال من مكان إلى آخر سواء لصد الغزوات الخارجية

أو لحماية السُّلطة الإمبراطورية، وإن كانت قوات الجيش الضخمة التي وصلت إلى ربع مليون من المشاة، و ١١٠ ألف من الفرسان قد أرهقت ميزانية الدولة، لكن ساعدت على استتباب الأمن.

وقام دقلديانوس أيضاً **بالإصلاح النقدي** فأصدر أوامره بإغلاق دور سك النقود المحلية منعاً للتلاعب، واقتصر سك النقود على المناطق المركزية، وفي سنة ٢٩٥م أصدر عملات موحّدة لكل أنحاء الإمبراطورية سواء ذهبية، أو فضية مدموغة بأوزانها، أو فضيّة مطلية بالنُّحاس ذات نوعية عالية من الجودة حتى يُعالج الانهيار المُستمر في قيمة العملة، ونقش على هذه العملات تارة رأس الإمبراطور مُكلّلاً بالغار، وتارة رأساً لامعاً للإمبراطور، وبذلك بدأت العملات المحلية في الاختفاء، وخصّص وزيراً للمالية أطلق عليه اسم Rationalis للإشراف على النظام النقدي، وخصّص موظفاً يُسمّى Chancellory يُعطي الأوامر بسك العملة، وله اتصال مُباشر بالإمبراطور. وأيضاً لكيما يقاوم الارتفاع الجنوني للأسعار والتضخُّم أصدر دقلديانوس مرسوم سنة ٣٠١م الخاص بضبط الأسعار، والأجور، أشار فيه للتجار الجشعين، الذين استغلوا ظروف الحرب

فتضخمت ثرواتهم حتى أنها تكفي أُمماً بأكملها، وأوضح المرسوم الحد الأقصى لأسعار السلع المختلفة والخدمات في شتى الولايات الرومانية، وغلَّظ عقوبة المخالفة، أو إخفاء السلع إلى حد الإعدام أو النفي، ومع هذا فإن مرسوم الأسعار هذا قد فشل في وقف زيادة الأسعار، التي ظلّت ترتفع ليس بين يوم وآخر، بل بين ساعة وأخرى، وظلّت النقابات مثل نقابة الخبازين تحدِّد سعر الدقيق كل شهر، وكذلك نقابة العاملين في الفضة تعلن سعر الفضة الشهري، ولم ينجح هذا المنشور في القضاء على السوق السوداء، وبعض التجار أخفوا السلع والآخرين أغلقوا المحلات.

وأيضاً قام دقلديانوس **بالإصلاح الضريبي**، فبعد أن كانت هناك أنواعاً كثيرة من الضرائب، وحَّد كل هذه الأنواع في ضريبتيْن فقط أحدهما على الأشخاص، والأخرى على الأرض، وجعل ضريبة الأرض عينية، فكل أرورا (وحدة قياس الأرض) يورد المزارع عنها عدد من أرادب القمح، وفي ١٦ مارس ٢٩٧م أصدر دقلديانوس مرسوماً يُحدِّد الضريبة بناءً على إنتاجية الأرض وأصدر والي مصر منشور الإصلاح الضريبي:

"أرستيوس أوبتانوس والي مصر يقول: أكثر أباطرتنا اعتدالاً وحكمة، دقلديانوس وماكسيميان الأغسطسين، وقسطنطينوس (وجاليريوس) القياصرة النبلاء قد علموا أن جباية الضرائب العامة كانت (تتم بطريقة) ملتوية، بحيث جعلت بعض الأشخاص يُعفون، أو يعاملون برفق بينما أُثقِل الآخرون.

لقد قرَّروا لصالح ولايتهم أن يزيلوا الشر الوبيل، أو الممارسة الهدامة من جذورها، وأن يصدروا قانوناً صالحاً، وطبقاً لذلك من الممكن للجميع أن يعلموا مقدار الضريبة التي تُفرض على كل أرورا (وحدة قياس الأرض) تبعاً لنوع الأرض، ومقدار (الضريبة) التي تُفرض على كل رأس من السكان القرويين، والسن الأعلى والأدنى ..

فإن كرم أباطرتنا وقياصرتنا معروف جداً للجميع، ويظل جامعوا كل نوع من الضرائب يعملون بكل دقة، وإذا ضُبط أحدهم منتهكاً له، فسوف يتعّرض لعقوبة الموت" (٦٧).

وبعد أن كانت الضرائب تتغير بحسب احتياجات الإمبراطورية من عام إلى آخر، ثبت دقلديانوس النظام الضريبي، فلا يتغيَّر إلاَّ كل خمسة عشر عاماً، بالرغم من أن حركة التعمير التي قام بها دقلديانوس مثل إنشاء الطرق

والكباري والحمامات والقصور احتاجت لتمويل أكبر، كما أن وجود أربعة قصور للحكام كانت لها تكلفتها.

وهكذا لم يترك دقلديانوس شيئاً للصدفة، بل مد يده في كل مناحي الحياة، وعمل على استقرار الصناعة، ووفّر الأمن للتجارة بالقضاء على القراصنة، واستطاع دقلديانوس أن ينأى بالإمبراطورية عن الحروب الأهلية، ويقرّ السلام والهدوء إلى حد كبير.

ألكسندروس: لا يمكن أن ننسى الأيام الصعبة التي عشناها منذ سنوات قليلة عندما حاصر دقلديانوس مدينتنا العظمى عدة شهور، عندما قام "**أخيلليوس**" Achilleus (لوكيوس دوميتانوس) Lucius Damitianus بالثورة ضد روما مُستغلاً سخط الفلاحين بسبب فداحة الضرائب، فأثار مصر العليا أولاً وانتزع إقليم "**طيبة**" وأقام نفسه ملكاً على مصر لمدة أربع سنوات، ذاق فيها المصريون طعم الحرية، وأصدر عملة نقدية وضع عليها اسمه، ثم زحف إلى الإسكندرية في عام ٢٩٦م، وكان دقلديانوس في أنطاكية فجاء إلى مصر بجيش ضخم، وحاصر مدينتنا لمدة ثمانية شهور، لأن فقدان روما لمصر يعني ضياع ثلث مؤونة الغلال التي تصل إلى روما وتبلغ ستة ملايين أردب قمح،

وأرشد بعض الخونة دقلديانوس إلى المكان المناسب لدخول المدينة، فاستطاع الدخول إلى المدينة بمشقة كبيرة وقتل "**أخيلليوس**" وتمكن من قمع الثورة وإعدام رؤوس الثورة ومعاوينهم، ولكنه لم يستبح المدينة، إنما حفظ حرمتها، بل أنه عندما رأى مُعاناة الشعب السكندري، ردَّ بعض شحنات القمح المُتجهة إلى روما، ووزّعها على الشعب، ولهذا أقام له السكندريون نصباً تذكارياً في "**معبد السيرابيوم**" وهو عمود السواري، وقد سجل تحته عبارة "*إلى الإمبراطور العادل الإله حامي الإسكندرية دقلديانوس الذي لا يُقهر وبوستوم والي مصر أقام هذا الأثر*" (٦٨).

أرشيلاوس: إذا كانت أعمال دقلديانوس بهذه العظمة فلماذا أنقلب هذا المُصلح ضدنا؟

ميناس: كان "**دقلديانوس**" مُتسامحاً مع المسيحيين حتى أن زوجته "**بريسكا**" Prisca وابنته "**فاليريا**" Valeria اعتنقتا المسيحية، وكثر في عهده عدد الموظفين المسيحيين في القصر الإمبراطوري، وبعضهم تولّى مراكز هامة مثل "**لوشيان دورثيوس**" و"**جورجونيوس**" و"**أندرياس**" الذين حظوا بمحبة دقلديانوس وعطفه، بل أن دقلديانوس أوكل كرسي البلاغة اللاتيني إلى الكاتب المسيحي الشهير

"**لاكتانتيوس**" وعندما زار دقلديانوس مدينة أنطاكية أبدى إعجابه بالكاهن المُثقّف "**دوروثيوس**" Dorotheus الذي اتقن اللغة العبرية وقرأ أصول الأسفار المقدّسة باللغة العبرية، وجعله مسئولاً عن أعمال الصباغة في مدينة "**تيري**" Tyre.

ولكن بلغ أسماع دقلديانوس **أن المسيحيين يرفضون الخدمة العسكرية** والاشتراك في الحروب التي تؤدي إلى سفك الدماء، لأن المسيحية تدعو لمحبة الجميع حتى الأعداء، لهذا خشى دقلديانوس من تفشّي مثل هذه الأفكار في أرجاء الإمبراطورية، ممّا يؤثر على قوة الجيش، كما أنه **نهى المسيحيون بشدة عن تكريم التماثيل** التي يكرّمها الوثنيون، أثار حقد الوثنيين على المسيحيين، وأيضاً الصياغ والصيَّاغ خشوا كساد تجارتهم.

ألكسندروس: الإنسان المسيحي له الحريّة في التسامح والصفح فيما يخُصّ أموره الشخصية، بل هذا مبدأ إنجيلي، ولكن فيما يخُصّ حق الدفاع عن الدولة فلا يجب على المسيحي الذي يحب وطنه أن يقصّر في أداء الواجب العسكري، بل يُقدِّم نفسه بسرور فداءً عن شعبه ووطنه.

ديمتري: سمعت أيضاً أن دقلديانوس طلب من "**تاجيس**" Tages رئيس العرّافين أن يفحص أحشاء الأضحية التي قدَّمها للآلهة، فأخبره "**تاجيس**" بأن المسيحيين أعداء الآلهة قد أفسدوا مهمته، وأن الآلهة غاضبة منهم، ومادام هؤلاء الكفرة في القصر فإن الأرواح لن تتجلّى ولن تظهر.

أرشيلاوس: أيضاً **المسيحيون لا يؤلهون الإمبراطور** ولا يسجدون له، فبلاشك أن هذا يضايق دقلديانوس كثيراً لأنه يؤلّه نفسه.

ديمتري: وأيضاً "**جاليريوس**" لا يكُف عن إفساد ذهن دقلديانوس، فهو لا يطيق المسيحيين، كما أن أم جاليريوس "**راموﻻ**" Ramula الوثنية دائماً تحرِّضه علينا، والجميع يعلم أن "**جاليريوس**" يؤمن بالخرافات مثل أُمِّه، كما أنه سكير وفاسق. والأمر الغريب أن دقلديانوس عندما يستشعر أن القرار صائباً فهو يتّخذه مُنفرداً لكيما يرجع إليه المديح والثناء، أمَّا إذا استشعر القرار خاطئ فإنه يستشير أعوانه حتى لو حدث فشل يُنسَب إليهم، ولذلك فهو ينصت إلى "**جاليريوس**" لأنه يشعر أن قراره في القضاء على المسيحيين قرار غير صائب.

ألكسندروس: حقاً قال العلاّمة "ترتليان": "*فإذا فاض التيبر على الأسوار، أو غاص النيل فلم يبلغ الحقول، أو أُمسكت السماء عن المطر، وإذا زلزلت الأرض، أو حدثت مجاعة، أو انتشر وباء، تتعالى الصيحات على الفور هاتفة: فليُلقَ المسيحيين إلى الأسود*" (٦٩).

مـرّت الكنيسـة منـذ القـرن الأول وحتـى بدايـة عصـر دقلديانوس بتسعة اضطهادات من الأباطرة "**تيرون**" (٥٤ ـ ٦٨م) و"**دوميتيان**" (٨١ ـ ٩٦م) و "**تراجان**" (٩٨ ـ ١١٧م) و"**ماركوس أوريليوس**" (١٦٩ ـ ١٧٧م) و"**سبتيموس سافيروس**" (١٩٣ ـ ٢٠٩م) و"**مكسيميانوس**" (٢٣٦ ـ ٢٣٨م) و"**ديسيوس**" (٢٤٩ ـ ٢٥١م) و"**فاليريان**" (٢٥٣ ـ ٢٦٠م) و"**أوريليان**" (٢٧٠ ـ ٢٧٤م).

وفي هذه الأيام ولأسباب عديدة شنَّ "**دقلديانوس**" (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) منذ سنة ٣٠٣م سلسلة اضطهادات قاسية ومُرّة على المسيحيين الأبرياء، لم يرحم شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً، بل تلذّذ بأن يسبح في بحيرة من دماء المسيحيين، والشهداء في عصره يُقدَّرون بمئات الألوف ويقاربون المليون شهيد .. لقد انتقم من المسيحيين الذين لا يؤلّهونه ولا يسجدون لتماثيله، وهم موضع غضب آلهته. كما قيل أنه في حربه مع الفرس وقع "**نيقوميدوس**" ابن ملك الفرس أسيراً في يده، فسلّمه لبطريرك أنطاكية، ونجح ملك الفرس في فك أسر ابنه عن طريق رشوة البطريرك، وعاد الابن لساحة الوغي وسقط

أسيراً للمرة الثانية في يد دقلديانوس، وبعد عودة دقلديانوس من الحرب سأل البطريرك عن الأسير، فأخبره أنه قد مات منذ شهرين، فطلب منه أن يرى مقبرته وجسده، فأراه البطريرك جسد أخيه الأكبر الذي قُتِل في الحرب، فقال له دقلديانوس: "*أما الجسد فقد رأيته بعيني، ولكني لا أثق بقول لا يؤيده دليل، فأقسم على المذبح بأن هذا الجسد هو جسد نيقوميدوس*".

وفي اليوم التالي أقام البطريرك القداس الإلهي وأمسك بالجسد وأقسم أن ما رآه دقلديانوس هو جسد نيقوميدوس، فذهل دقلديانوس من جرأة البطريرك في الكذب، وانتظر أن تنزل ناراً من السماء تأكل هذا الرَّجُل الكاذب المُرتشي، فلم يحدث، فأظهر نيقوميدوس للبطريرك الذي أُسقط في يده، وألقى دقلديانوس بالكأس المُقدَّس، وعذب البطريرك، حتى أنه وضع في حلقه الذهب المُنصهر الذي اشتهاه فمات.

وعقد "**دقلديانوس**" مشاورات سريّة مع جاليروس وبعض كبار الموظفين، وتم الاتفاق على ضرورة القضاء على العقيدة المسيحية، وتم تحديد يوم ٢٣ فبراير ٣٠٣م لبدء هذه الحملة، وفي ذلك اليوم كان دقلديانوس وجاليروس في نيقوميديا، وكان عيداً للوثنيين، فأصدر دقلديانوس "**المرسوم**

الأول" للقضاء على المسيحية وشمل المرسوم:

١ ـ هدم جميع الكنائس وإزالتها من الوجود.

٢ ـ إحراق جميع الكتب المُقدَّسة في أي مكان كانت.

٣ ـ تجريد المسيحيين من وظائفهم الحكومية، وحرمانهم من حقوقهم الوطنية ومُصادرة أملاكهم.

٤ ـ لا يُعتق عبد مسيحي قط.

وعندما بادر أحد الضباط المسيحيين الشجعان بانتزاع هذا المنشور وتمزيقه، وهو الشهيد العظيم أمير الشهداء البطل الروماني "**مارجرجس**"، دخل في سلسلة عذابات رهيبة استمرت شهور وسنين تعرَّض خلالها لأنواع شتى من العذابات، بل تعرّض للموت أكثر من مرة، والرب كان يُقيمه، واستطاع أن يجتذب المئات للمسيحية، ولا سيما تلك المرأة الخليعة التي أرسلوها إليه لتسقطه في الخطية وتكسر أنفه، وانتهت الليلة وفي الصباح إذ هى مسيحية تعترف بإله مارجرجس، وتقول لمارجرجس: "*جئت لأسقطك بسحر خلاعتي فجذبتني بسحر طهارتك*". وانتصر "**مارجرجس**" على الإمبراطور بكل قواته وعذاباته وشياطينه، وانتشرت معجزاته بعد استشهاده أكثر ممّا حدث في حياته آلاف المرات. أمّا سيرته العَطِرة وشجاعته النادرة فلن يقوى الزمن

أن يُمحيها، بل تزداد بريقاً ولمعاناً مع الأيام، وحتى المجيء الثاني، بل وفي الدهر الآتي أيضاً.

وفي اليوم الذي أصدر فيه دقلديانوس مرسومه، كانت هناك أمام القصر، وعلى ربوة عالية كاتدرائية ضخمة، فأسرع الوالي مع جنود الشر وهجموا على الكنيسة وحطموا أبوابها، ولم يكتفوا بهذا، إنما هدموها حتى ساووها بالأرض، ويقول "**لاكتانتيوس**": "*بأنه تم حرق الكتب المُقدَّسة، والسماح للجميع بالسرقة والنهب والسلب والتمرُّد والفوضى، وتم النقاش حول مسألة إشعال النار في الكنيسة إلاَّ أن دقلديانوس خشى أن تشتعل النار في المباني المحيطة بالكنيسة فتتأثر بذلك المباني المحيطة بها من المدينة لذا رأى أن تُهدم، ولهذا أمر بإحضار حرس الإمبراطور مزّودين بالفئوس وأدوات أخرى محطمين هذا المعبد الشهير الشامخ وجعلوه يسوى بالأرض*" (٧٠).

وبدأت موجات الاضطهاد العاتية تجتاح المدن والقرى، وممّا زاد الطينة بلّة أن القصر الإمبراطوري تعرَّض لحريق مرّتين في خلال أسبوعين متتاليين، ووصلت ألسنة اللهيب إلى غرفة نوم دقلديانوس، ولم يُعرَف المُتسبِّب، واتهم "**جاليريوس**" بعض المسيحيين العاملين بالقصر، تماماً كما

اتهم "**تيرون**" من قبل المسيحيين بحرق روما وهو الذي أحرقها وراح يُغني مُنتشياً بمشاهد الحريق، ولكيما يزيد "**جاليريوس**" من حرارة الحريق الذي أشعله، ترك القصر عائداً إلى مكانه بحجة أن الإنسان لا يأمن على حياته في هذا القصر.

وكانت النتيجة أن "**دقلديانوس**" أمر بتعذيب كل الخدم، وغضب على زوجته "**بريسكا** Prisca" وابنته "**فاليريا**" Valeria وخيَّرهما بين السجود لآلهته أو الإعدام، واختارتا المسيحية مع الإعدام ورفضتا عبادة الأوثان مع الحياة. كما حكم "**دقلديانوس**" بالإعدام على بعض كبار موظفي القصر المسيحيين مثل "**دورثيوس**"، و"**جورجونيوس**"، و"**أندرياس**"، كما أعدم "**أنتيموس**" أسقف نيقوميديا، واشتد حنق دقلديانوس على المسيحيين، فسيقت أعداداً غفيرة من المسيحيين العاملين بالقصر إلى السجون، وخضعوا للتعذيب الشديد للاعتراف بجريمة لم يرتكبوها، وعندما فشلوا في انتزاع هذا الاعتراف منهم سيق بعضهم للحريق، ورُبِطت أعناق البعض بالأحجار الثقيلة وطُرحوا في البحر، وسُفِكت دماء البعض بالسيف، وعوضاً عن إعدام المسيحيين فرادي، كانوا يشعلون كل يوم نيران عظيمة ويُلقى فيها الشهداء بالجملة، وشدَّد

دقلديانوس على شركائه في الحكم لمحو المسيحية عن وجه الأرض، فهاج الوحوش الثلاث "**دقلديانوس**" إمبراطور الشرق ومعاونه "**جاليريوس**" قيصر الشرق، و"**ماكسيميان**" إمبراطور الغرب ضد أتباع يسوع الوديع الهادي متواضع القلب رئيس السلام، ولا سيما أن إمبراطور الغرب كان سلوكه رديئاً وطبيعته عدوانية "*فكان حاكماً مُتسلطاً خاصة بعد أن استطاع قمع سُلطة مجلس الشيوخ، مروِّعاً إياهم بأساليبه المُزعجة، وبما حمل في شخصيته من صلف وتهييج وما كان في طبعه من توحّش. تلك الصفات التي كانت تلازمه والتي ظهرت أمام من كان يُنزل بهم العقاب، فكان عهده سيئاً مكروهاً، وقد نعته رعاياه بعصر الحديد من شدة قسوته وإستبداده، ومن شدة تعطُّشه إلى التسلط .. هذه الصفات أضفت على شخصيته ونزعته الوحشية روحاً انتقامية وعدوانية، كما أن شعوره بكراهية المُحيطين به وعدم اخلاصهم له، ملأه بالشك والريبة، فكان يندفع ليبطش بأي شخص دون ما سبب فصنع المذابح، وقد دفعته مخاوفه، وتحت ستار الغيرة الدينية المشوّهة بالخبث والحقد أن يكون من أشد الأباطرة اضطهاداً للمسيحيين*" (٧١).

وبدأت تحدث فتن واضطرابات وثورات في أرمينيا وسوريا، هذان الإقليمان اللذان ترتفع فيهما نسبة المسيحيين، فعزّوا هذه القلاقل لرجال الإكليروس ولذلك أصدر دقلديانوس "**المرسوم الثاني**" في شهر مارس ٣٠٣م بالقبض على جميع رجال الإكليروس والزج بهم في أعماق السجون، فامتلأت السجون من الأساقفة والقسوس والشمامسة حتى لم يعُد بها مكان للمُجرمين الخارجين عن القانون، وحلَّ الاستشهاد بكل مكان، باستثناء بلاد الغال وبريطانيا الواقعة تحت حكم "**قنسطنطيوس**"، الذي أمر فقط بهدم أسوار الكنائس وبعض الجدران، بحيث يمكن إعادة بناءها بسهولة.

وفي صيف ٣٠٣م ترك "**دقلديانوس**" نيقوميديا، وتوجّه إلى روما للاحتفال بالعيد العشرين لتولّيه السُّلطة وفي ٢ نوفمبر ٣٠٣م احتفل "**دقلديانوس**" مع "**مكسيميان**" في روما بهذه المناسبة، وقاما بتوزيع الهدايا على الشعب وسط تهليل وهتاف الجماهير في روما، وبنى "**دقلديانوس**" قوس النصر تخليداً لاسمه، وكان من المُعتاد أن يُصدِر الإمبراطور في مثل هذه المناسبة قراراً بالعفو العام عن المساجين، فكيف العمل وهو لا يريد أن يُطلق رؤساء الكنائس ؟!.. ولذلك أصدر هذا العفو العام وجعله مُقترناً بشرط أن يُقدِّم هؤلاء

الأساقفة والقسوس والشمامسة العبادة للآلهة، وإلاّ تعرّضوا للتعذيب الشديد، فكان هذا العفو الذي جر وبال التعذيب على الإكليروس المُعتقلين هو بمثابة **المنشور الثالث** الذي نص صراحة على أن رجال الإكليروس هُم أعداء للحكومة، فلا يُخلى سبيل أحدٌ منهم إلاّ إذا ضحّى للآلهة، فتعرّض رجال الإكليروس للعذابات المُرّة وأُقتيد كثير منهم للعمل في المناجم في ظروف قاسية.

وعاد "**دقلديانوس**" إلى نيقوميديا في يناير ٣٠٤م وكان الوقت شتاءً قارصاً والأمطار غزيرة، فأُصيب بمرض أخذ يشتد عليه، وبدأ يُعاني من اضطراباً عقلياً وفي سنة ٣٠٥م اعتزل دقلديانوس الحُكم وله من العمر ٥٩ عاماً، وتوارى عن الأنظار، فصار "**جاليريوس**" إمبراطوراً للشرق، ولم يُعيّن ابنه "**مكسنتيوس**" Mexentius نائباً له، إنما عيَّن "**مكسيميانوس دايا**" Maxminus Daia قيصراً معاوناً له، وأيضاً في نفس العام ٣٠٥م اعتزل "**ماكسيميان**" إمبراطور الغرب الحكم [٧٢]، فصار "**قنسطنطينوس**" هو الإمبراطور، ولم يُعيّن ابنه "**قسطنطين**" نائباً له، إنما عيَّن "**فاليريوس سفيروس**" قيصراً معاوناً له. وكان "**جاليريوس**" قد استغل فرصة مرض دقلديانوس، فأصدر "**المرسوم الرابع**"

لاضطهاد المسيحيين في ربيع ٣٠٤م، وهو المرسوم الأشد والأفظع، وفيه أمر بأن يُقدِّم جميع المسيحيين، وليس الإكليروس فقط، العبادة للآلهة والتضحيات، حتى لو كان هذا مصحوباً بالعذابات الشرسة أو الإعدام، فعمَّ الاضطهاد على كل المسيحيين رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً، وعُلِّقت الإعلانات في شوارع المدن تلزم الجميع بالتوجّه إلى المعابد لتقديم الذبائح للآلهة.

وهكذا اشتعلت نيران الاضطهاد شرقاً وغرباً، وسالت دماء الأبرياء بحوراً تروي الأرض العطشى لتثمر مؤمنين جُدداً.

وقال البعض عن **تخلِّي** "**دقلديانوس**" **عن الحكم** أنه أقام حفل الاعتزال في أول مارس ٣٠٥م في سهل فسيح على بُعد ٣ كم من نيقوميديا، وله من العمر ٥٩ عاماً، حيث جرَّد نفسه من الأوسمة والشعارات الإمبراطورية، واستقل عربة خاصة وانطلق إلى "**سالونا**" Salona التي اختارها مقرّاً لتقاعده، كما اعتزل "**ماكسيميان**" الحُكم في معبد جوبتر بميلان بناء على وعده لدقلديانوس، وذهب إلى "**لوكانيا**" Luconia جنوب إيطاليا كمقرّ لتقاعده، وأمضى "**دقلديانوس**" السنين التسع الباقية له في الحياة في قراءة

الأدب والبناء والزراعة وفلاحة البساتين، وعندما أرسل إليه "**مكسيميان**" يحفِّزه على استعادة الحكم واستعادة الحُلّة الأرجوانية، أجابه دقلديانوس بأنه لو رأى الكرنب الذي زرعه بيديه في سالونا، فإنه لن يعود يصغى لأي إغراء يدعوه للتخلّي عن هذه المُتعة طلباً للسُّلطة (٧٣).

كما قال البعض عن **نهاية حكم دقلديانوس** أنه حلَّ به المرض، وفقد رشده فخُلع عن كرسيه، وأصدر مجلس الشيوخ أمره بنفيه إلى جزيرة "**واروس**" الكثيرة الأحراش، وكان في الجزيرة بعض المسيحيين الذي تعرَّضوا للنفي، فكانوا يقدِّمون له طعامه اليومي ويهتمون به، حتى استرد عقله وطمع في العودة للحكم، ولكن قادة الجيش رفضوا ذلك قائلين "*إن هذا الرَّجُل فقد عقله وأُصيب بالبله وعزلناه من الحكم فلا نريد أن نعيده*" (٧٤) فصار حزيناً يبكي حتى أظلمَّ عقله وفقد بصره.

ولم ينتهي الاضطهاد بنهاية حكم دقلديانوس لأن "**جاليريوس**" الذي هو أكثر شرّاً وشراسة من دقلديانوس قد تولّى إمبراطوراً للشرق وحرص على تفعيل "**المرسوم الرابع**" يعاونه في هذا "**مكسيميانوس دايا**" الذي ارتكب جرائم وحشية في الإسكندرية وكل مصر والخمس مدن الغربية،

فاشـتعلت النيـران، وذُقّـت الصـلبان، وأُطلقـت الوحـوش الجائعة..

أمّا في الإسكندرية فقد أقبل الشهداء على وسائل القتل والنيران المشتعلة كأنها مراكب نارية تقلهم للملكوت .. نَفَثَ الشيطان كل غيظه وحقده وسمومه ليفني المسيحية عن وجه الأرض فإذ بشجرة المسيحية ترتوي بدماء الشهداء فتنمو وتترعرع وتزدهر وتمتد أغصانها إلى السماء، وجنت المسيحية ثمار الاستشهاد وكسبت كثيراً أكثر ممّا خسرت، لقد فضحت مبادئ المسيحية السامية فساد العبادة الوثنية، ورأى الوثنيون روح الفرح والرّجاء والرضى والثقة والإيمان والصفح والمحبة التي يتحلّى بها الشهيد المسيحي، فتدافعوا يعانقون صليب الاستشهاد ويحملونه بفرح سواء كانوا من النبلاء أو عامة الشعب أو العبيد، فصار الموت ضعيفاً، وصارت قوته وجبروته وسلطانه باهتاً، فجاز فيه الرِّجال والنساء والشيوخ والأطفال برضى وسرور وفرح، والإعلانات الإلهيَّة تعين وتسند الكارزين بالدم ..

قال الشهيد "ترتليانوس" في رسالة إلى مضطهديه: *" استمّروا في تعذيبنا، اصحنونا إلى مسحوق، **فإن أعدادنا تتزايد بقدر ما تحصدوننا!**. إن دماء المسيحيين لهى بذار*

محصولهم .. من ذا الذي بعد انضمامه إلينا لا يشتاق إلى التألم" (٧٥).

وقال الشهيد الفيلسوف "**يوستين**" في دفاعه المُقدَّم للإمبراطور: *" ها أنت تستطيع أن ترى بوضوح أنه عندما تُقطع رؤوسنا، ونُصلب، ونُلقى للوحوش المُفترسة، ونُقيّد بالسلاسل، ونُلقى في النار، إننا لا نترك إيماننا،* ***بل بقدر ما نُعاقب بهذه الضيقات بقدر ما ينضم مسيحيون أكثر إلى إيماننا وديانتنا بِاسم يسوع المسيح"*** (٧٦).

كما قال الشهيد "**يوستين**" أيضاً: *"لا شيء يستطيع أن يحوِّلنا عن إيماننا، لا سيف القاتل، ولا صليب الضيق، ولا أنياب الوحوش الضارية، ولا القيود، ولا النار، ولا العذاب بأي نوع،* ***بقدر ما يزيدوا آلامنا بقدر ما يزداد عدد المؤمنين، وبقدر ما يزداد عدد التلاميذ الذين ينحازون إلى المسيح"*** (٧٧).

نعم إن الإيمان بالمسيح صار مُجازفة تُكلِّف الإنسان حياته، وبالرغم من أن الحُكّام كان يقبلون أي عمل بسيط مثل وضع حبّات بخور أمام الآلهة الوثنية فيطلقون سراح المُتهمين بالمسيحية، إلاَّ أن الأيدي المُقدَّسة رفضت أن تتنجس بهذا العمل الشيطاني .. نعم اضطر البعض أن

يهجر بيته، والأغنياء هجروا قصورهم، وتواروا عن الأنظار هرباً بإيمانهم، فعاشوا في الجبال والقفار وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح.

وكتب "**يوسابيوس القيصري**" يقول: "*استمر التعذيب والقتل يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، وكان يستشهد في اليوم الواحد خمسون وثمانون ومائة، حتى أن القتلة أنفسهم يسأمون أو يسقطون أعياء. وكان الهمجيون من القتلة يرمون النساء والأطفال من السجون بعد جرّهم على الأرض في الشوارع إلى أن تتجرَّح أجسامهم وتسيل منها الدماء. فتروي التربة المصرية وتضيف إلى خصوبتها نعمة*" (٧٨) كما كتب أيضاً يقول: "*وعلى الرغم من هذا كله فإن الشعب المصري الأرثوذكسي اندفع بشجاعة عجيبة وجرأة نادرة إلى حيث تنتظره الأهوال في رضا وحبور. وكان المحكوم عليهم يسيرون وسط أناشيد التسبيح والتهليل كما لو كانوا ذاهبين إلى عرس*" (٧٩).

وكتب آخر يقول: "*على نحو ما توجد الروح في الجسد، هكذا المسيحيون في العالم ..الروح كائنة في الجسد، لكنها ليست منه، والمسيحيون مقيمون في العالم، لكنهم ليسوا من*

العالم .. والمسيحيون كلما تعرَّضوا للآلام والعذابات ازدادوا عدداً " (٨٠).

أمَّا نفسية الشهيد فيُعبِّر عنها "**الشهيد أغناطيوس**" قائلاً:

" إنـي أشتهي الاستشهاد لكي أُظهر ذاتـي مسيحياً لا بالقول فقط، بل بالفعل .. إنني إن أفنتنـي النيران وحوَّلتني رماداً .. أو عُلِّقت على صليب مُتجرِّعاً كأس ميتة بطيئة .. لو أُطلقت عليَّ النمور الكاسرة، والأسود الضارية، وكسرت عظامي، وهشمت أعضائي، وسحقت جسدي برمته، فإني مُتحمل كل ذلك بفرح .. بشرط .. أن أحظى بيسوع المسيح.. لأنه ملك العالم بأسره . إن الموت لي لأجل يسوع المسيح، أفضل من أن أملك كل الأقطار، لأن قلبي تائق إلى من مات لأجلي، ونفسي مُشتاقة لِمَنْ قام من الموت لأجلي".

وفي السنة الثامنة من هذا الاضطهاد القاسي، أُصيب "**جاليريوس**" بمرض خطير، حتى أنه صار يصرخ ويطلب الرحمة والصفح من المسيحيين، واعتذر عن الأفعال الوحشية التي ارتكبها في حقّهم، مُعلِّلاً ذلك بأنه كان يروم الحفاظ على سلامة الإمبراطورية، وبعد أيام قليلة مات جاليريوس.

وفي خريف ٣٠٨م وبعد اعتزال دقلديانوس سنة ٣٠٥م، أصدر "**مكسيميانوس دايا**" "**المرسوم الخامس**" بإعادة هياكل الأوثان، فأُقيمت الهياكل في كل مدينة، وعُيِّن في كل مُقاطعة موظفاً سياسياً بمثابة رئيس كهنة، وألزم الجميع رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً لتقديم القرابين والأضاحي للآلهة الوثنية، وأن يُكرِه المسيحيون على تذوّق ما ذُبح للأوثان، وخُلِطت لحوم هذه الذبائح مع اللحوم المعروضة للبيع في الأسواق، حتى يأكل منها المسيحيون بعلم أو بدون علم، وصار الوثنيون يأخذون المياه أو النبيذ الذي استعمل في تقديم ذبائح الآلهة الوثنية، ويرشونه على الخضروات والفواكه المعروضة للبيع في الأسواق، وزادوا من عذابات المسيحيين، ففاضت أنهار أخرى من دمائهم البريئة، وصارت الفترة من ٣٠٨ ـ ٣١١م أفظع فترة في تاريخ الاضطهاد في الشرق، فاحتجت السماء وأعلنت غضبها فامتنعت الأمطار وعمّت الأمراض والأوبئة، فكثر الموتى، وترك الوثنيون ذويهم ولم يهتموا بهم خشية العدوى، فاهتم بهم المسيحيون ورعوا المرضى ودفنوا الموتى منهم. **أمَّا المسيحية فما لبثت شامخة.**

ويصف "**يوسابيوس القيصري**" جانب من هذه الأهوال فيقول: " *وكانت بعض النساء من أشرف العائلات في المدن تتجولن في الأسواق للإستجداء، وكانت تتبين عليهن دلائل الثراء السابق من احتشامهن في مظهرهن ووقارهن في هيئتهن. وإذ حل الضنك بالبعض وأصبحوا على حافة الموت فعثروا وتمايلوا هنا وهناك، وكانوا أضعف من أن يستطيعوا الوقوف، فسقطوا في وسط الشوارع، وكانوا وهم منطرحين يتوسّلون أن تُعطى إليهم لقمة خُبز صغيرة، وفي أخر نفس يصرخون قائلين: جائع، ولم تكن لهم قدرة إلاَّ على أن يبعثوا هذه الصرخة الأليمة جداً .. ظلت الجُثث العارية منطرحة وسط الأسواق والأزقة أياماً طويلة دون أن تُدفن، فكانت منظراً أليماً جداً لِمَنْ شاهدوها، وأصبح البعض أيضاً طعاماً للكلاب .. والأسوأ من هذا تلك الأوبئة التي كانت تقضي على بيوت وعائلات برمتها .. هكذا كان جزاء افتخار مكسيميانوس، وجزاء الإجراءات التي اتخذتها المدن ضدنا، وعندئذ* ***ظهرت لكل الوثنيين أدلّة غيرة المسيحيين وتقواهم، لأنهم وحدهم وسط تلك المصائب أظهروا عطفهم وإنسانيتهم بأعمالهم، ففي كل يوم استمر البعض في إظهار عنايتهم نحو الموتى ودفنهم .. والآخرون كانوا***

يحملون في مكان واحد من عضتهم المجاعة بأنيابها في كل المدينة ويقدّمون الطعام لهم جميعاً. وهكذا أُذيعت بين الجميع هذه الأنباء فمجّدوا إله المسيحيين، وإذ اقتنعوا بالحقائق نفسها اعترفوا بأن المسيحيين هُم الوحيدون الأتقياء والمتدينون" [٨١].

وكان "**دقلديانوس**" قد عيّن بعض الولاة المشهورين بقساوة القلب والتجبّر، فعيّن "**أريانوس**" والياً لأنصنا، و"**أرمانيوس**" والياً للإسكندرية، و"**لومبيوس**" والياً للفرماء، وهلمّ جرا.. فظلوا في غيهم وظلمهم وقسوتهم وعجرفتهم بعد عصر دقلديانوس، **وازدحمت مدينتنا العُظمى بالآف الشهداء السكندريين أو الذين سيقوا من خارج الإسكندرية ليقفوا أمام "أرمانيوس" الوالي الشرير، وهكذا سيق الآلاف أيضاً إلى أنصنا ليمثلوا أمام "أريانوس" وهناك مدن ذهب إليها "أريانوس" فصار في كل بيتٍ منها شهيد أو أكثر، وهوذا مدينتي "أخميم" و"اسنا" تقفان شاهدتان أمام التاريخ، بل يقف التاريخ أمامهما طويلاً يقدّم الاحترام والتوقير والتبجيل إكراماً لابنائهما الأبطال الذين شهدوا للمسيح إلى النفس الأخير.**

وإزاء شراسة الإضطهاد الذي أثاره "**دقلديانوس**" وأتباعه، وإذ أخذ السيف يعمل بلا هوادة، خشى الشعب السكندري على الأب البطريرك "**قداسة البابا بطرس**" لئلاّ يمسّه الاضطهاد، ولشدة محبّتهم له ضغطوا عليه لكيما يذهب إلى أرض فلسطين، فرحل البابا وكان يُراسل تلميذيه "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**"، لكنه لم يقوَى على احتمال هذا الفراق طويلاً، فعاد إلى الديار المصرية، وصار "**قداسة البابا بطرس**" ينتقل من مكان إلى آخر، ومن بلدة إلى أخرى يشجِّع أولاده على عبور محنة الاستشهاد، **فالسيف يحصد في أولاده يوماً فيوماً في طول البلاد وعرضها، وقد تحوَّلت السجون إلى أماكن للعبادة والتسابيح والتهليل، وروح الله يعمل في هذه النفوس المُجاهدة فيهبها قوّة وصبراً واحتمالاً ومعونة**. والاستشهاد هو أقصر طريق للملكوت، فصار البابا يُصبّر أولاده الذين سُلبت ممتلكاتهم، فأي شهيد يتم استشهاده تقوم الدولة على الفور بمصادرة ممتلكاته، وتترك أسرته للعوز الشديد، ولولا مُعاضدة ومُساندة المؤمنين لهلك آلاف الأطفال جوعاً.

وتفنَّن الأشرار في وسائل تعذيب الأبرياء، ومن هذه الوسائل ما يلي (٨٢):

١ ـ **السجن:** في أماكن مظلمة رطبة، حيث توثق الأيدي خلف الظهر، وتضبط القدمان في المقطرة، فيتعذّر على الإنسان الجلوس أو النوم، ولولا المعونة الإلهيَّة لانهار الآلاف، ولكن بلا شك كانت هناك معونة إلهيَّة خفيّة سندت الشهداء حتى وصلت بهم إلى برّ الملكوت.

٢ ـ **العمل في المناجم:** في ظروف قاسية للغاية تحت شمس الصحراء اللافحة، ولهيب السياط، ومن الذين سيقوا للعمل في المناجم بعض المُعترفين الذين تعرّضت إحدى أطرافهم للبتر، فيعملون ويبذلون جهداً أكبر من طاقتهم جداً جداً ولا يجدن قوت يومهم ولا كأس الماء الذي يروي ظمأهم، فمات منهم الكثيرون الذين عدتهم الكنيسة في رتبة الشهداء.

٣ ـ اجبار البعض على **لبس أحذية تبرز منها أسنان مسامير**، كما حدث مع مارجرجس.

٤ ـ **التعليق في الهواء:** من يد واحدة أو رجل واحدة.

٥ ـ نزع الأظافر، وسحق الأعضاء، حتى تبرز العظام من خلال اللحم المهراء.

٦ ـ **السحل:** على الأرض فتسيل الدماء لتروي الأرض كما حدث مع مارمرقس.

٧ - الإلقاء في بحيرات الثلج حتى الموت، كما حدث مع الأربعين شهيداً بسبسطه.

٨ - **سلخ الجلد**: وترك الإنسان ليموت موتاً بطيئاً.

٩ - **العصر بالهنبازين**: والهنبازين عبارة عن دولاب يتحرك نصفه العلوي في اتجاه عكسي لنصفه الأسفل الذي تبرز منه سكاكين حادة تشرح جسد الشهيد.

١٠ - الزيت المغلي، والقار المغلي، والرصاص السائل.

١١ - تعذيب الإنسان حتى يُقارب الموت، ثم **يُدفن حيّاً**.

١٢ - **الغرق**: ربط حجر طاحونة في رقبة الإنسان وربط يديه وإلقاءه في البحر.

١٣ - **الحرق**: شوي الجسد على نار هادئة أو ربط الشهيد في سرير حديد وإشعال النيران أسفله.

١٤ - تغطية بعض أعضاء الجسم بقطعة كتان مُبلّلة بالزيت وإشعال النيران فيها فيذوب الشحم ويتساقط كالشمع.

١٥ - بتر بعض الأعضاء.

١٦ - فقأ إحدى العينيْن أو كليهما.

١٧ - الضرب بالسيف أو الفأس، وهذه أسهل الميتات جميعاً.

١٨ - الصَّلب وهى أصعب الميتات.

١٩ ـ الإلقاء للحيوانات المُفترسة.

٢٠ ـ الحرق الجماعي للرِّجال والنِّساء والأطفال والشيوخ.

وأترك المؤرخ الكبير "يوسابيوس القيصري" كشاهد عيان ليحكي لنا القليل عن قسوة الاضطهادات:

" إنه ليعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرّعه الشهداء في مصر من ألوان العذابات القاسية والآلام التي تشيب من ذكرها النواصي. فقد كانوا يأتون بأولئك الشهداء ويشقون بالخناجر أجسادهم، ويروحون ينزعون عنها الجلد عضواً عضواً حتى تُزهق الروح. أمّا النساء فقد كانت تُربط الواحدة منهن من إحدى قدميها وتُرفع في الهواء بآلة مُخصَّصة لذلك، وتظل مُعلّقة هكذا بصورة تنفر منها الإنسانية حتى تزهق روحها. وكانوا يقرِّبون غصنيْن قويّيْن من شجرتيْن مُتقاربتيْن بآلة صنعوها لهذا الغرض، ثم يجيئون بالشهيد ويربطونه بهذيْن الغصنيْن، ثم يتركونهما ليعودوا إلى وضعهما الأول، والشهيد بينهما تتمزّق أضلاعه وتُسحق عظامه سحقاً فتتطاير أشلاء جسمه في الفضاء. وقد كانت هذه الفظائع تستمر أعواماً طويلة، وكثيراً ما كان يصدر حكم بقتل عشرة أشخاص في لحظة واحدة، وأحياناً بقتل عشرين مرة واحدة، وأحياناً ثلاثين، وأحياناً ستين. وقد حكموا

مرة على مائة رجل بالموت فماتوا في يوم واحد مع زوجاتهم وأولادهم الصغار، بعد أن ذاقوا من العذابات ما تقشعر منه الأبدان" (٨٣).

وفي حديث "**يوسابيوس القيصري**" عن شهداء مصر يقول: "مات ميتات مختلفة ألوف من الرجال والنساء والأطفال، ***محتقرين الحياة الحاضرة من أجل تعاليم مُخلِّصنا***. فالبعض أُلقوا في النيران .. وأنواع لا عدد لها من التعذيب بطريقة تقشعر لها الأبدان حتى من مجرّد سماعها. والبعض أُغرقوا في البحر، والبعض قدّموا رؤوسهم بشجاعة لِمَنْ قطعوها، والبعض ماتوا تحت أيدي مُعذّبيهم، والآخرون هلكوا جوعاً وآخرون صُلبوا بعضهم بالطريقة المُعتادة لصلب المُجرمين، والآخرون بطريقة أشنع إذ كانوا يُسمّرون على الصليب ورؤوسهم مُنكسة إلى أسفل، ويتركون أحياء على الصليب حتى يموتوا جوعاً" (٨٤).

كما يقول أيضاً: "وقد شاهدت بعيني بينما كنت واقفاً بقرب النطع جمعاً غفيراً من المسيحيين جُمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة، فكان بعضهم تجز رؤوسهم وبعضهم يحرقون في آتون النار المُتقدة حتى أن السيف الذي كانت تُقطع به الرؤوس تلم وكلّ حدّه وتحطم تحطيماً لكثرة ما

سحق من الرقاب، وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين، فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يتنفسون الصعداء .. إننا نحن شهود عدل على ما شاهدناه بأعيينا من الغيرة الخارقة، والقوة الإلهيَّة الصحيحة والفرح في الروح القُدُس الذي ملأ قلوب **هؤلاء الذين يؤمنون بالمسيح ابن الله إيماناً متيناً جعلهم يتقبلون الموت بصدور مُنشرحة وثغور باسمة، حتى أنه عندما كان يصدر الحكم على واحد منهم بالإعدام كان الآخرون يندفعون من كل حدب مزدحمين في المحكمة أمام القاضي مُعترفين له بأنهم مسيحيين غير مُبالين بما يلحق بهم من عذابات مريعة واضطهادات شنيعة، بل كانوا يجاهرون بكل صراحة وشجاعة بديانتهم الحقيقية التي تعلّم بوجود إله واحد عظيم خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. ومن العجيب أنه عندما يصدر الحكم النهائي بموتهم، كانوا يقابلون هذا الحكم بفرح وتهليل، حتى أنهم كانوا يرنِّمون ويرتِّلون أغاني الحمد والشكر لله الذي آهلهم لأن يموتوا لأجله، وكانوا يظلون يفرحون ويطربون إلى آخر نسمة من حياتهم عندما تفارق أرواحهم أجسادهم" (٨٥).**

ويقول "**يوسابيوس القيصري**" أيضاً عن هذه العذابات البشعة "*وكانوا يقطعون أصابع المسيحيين بالحديد المُحمّى بالنار، وينزعون جفونهم ويحرقون عيونهم، حتى إذا صمد الشهيد واحتمل كل تلك الآلام، قادوه رغماً عنه إلى مذبح الآلهة ووضعوا النار والبخور فوق يديه، واعتبروه جاحداً للإيمان، ثم ألقوا به وهو شبه ميت إلى الوحوش تلتهمه، فإذا جاهر أحد المسيحيين بإيمانه ضربوه على فمه وأجبروه على الصمت. فإذا صمت اعتبروه مُستسلماً وخاضعاً واعتبروا أنفسهم مُنتصرين عليه، وقد حاول رجال الشرطة أن يبذروا الشك في قلوب المسيحيين بوسائل شتى، فكانوا مثلاً يقبضون على أحد الكهنة ويسجنونه بضعة أيام، ثم يطلقون سراحه مُعلنين أنه قد جحد إيمانه وخضع لأوامر الحكام، وكانوا بين الحين والحين ينفّذون حكم الإعدام في جماعات عظيمة من الأقباط ليلقوا الفزع والرعب في قلوب الآخرين المتمسكين بإيمانهم، وكانوا يخترعون أنواعاً عديدة من العذاب ليجعلوا موت المؤمنين أقسى ألماً وأبشع وأشنع عذاباً*" (٨٦).

وحدث في الإسكندرية أنه "*أُقتيد أحد المؤمنين الغيورين واسمه "**أغابيوس**" إلى ساحة الاستشهاد، وقدّموه إلى*

الوحوش الضارية مع "**القديسة تكلا**"، لمجرّد العرض المسرحي، ثم سحبوه، ثم أعادوه إلى هذا العرض مرة ثانية ثم سجنوه، وفي المرة التالية كان الإمبراطور حاضراً فأتوا بالقديس، فدخل إلى الساحة أحد المجرمين الذي كان قد قتل سيده، وقبل إلقائهما إلى الوحوش تراءف الإمبراطور على القاتل، قائلاً: أنه جدير بالرحمة والعطف، فدوّت الساحة بالتهليل والهتاف للعفو عن القاتل. وأمّا "**أغابيوس**" المُتمسك بعقيدته فقد أُقتيد أمام الإمبراطور، فطلب منه أن يجحد إيمانه حتى ينال حرّيته، فأجابه "**أغابيوس**" قائلاً:

إنني لا أُحاكم من أجل جريمة ارتكبتها، بل من أجل إيماني بدين الإله الحقيقي للعالم، ولذلك فإنني سأحتمل بكل شجاعة كل العذاب الذي سيلحق بي ..

وقد ألقى الحكام الوثنيون القبض على شاب آخر جاهر بمسيحيته، فانهال عليه الجنود ضرباً، ثم ألقوه في السجن مُقيّداً بالأغلال الحديدية. وعندما جيء به أمام الحاكم طلب منه أن يُقدّم الذبائح للآلهة فرفض، فمزقوا لحمه حتى ظهرت عظامه وتشوّه وجهه من اللكمات والضربات التي انهالت عليه. وإذ استمر في إيمانه بعد هذا كله ربطوا قدميه بلفائف

مُبلَّلة بالزيت ثم أشعلوا فيه النار. وبعد أن احترق ألقوا ما تبقى منه في البحر" (٨٧).

لقد كانت الوحوش المُفترسة أحياناً أرحم من هؤلاء الأباطرة، ويحكي "**يوسابيوس القيصري**" بعض المشاهد عن المؤمنين الذين تم جلدهم قبل أن يُلقوا للوحوش ليستثيروا غريزة الافتراس لديها فيقول: "*ونحن أنفسنا كنا حاضرين عندما تمت هذه الحوادث، ودوَّنا قوة مُخلِّصنا يسوع المسيح الإلهيَّة التي تجلَّت .. ظلت الوحوش الملتهمة البشر وقتاً طويلاً لا تتجاسر على أن تلمس أو تقترب من أجساد أعزاء الله هؤلاء .. لم تجرؤ قط أن تمسّ الأبطال المُباركين وهم واقفون وحدهم عرايا .. كلّما هجمت عليهم كانت تقف وتتراجع وكأن قوة إلهيَّة قد صدتها. ظلّ هذا وقتاً طويلاً وأحدث دهشة كبيرة للمُتفرِّجين، وعندما كان الوحش الأول لا يفعل شيئاً كان يطلق سراح وحش ثان وثالث ضد نفس الشهيد الواحد.*

ولم يكن المرء يتمالك نفسه من الدهشة أمَّا الثبات الذي لا يُقهر الذي أبداه هؤلاء المُباركون .. فكنت ترى شاباً لم يكمل بعد السنة الثانية والعشرين واقفاً غير مُوثَق وباسطاً يديه على شكل صليب، بعقل غير متخوِّف أو غير مُرتعب،

مُنشغلاً في صلاة حارة لله، دون أن يتراجع على الإطلاق عن المكان الذي وقف فيه، بينما تكاد النمور والدبب تلمس جسده وهى تنفث تهديداً وقتلاً .. وكنت ترى آخرين - كانوا خمسة - طُرحوا أمام ثور برّي كان يقذف في الهواء بقرنيه كل من اقترب إليه من الخارج ويُمزِّقه ويتركه بين حي وميت، ولكنه عندما هجم بوحشية على الشهداء الأطهار، وكانوا واقفين وحدهم، لم يستطِع أن يقترب منهم، ورغم أنه رفس بقدمْيه أو بهز بقرنيه في كل جهة ونَفَث تهديداً وقتلاً بسبب تهّيجه من الحديد المُحمّى الذي كان يُنخس به، فقد تراجع إلى الوراء بقوة إلهيّة، وإذ لم يلحق بهم أي أذى أطلقوا عليهم وحوشاً أخرى. وأخيراً وبعد هذه الهجمات المروِّعة عليهم، قُتلوا جميعاً بالسيف، وبدلاً من دفنهم في الأرض طُرحوا في أعماق البحر" (٨٨).

ويحكي "**يوسابيوس القيصري**" أيضاً عن يأس الحكام من صمود المسيحيين فبدأوا يكتفون بقلع عيونهم فيقول "ولكنهم في ختام هذه المصائب، لمّا عجزوا نهائياً عن تدبير أنواع من القسوة أشد، ووهنت قواهم في تنفيذ أحكام الموت، وشبعوا بل بشموا من سفك الدماء، تحوّلوا إلى معاملة اعتبروها رحمة وإنسانية، وهى أنهم تظاهروا بأنهم كفوا عن

أن يدبروا أهوالاً ضدنا. لأنهم قالوا أنه لا يليق أن تتلطخ المدن بدماء شعبهم، أو أن تشوَّه سمعة حكومتهم .. لذلك أمروا بقلع عيوننا وجدع أحد أطرافنا، وأُعتبرت هذه في نظرهم شفقة .. يستحيل التحدُّث عن العدد الذي لا يُحصى ممَّن فقئت عيونهم، أولاً بالسيف، ثم كويت بالنار .. وفي كل هذا النضال أضاء شهداء المسيح النبلاء العالم كله، وأذهلوا في كل مكان من شهد ببسالتهم، وقد تجلّت فيهم أدلة قوة مُخلِّصنا الحقيقية الإلهيَّة التي لا يُعبَّر عنها" (٨٩).

وبينما جرت الاضطهادات من جانب الحُكام والولاة والأباطرة، فإن الكنيسة لم تكُف عن مساندة الشهداء والاهتمام بأُسرهم، وجاء كوكب البرية "**الأنبا أنطونيوس**" (سنة ٣١١م) من الصحراء الشرقية إلى مدينة الإسكندرية، فقد كان يشتهي الاستشهاد، فأخذ يزور السجون ويعظ المسجونين، ويُحدِّثهم عن زوال العالم سريعاً ومجده الباطل من جانب، ومن الجانب الآخر يُحدِّثهم عن أمجاد السماء وسموّ الاستشهاد وسعادة ومجد وعظمة وكرامة الشهداء، وبهذا كان يُشجِّعهم على نوال أكاليل الشهادة، ويُشاركهم الصلاة والتسابيح، ويحضر معهم المُحاكمات، ولا يكف عن مساندتهم. وفي إحدى المرّات لبس ثوباً أبيض واعتلى رابية

كان الحاكم مزمعاً أن يمر بها، مُعلِناً مسيحيته. أمَّا الحاكم فأُعجب بشهامته ونظر إليه باحترام وتركه وعبر.



الفصل الحادي عشر: الأسقف المُحب لذاته

مرّت أيام الاضطهاد بطيئة مُتثاقلة، وفي أواخر ديسمبر سنة ٣٠٩م التقى الأصدقاء بدون سابق ميعاد في مزار "**البابا ثاؤنا**" فكل منهم ذهب يلتمس صلواته من أجل بعض الأمور، ولكن العامل المُشترك بينهم هو طلبهم صلوات هذا البستاني الأمين من أجل البستان الذي يعاني من متاعب شتى من الخارج والداخل، وتعزّى الأصدقاء بصلواتهم التي تصاعدت إلى السماء كبخور عَطر الرائحة، وشعروا بأن روح أبيهم ثاؤنا الذي أحبّهم ترفرف حولهم، فجلسوا في هذا المكان الهادئ بعيداً عن أعيُن الكل ودار الحديث بينهم حول مشكلة أسقف ليكوبوليس (أسيوط) الذي صنع انشقاقاً في الكنيسة.

أرشيلاوس: ما يحز في نفسي أن آبائنا الأساقفة الأجلاء في غياهب السجون يشهدون للمسيح بقوة، و"**قداسة البابا**" عاد من أرض فلسطين لكنه غائب عن كرسيه، لأنه يتفقد أولاده في شتى المديريات، ويشدّ من أزرهم ضد اضطهاد غاشم قاسٍ، فيشجّعهم البابا على التمسُّك بالإيمان المسيحي حتى الدم وحتى النفس الأخير، واضعاً نصب أعيُنهم قول

مُخلِّصنا الصالح "كُنْ أميناً إلى الموت فسأُعطيك إكليل الحياة" (رؤ ٢ : ١٠). أمَّا "**ميليتوس**" أسقف ليكوبوليس الذي ضعف أمام الاضطهاد وبخرّ للأوثان خوفاً من الموت، عندما أوقع عليه "**قداسة البابا بطرس**" عقوبة التأديب رفض، بل أنه انتهز فرصة غياب الآباء الأساقفة عن كراسيهم وأخذ يرسم أساقفة وقسوس في إيبارشياتهم.

ميناس: الأمر العجيب أنك دائماً تجد صوت الباطل هو الأعلى، فكثيرون يشايعون ميلتيوس، والتفّ حوله كثير من الإكليروس والرهبان والشعب بسبب شعبيته الكبيرة .. إنني في منتهى الألم من أجل أمي الكنيسة المُتألمة .. اضطهادات من الخارج، ونفوس تخور في الطريق ويتزعزع إيمانها، وانقسامات من الداخل بسبب محبة ميلتيوس لذاته، وبدع أريوسية ترعى في الشعب..

ديمتري: سمعت أن مشايعي مليتوس يلتمسون له العذر في هذه السيامات، لأنه أقنعهم بأن هذه الإيبارشيات التي غاب أساقفتها عنها في حاجة للرعاية الروحية، ولذلك اضطر لهذه السيامات في هذه الظروف الاستثنائية غيرةً منه على خلاص النفوس ومجد الخدمة.

ألكسندروس: هذا لا يمنع أن ما يفعله ميلتيوس ضد تقاليد الآباء وقوانين الآباء الرسل، التي تمنع تدخُّل أسقف في شئون إيبارشية غير إيبارشيته.

أرشيلاوس: إن قساوة القلب تمادت في نفس ميليتوس فلم تردعه الرسالة المؤثِّرة جداً التي أرسلها الآباء الأساقفة وهم في سجنهم.

ديمتري: كنت أتمنّى أن أطلع على هذه الرسالة التي كُتبت في غياهب السجن.

أرشيلاوس: معي صورة من هذه الرسالة، احتفظت بها على سبيل البركة.

ديمتري: هل تقرأها لنا ؟

أرشيلاوس: *" من "**هيتيخوس**" و "**باخوميوس**" و"**ثيؤدوسيوس**" و "**فيلاس**" إلى "**ميليتوس**" المحبوب وشريكنا الخادم في الرب. التحية.*

في بساطة الذهن نخبركم أنه قد نمى إلى علمنا عنك إشاعات لا تُصدَّق، فقد أخبرنا زائرون عن بعض المحاولات. لا بل والأعمال التي تصدر عنك، غريبة عن النظام الإلهي والكنسي، هذه التي لم نكن نودّ تصديقها من أجل ما حملته هذه التصرُّفات من تهوّر شديد وطياشة ..

إننا لا نستطيع أن نعبِّر عن مدى الضيق والحزن اللذين حلاّ بنا كجماعة وأفراد عند سماعنا بالسيامات التي قمتَ بها في إيبارشيات ليست تحت سلطانك.

.. إنه يوجد قانون الآباء والأجداد، إننا لا نجهله، مؤسَّساً على أساس إلهي وكنسي .. إنه **لا يجوز للأسقف أن يقوم بالسيامة في غير إيبارشيته** .. هذا القانون الذي تسلّمناه له حكمته وأهميته القصوى:

١ـ لكي يكون سلوك المُرشحين للسيامة وحياتهم ممحَّصة بعناية فائقة.

٢ـ منعاً من حدوث أي ارتباك أو اضطراب، فكل منا لديه من الأعمال الخاصة بتدبير إيبارشيته ما يكفيه، عليه أن يسعى باجتهاد باحثاً بعناية فائقة واهتمام شديد ليجد خداماً مناسبين من بين الذين عاش في وسطهم كل حياته، وتدّربوا على يديه.

أمّا أنت فلم تعطِ اعتبارات لهذه الأمور، ولا تطلّعت إلى المستقبل، ولا إلى شريعة آباءنا الطوباويين التي تسلّموها من السيد المسيح بالتتابع، **ولا إلى كرامة أسقفنا العظيم وأبينا (البابا) بطرس الذي نضع فيه جميعاً الرجاء الذي لنا من الرب يسوع المسيح، ولا ترفّقت بنا من أجل حبسنا في**

السجن، وما يحل بنا من ضغوط وضيقات، تاركين كل شيء دفعة واحدة.

ربما تقول: إني صنعت هذا لأحافظ على كثيرين بعدما ارتد الكثيرون عن الإيمان، وصارت القطعان في عوزٍ، وهي متروكة بلا راعٍ.

لكن الأمر بكل تأكيد ليس هكذا، ولا هم في عوزٍ شديد:

١ ـ فإن كثيرين (من الرُّعاة) يفتقدونهم كزائرين (للإيبارشية).

٢ ـ إن وُجِد شيء من الإهمال نحوهم فكان يليق استخدام الطريق السليم في شكاوي الشعب العاجلة، أما نحن فنعمل ما في وسعنا نحوهم.

إنك قد أملت أذنك بمبالغة لخداعات البعض وكلماتهم الباطلة، وصنعت تعديات متمِّماً السيامات خلسة، فلو أن الذين معك قد ألزموك بحق أن تفعل ذلك، وفي جهلهم أساءوا للنظام الكنسي، كان من واجبك أن تسلك حسب النظام وتكتب إلينا ليكون تصرُّفك لائقاً.

إن كان البعض قد حرَّضك لكي تصدِّقهم أكثر منا .. **فإننا نقول لك بأنه كان يلزمك أن تستشير الأب الأول (بطرس) وتأخذ منه تصريحاً.**

*إن عدم مُبالاتك بهذا كله، تاركاً العنان لنفسك في تكهُّنات كثيرة، مُتجاهلاً كل اعتبار لنا .. **خلقت انقسامات بتصرُّفاتك التي لا مُبرِّر لها**، مُعطياً لنفسك حق السيامات، الأمر الذي أحزن الكثيرين ..*" (٩٠).

ألكسندروس: إن هذه الرسالة المؤثرة التي حملت روح الحُب والرَّجاء الحار لميلتيوس لم تؤثِّر فيه، ولم يسعَ للقاء البابا بطرس لتصحيح الأخطاء التي سقط فيها، إنما تمادى في غيه، حتى أنه جاء إلى مدينتنا وصار يتصرّف كيفما يشاء، ويُقيم أساقفة وقسوس، وكأنه الأسقف البديل الشرعي في غياب قداسة البابا، ولم يحترم غيبة البابا، ولهذا كتب "**قداسة البابا بطرس**" للآباء الأساقفة:

"*من بطرس إلى إخوته المحبوبين، المتأسسين في الإيمان بالله، سلام من الرب.*

لقد جاءت تصرُّفات مليتوس ضد المصلحة العامة تماماً، إذ لم يقتنع برسالة الأساقفة القديسين الشهداء، بل اقتحم إيبارشيتي عاملاً بذلك على سحب الكهنة والموكلين بخدمة الفقراء من طوعي، مؤكِّداً رغبته في الرئاسة، بسيامة كهنة في السجن يكونون تابعين له.

احذروه، ولا تدخلوا معه في شركة حتى ألتقي به في صحبة بعض الحكماء المُتزنين المُتعقِّلين ونرى ما يصبوا إليه. وداعاً " (٩١).

أرشيلاوس: ولا ننسى أن "**قداسة البابا بطرس**" عقد مجمعاً مع بعض الآباء الأساقفة، وحكم المجمع بتجريد "**ميليتوس**" من رتبة الأسقفية، ولكن كما هو متوقع لم يلتزم ميليتوس بقرار المجمع، ولا كفَّ عن تصرُّفاته، فقد سام حتى الآن أكثر من خمسة وعشرين أسقفاً ومئات من الآباء الكهنة.

ميناس: عندما أظهر بابانا الحبيب تعاطفه مع الذين ضعفوا في الاضطهاد الشرس وتزعزع إيمانهم، أخذ ميلتيوس يشيع أن الذي تعمّدوا واستناروا وسقطوا لا يمكن تجديدهم.

أرشيلاوس: لقد أوضح قداسة البابا معنى قول الإنجيل: "**لأن الذين استُنيروا مرّةً، وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شُركاء الرُّوح القُدُس، وذاقوا كلمة اللّه الصالحة وقوّات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدُهُم أيضاً للتوبة**" (عب٦ : ٤ ـ ٦) فالإنجيل لم يقصد أن الذين جحدوا الإيمان تُرفض توبتهم لأنهم جنود خونة جبناء كقول ميليتوس، إنما الإنجيل أوضح أن هؤلاء لا يمكن تجديدهم، أي لا يمكن أن تعاد معموديّتهم، لأن المعمودية تتمّ مرّة واحدة على مثال

موت السيد المسيح الذي مات مرّة واحدة وقام .. إن "**ميليتوس**" لم يشفِق على تلك النفوس التي خارت في الطريق، أمّا البابا بطرس فراح يقوّي ويُشجِّع تلك النفوس الخائرة على استكمال المسيرة والمشوار في درب الصليب والملكوت .. فهو تعلّم من سيِّده أن ***فتيلة مُدخِّنة لا يُطفئ وقصبة مرضوضة لا يقصف.***

ألكسندروس: لقد ثبت كثير من المسيحيين أمام الاضطهادات المُرّة، ولكن البعض تزعزع إيمانه .. كتب أحدهم: "*أمام هذه الحملة الغاشمة تزعزع ثبات بعض المسيحيين، فشاركوا في التضحيات الوثنية اتقاء للعذاب. وقد كان مسلك هؤلاء موضع خلاف كبير بين المسيحيين فيما يتعلّق بتوبتهم بعد ذلك. ولكن بعضاً آخر من الرجال والنساء واجه الاضطهاد بثبات، وتحمّل العذاب المرير من ضرب بالعصي وسحل للعين وجر فوق حصى الشوارع إلى خارج المدينة*" (٩٢).

وبينما رأى البعض مثل "**ميلتيوس**" أن توبة هؤلاء الذين أنكروا الإيمان وضحّوا للأوثان لا تُقبل، ورأى البعض يجب إعادة معموديّتهم، فإن "**قداسة البابا بطرس**" أوضح أن لا هذا الرأي ولا ذاك يتّفق مع مبادئ الإنجيل الذي يُعلِّمنا أن

الخطيئة الوحيدة التي لا تُغفر هى التجديف على الرُّوح القُدُس أي عدم التوبة، كما يُعلِّمنا الإنجيل أن المعمودية واحدة لأنها شركة مع المسيح في موته وقيامته، والسيد المسيح مات مرة واحدة لا أكثر، ولمّا قرُب عيد القيامة (سنة ٣٠٦م) تقدّم كثير من الذين جحدوا الإيمان إلى البابا بدموع وإلحاح يطلبون منه أن يحلّهم من خطيتهم ويقبلهم في الكنيسة المُقدَّسة وفي محبته الأبويَّة.

فوضع "**قداسة البابا بطرس**" عدة قوانين تُعالِج توبة هؤلاء الراجعين إلى حظيرة الإيمان:

١ - جميع الذين زلُّوا في بداءة الاضطهاد لشدة ما قاسوه من العذاب، ثم أظهروا توبة وندامة في أثناء الثلاث سنوات الماضية يجوز قبولهم في الكنيسة في يوم العيد الآتي، وذلك بعد أن يصوموا أربعين يوماً صوماً عنيفاً.

٢ - جميع الذين عثروا في إيمانهم لداعي سجنهم فقط دون أن يُعذبوا عذاباً شديداً، يجب أن تُعطى لهم سنة كاملة فيها يُظهرون التوبة الحقيقية قبل قبولهم في حضن الكنيسة.

٣ - كل الذي ارتدوا عن الإيمان لمجرد الخوف والوهم فقط ولم يذوقوا عذاباً تعطى لهم أربع سنوات ليبرهنوا فيها على التوبة والندامة.

٤ ـ جميع الذين ارتدوا ولم يعودوا يطلبون التوبة والانضمام إلى الكنيسة فلا يوجد قانون لهم، بل بالحري على الكنيسة أن تبكيهم وترثى لحالهم.

٥ ـ الذين نجوا من العذاب أو الموت لتظاهرهم بالبله أو الصرع أو أي حيلة أخرى تمنح لهم مهلة ستة شهور فيها يكفِّرون عن سيئاتهم.

٦ ـ العبيد الذين أجبرهم مواليهم للتقدُّم للمحاكمة عِوضاً عنهم ثم سقطوا في هذه التجربة ينبغي أن يُبرهنوا على توبتهم بأعمالهم في بحر سنة.

٧ ـ الموالي الذين فعلوا ما تقدّم تُفرض عليهم ثلاث سنين توبة.

٨ ـ جميع الذين عثروا ثم عادوا فأصلحوا خطأهم حالاً بأن قدّموا أنفسهم للسجن والعذابات يجب قبولهم في عضوية الكنيسة بدون فحص أو قصاص.

٩ ـ كل الذين قدّموا أنفسهم للأخطار طوعاً واختياراً دون أن ينتظروا إلقاء القبض عليهم أو يصبروا حتى يرى ما يحل بهم، لا تصح محاكمتهم ومقاطعتهم بل يكتفي بتذكيرهم بأن المسيح ورسله لم يعملوا هكذا ولم يلقوا بأنفسهم في التهلكة. أمّا الذين سقطوا من هذه الفئة المُشار إليها فإذا كانوا من

الإكليروس الذين طلبوا العودة إلى حضن الكنيسة فلا يجب قبولهم في الوظائف الكهنوتية ثانية، بل يُقبلون كأعضاء في الكنيسة فقط.

١٠ ـ أولئك الذين أنكروا حيثياتهم وأشخاصهم لأجل تشجيع الآخرين وتقوية إيمانهم في أوقات الاضطهاد أتوا عملاً حسناً فلا لوم عليهم ولا تثريب.

١١ ـ جميع الذين افتدوا أنفسهم بدراهم دفعوها فداء عنهم فلا يلامون قط.

١٢ ـ لا شيء على الذين نجوا بواسطة هربهم من الموت ولا قصاص عليهم.

١٣ ـ جميع الذين أُجبروا لكي يذبحوا للأوثان والذين أفقدهم العذاب شعورهم وإحساسهم فأصبحوا لا يدركون، يجب اعتبارهم في درجة الذين اعترفوا بالمسيح تماماً ما داموا فعلوا ما فعلوه بدون إرادتهم، فإذا كانوا من الإكليروس يعادون إلى وظائفهم كما كانوا" (٩٣).

ديمتري: بالرغم من أن الميلتيين يرفضون الفكر الأريوسي، إلاَّ أنهم يتعاطفون معهم لمُجرَّد أنهم ضد قداسة البابا بطرس.

الفصل الثاني عشر: من الهيجان للنيران

في ٨ مايو سنة ٣١١م احتفل الشعب المسيحي بالإسكندرية مع قداسة البابا بطرس في كنيسة بولكاريا بعيد كاروز الديار المصرية، فازدحمت الكنيسة جداً، وكأن الكنيسة تنعم بسلام تام بينما الاضطهاد على أشدّه .. عجباً إن الاضطهاد لم يعُد يُرهِب الإنسان المسيحي بل قد زاده شجاعة أضعافاً مُضاعفة، ولم يعُد الموت مُخيفاً يفرض سطوته وجبروته على أبناء النور، إنما صار ضعيفاً ضعيفاً، مطروحاً تحت أقدام الشهداء، وقد فقد بريقه وبهت لونه.

وتحدّث "**قداسة البابا بطرس**" وأفاض عن حياة وكرازة واستشهاد مارمرقس، وامتزجت كلماته بمشاعره الفيّاضة، فأخذ يُناجي "**مارمرقس**" ويشركه في الأحداث ويلتمس منه مُضاعفة الصلوات ليرفع الله الاضطهاد عن شعبه ويُقرِّر له سلامه، وأحسَّ الشعب أن البابا وهو يحكي عن استشهاد سلفه الأول يحكي وكأنه شاهد عيان للحدث لحظة بلحظة، فعاش الشعب مع مارمرقس الذي كَرز ليس بكلماته فقط، بل بدمه أيضاً، وما أقوى كرازة الدم ؟! .. لقد علَّمنا "**مارمرقس**" بحياته وسيرته قبل أن يُعلِّمنا بكلماته وتعاليمه.. عاش

الشعب ساعات القبض على مارمرقس، وسحله في شوارع الإسكندرية في اليوم الأول والثاني، وظهور السيّد المسيح له المجد له، كما أحسُّوا بمدى الصلة الوثيقة التي ربطت "**البابا بطرس**" بشفيعه "**مارمرقس الرسول**"، ومدى لهفته على لقاء حبيبه، وكأنه يقول له: "*أمَا آن الأوان لأستريح في أحضانك يا أبي وشفيعي ومُعلِّمي؟!*" .. وأخذ يوصيه من أجل أرواح أولاده الشهداء الذين انطلقوا من الرّبوع المصرية ألوف ألوف وربوات ربوات، ويوصيه من أجل أُسَر الشهداء، ومن أجل المُعترفين، ومن أجل الذين في السجون يستعدون للاستشهاد، وكانت لكلمات البابا بطرس وقعها القوي على أذان الشعب السكندري فعاشت الكنيسة مشاعر الاستشهاد، وقد زهدت هذه النفوس أهواء العالم وإغراءاته وشهواته ومجده العاطل الباطل.

وفي المساء توفّرت فرصة رائعة للأصدقاء في جلسة خاصة مع أبيهم الروحي البابا بطرس، فهو المُهتم بهم سواء في حضوره أو في غيابه، ورسائل البابا لتلميذيه لم تنقطع طوال فترة غيابه عن كرسيه.. اطمئن البابا إلى أحوالهم وهو يعلم جيداً المشكلة الإيمانية التي يُعاني منها "**ديمتري**" الذي لم يَستَطِع أن يقبل الإيمان المسيحي للآن، فهو ليس في

بساطة أُمّه وأخواته اللواتي نلنَ سرّ العماد المُقدَّس سريعاً، وقرأ قداسة البابا فصل من رسالة مُعلِّمنا بولس الرسول إلى أهل رومية (رو ١١: ١١ ـ ٢٤) وأدرك "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**" أن البابا يريد أن يرفع من معنويات "**ديمتري**" الذي يشعر أحياناً بالدونية، وتساءل قداسة البابا: "*ماذا يريد أن يقول لنا الرسول بولس؟!*".

وصمت الجميع العارف وغير العارف، ففي حضرة قداسة البابا لا يتكلَّم إلاَّ من يُطلب منه الكلام بالاسم، وعندما يتكلَّم لا يستفيض في الكلام، فقط يذكر ما قل ودل، فهذه هى أداب التلمذة في المسيحية، وهكذا جيل يُسلِّم جيل.. بدأ قداسة البابا يشرح قصد الرسول قائلاً:

يا أبنائي عندما بدأ الإيمان المسيحي في أورشليم، انتشر بين اليهود أولاً، فكان مُعظم المؤمنين في الكنيسة الأولى من اليهود، وعندما انتشر الإيمان بين الأمم، فاق عدد الذين قبلوا الإيمان من الأمم إخوانهم من اليهود، ولهذا كتب بولس الرسول للمؤمنين من أصل أُممي مثلنا، يدعوهم للتواضع وعدم التفاخر على اليهود، لأن اليهود هم أصل ***شجرة الزيتون****، فهم الذين نالوا* " **التبنّي والمجدُ والعهودُ والاشتراع والعِبادةُ والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد،**

الكـائن علـى الكـل إلهـاً مُباركـاً إلى الأبـد. آمـين. " (رو ٩ : ٤، ٥)

فالإنجيل يُعلِّمنا أن لا نحتقر أحداً .. ألم يكن رُسل ربنا يسوع المسيح جميعهم من اليهود ؟! فهُم إذاً يمثِّلون شجرة الزيتون اللذيذة. أمَّا نحن الذين كُنا قبلاً من الأمم فإننا نمثِّل ***شجرة بريّة*** *بلا دسم ولا طعم ولا رائحة، فماذا فعل رب الكرم؟ ..*

أخذ أغصان هذه الشجرة البرّية وطعَّمها في شجرة الزيتون، فهل تفتخر هذه الأغصان البرّية على أصل الشجرة، أقصد هل يفتخر الأمم على اليهود ؟ .. كلاَّ ..

"فإن كان قد قُطِع بعضُ الأغصان، وأنت زيتونةٌ برّيَّةٌ طُعِّمتَ فيها، فصِرتَ شريكاً في أصل الزيتونةِ ودسمها، فلا تفتخر على الأغصان. وإن افتخرتَ، فأنت لستَ تحمِلُ الأصلَ، بل الأصلُ إياكَ يحملُ! فستقول: قُطِعَتِ الأغصانُ لأُطعَّم أنا. حَسَناً! من أجل عدم الإيمان قُطِعَتْ، وأنت بالإيمان ثبَتَّ. لا تستكبر بل خَفْ! لأنه إن كان اللَّه لم يُشفِقْ على الأغصانِ الطبيعيةِ فلعلَّهُ لا يُشفِقُ عليك أيضاً " (رو ١١ : ١٧ ـ ٢١).

لقد ضرب "**قداسة البابا بطرس**" عصفورَيْن بحجر واحد، فازداد تلميذيه اتضاعاً ومحبّة لديمتري، وديمتري ضربه قبله إذ وقف أمام الحقيقة، إنه أصلاً غُصناً في شجرة الزيتون

الحيَّة اللذيذة، ولكنه تعرَّض للقطع بسبب عدم الإيمان، وما هو مصير غصن مقطوع سوى أن يجفّ ويُحرَق بالنار؟!.. ولاحظ قداسة البابا مدى تأثر ديمتري العميق، ولكن هذا واجبه في إنذار ابنه، وأكمل البابا حديثه عن الرَّجاء الذي لنا في الله، فهو رجاء من لا رجاء له، مُعين من لا عون له، عزاء صغيري القلوب، ميناء الذين في العاصف، فقال:

انظروا يا أولادي أن الخلاص ليس عملية مُنفردة يقوم بها الإنسان بمفرده، إنما الله شريك أساسي في عملية الخلاص .. هو المسئول الأول عن خلاصنا، هو الذي سعى نحو خلاصنا ونحن في الوحل: **"إنْ كُنَّا ونحن أعداءٌ قد صولِحنا مع اللّه بموتِ ابنهِ، فبالأَوْلى كثيراً ونحن مصالحون نخلُصُ بحياتهِ"** (رو ٥ : ١٠) *وإن لم تشمل المعونة الإلهيَّة الإنسان فلن يخلُص* **" ليس أحدٌ يقدِر أن يقول: يسوعُ ربٌّ إلاَّ بالرُّوح القُدُس"** (١كو ١٢ : ٣).

وهنا استراحت روح ديمتري وهدأت نفسه، وأخذ يلتمس من الله عبر صلوات سهمية قويّة، أن يَعبر به هذه العثرة ***{يهوه يصير عبداً !! .. يهوه يُشتم ويُضرب ويُهان ويُعرّى ويُصلب ويموت !!}*** .. وأخذ يلتمس من يهوه أن يَعبُر به من العقلانية المَحضة إلى العقلانية التي تقبل عمل الإيمان.

ألكسندروس: يا أبي إن صورة المرأة السريانية زوجة سقراط وابنيها فاليريوس وفاريانوس لا تفارق ذهني.

البابا بطرس: كم هم سعداء هؤلاء الشهداء في سماء المجد مع أمنا العذراء مريم وأرواح الشهداء والقديسين.

ميناس: سمعت عن زوجة سقراط وولديْها .. كنت أودّ أن أعرف شيئاً عن هؤلاء الشهداء الأطهار.

وأمام إنشغالات البابا التي لا تنقطع، قال لتلميذه:

يا ليتك يا أرشيلاوس تحكي قصة هؤلاء الشهداء لميناس وديمتري، فأنت كنت مُعايناً الأحداث منذ البداية ..

وبارَك البابا الأصدقاء وانصرف إلى مسئولياته الجسيمة في هذه الأيام العصيبة.

وفي ركن من القلاية البطريركية أكمل الأصدقاء جلستهم الرائعة، وكان على التلميذ أن يؤدِّي الواجب المُكلَّف به من قِبَل مُعلِّمه، فجلس يحكي لميناس وديمتري ما كان من قصة المرأة السريانية، بينما انشغل ألكسندروس في بعض شئون الخدمة (ولك يا صديقي أن تتأمّل في هذه الخدمة الفردية التي كانت تشغل ذهن قداسة البابا).

أرشيلاوس: في الصباح الباكر يوم أحد التناصير منذ نحو شهر أو أكثر جاءت امرأة شابة سريانية معها طفلْين

جميليْن، وأخبرتني أنها جاءت من أنطاكية وتود لقاء البابا، وعندما سألتها عن سبب اللقاء، قالت: أريد من قداسة البابا أن يُعمِّد طفليَّ، فسألها عمّا إذا كان لها طلبات أخرى، فأجابت بالنفي، فطلبت منها الانتظار، فإن قداسة البابا سيُعمِّد اليوم عدداً كبيراً من الأطفال في هذا الصباح المُبارَك، وأخبرتها بأنها يمكن تقديم طفليها مع بقيّة الأطفال لتعميدهما.

وجاء "**قداسة البابا بطرس**" مُبكِّراً إلى هذه الكاتدرائية، كاتدرائية العذراء مريم ذات الألف عمود، واستقبله الآباء الكهنة مع الشمامسة بالألحان، فسجد قداسته بمهابة أمام الهيكل ثم اتجه نحو جُرن المعمودية في الجهة الشمالية الغربية من الكنيسة، وبدأ يُصلِّي على مياه المعمودية يستدعي روح الله القدوس ليقدّسها ويمنحها قوة الولادة الجديدة، ولفت نظره ابني المرأة السريانية فهما في نحو الرابعة والخامسة من عمرهما، وهمستُ في أذن قداسة البابا أخبره بأن أمهما جاءت من أنطاكية لعمادهما، وصلى قداسة البابا صلاة التحليل للأمهات بما فيهن المرأة السريانية:

" يا سيدنا نطلب ونتضرَّع إلى صلاحك عن إمائك هؤلاء اللاتي حفظن ناموسك، وأكملن وصاياك، واشتهين أن يدخلن

إلى موضع قدسك، ويسجدن أمام هيكل قدسك، مشتاقات إلى التناول من أسرارك المحيية. نسأل ونطلب إليك أيها الصالح محب البشر. بارك عبداتك وحاللهن وطهّرهن ..".

وخلعت الأمهات ملابس أطفالهن، وبدأ البابا يدهن كل منهم بزيت العظة:

"أدهنك يا "فاليريوس" بإسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. زيت عظة "لفاليروس" في كنيسة الله الواحدة المُقدَّسة الجامعة الرسولية. آمين".

ثم بدأ قداسة البابا يدهن قلبه ويديْه وهو يُصلِّي:

" هذا الزيت يبطل كل مقاومة المُضاد. آمين".

والصلوات تتصاعد من الإكليروس والشعب .. صلوات نقيّة حارة وقويّة، ولا سيما من مئات الأشخاص من أُسَر الشهداء الأبطال الذين لم يَقدر الموت على أن يفصل أحد منهم عن الكنيسة .. **الكنيسة أُم الشهداء أُم ولود .. إنها سماء، وما أجملها من سماء!!** .. عشرات من الأطفال المسيحيين، وعشرات من الرِّجال الموعوظين والسيدات الموعوظات الذين تركوا عبادة الأوثان، وقبلوا الإيمان المسيحي، اليوم ينالون الصبغة المُقدَّسة، وينضمون لشعب الله المُقدَّس، وهوذا لحظات وتُسجَّل أسماؤهم في سجل

الملكوت، ونظرتُ للمرأة السريانية فإذ وجهها يفيض بالتهليل والحبور وقلبها يرقص فرحاً وتتصت بمخافة للصلوات المُقدَّسة أثناء الدهن بزيت العظة:

"*أنت دعوت عبيدك هؤلاء باسمك القدوس المُبارَك. اكتب أسماؤهم في كتابك واحسبهم مع شعبك وخائفيك .. أنت الذي دعوت عبيدك هؤلاء الداخلين من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن الضلالة إلى معرفة الحق، ومن عبادة الأوثان إلى معرفتك يا الله الحقيقي ..*".

ووقفت الأمهات يحملن أطفالهن على أياديهن اليسرى يتجهن للغرب، ويتبعهن الرِّجال الموعوظين والسيدات الموعوظات يرفعن أيضاً أياديهن اليسرى، وكلهم يجحدون الشيطان ويرددون وراء قداسة البابا:

"*أجحدك أيها الشيطان، وكل أعمالك النجسة، وكل جنودك الشريرة، وكل شياطينك الرديئة، وكل قوتك، وكل عبادتك المرذولة، وكل حيلك الرديئة والمُضلة، وكل جيشك، وكل سلطانك، وكل بقيّة نفاقك، أجحدك. أجحدك. أجحدك*".

ونفخ "**قداسة البابا**" في وجه كل واحد منهم ثلاث مرات وهو يقول:

"*أخرج أيها الروح النجس*".

ثم اتجهت الأمهات حاملات أطفالهن للشرق يرفعن أيديهن اليمنى، ويعترفون الاعتراف الحسن، ويرددون وراء قداسة البابا بطرس:

"*أعترف لك أيها المسيح إلهي، وبكل نواميسك المُخلِّصة، وكل خدمتك المُحيية، وكل أعمالك المُعطية الحياة.*

أؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، والروح القُدس المُحيي، وقيامة الجسد، والكنيسة الواحدة الوحيدة المُقدَّسة الجامعة الرسولية. آمين".

وأخذ البابا يسأل كل أم: "*هل أمنتِ على هذا الطفل؟*".

ويسأل كل موعوظ، وكل موعوظة: " *هل آمنت* " ..

وتأتي الإجابة "*آمنتُ*".

وأمسك قداسة البابا بزيت الغاليلاون وأخذ يرسم قلب وذراعي وقدام قلب كل طفل قائلاً:

"*أدهنك يا "فاريانوس" بدهن الفرح، مُضاداً لكل أفعال المضاد لتُغرس في **شجرة الزيتون اللذيذة**، كنيسة الله المُقدَّسة*".

وبدأ قداسة البابا يتابع الصلوات وقرأ الشمامسة الرسائل البولس والكاثوليكون والابركسيس ورتّلوا المزمور والإنجيل، وبدأ قداس المعمودية، ونفخ البابا في ماء الحميم ثلاث مرات قائلاً:

"قدّس هذا الماء وهذا الزيت ليكونا لحميم الميلاد الجديد. آمين.

حياة أبدية. آمين.

لباس غير فاسد. آمين.

نعمة البنوة. أمين.

تجديد الروح القدس. آمين.

لأن ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي نزل إلى الأردن وطهّره شهد قائلاً: إن لم يولد أحد من الماء والروح لا يستطيع أن يدخل ملكوت الله. وأيضاً أمر تلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم.. الخ".

وجاء في الصلوات أحداث عبور بني إسرائيل إلى البحر الأحمر، وتفجير الماء من صخرة صمّاء، وذبيحة إيليا، وشفاء نعمان السرياني بنزوله في نهر الأردن. وانتهى قداس المعمودية بالتسبيح بالمزمور ١٥٠ ..

لقد أطال "**أرشيلاوس**" في الحديث على طقس المعمودية عن قصد، وهو تشويق "**ديمتري**" لليوم الذي سيُعمّد فيه، وليكن مُتفهماً كل خطوة ستتم في الطقس، ثم أكمل "**أرشيلاوس**" حديثه قائلاً:

ويدأ "**قداسة البابا بطرس**" في تعميد الأطفال، فأمسك بفاليريوس وإذ بأمر عجيب يحدث، لم يحدث من قبل، ولا أظن أنه سيحدث فيما بعد .. لقد انثنيتا رجلي فاليريوس، ولم تنفذ قدماه الصغيرتان في الماء، لأن الماء صار مثل الثلج، ووقفنا جميعاً مشدوهين، وقداسة البابا بفطنة ترك فاليريوس وأخذ طفل آخر وغطّسه في الماء، فإذ بالماء ينحل ويعود إلى طبيعته الأولى، ثم أمسك بفاريانوس ليُغطِّسه، وإذ بالماء يصير مُصمَداً كالثلج، فتركه وأمسك بطفلة أخرى فعمّدها .. فأدرك أن هناك سرّ تخفيه هذه المرأة السريانية، فطلب منها أن تنتظره بعد القداس.



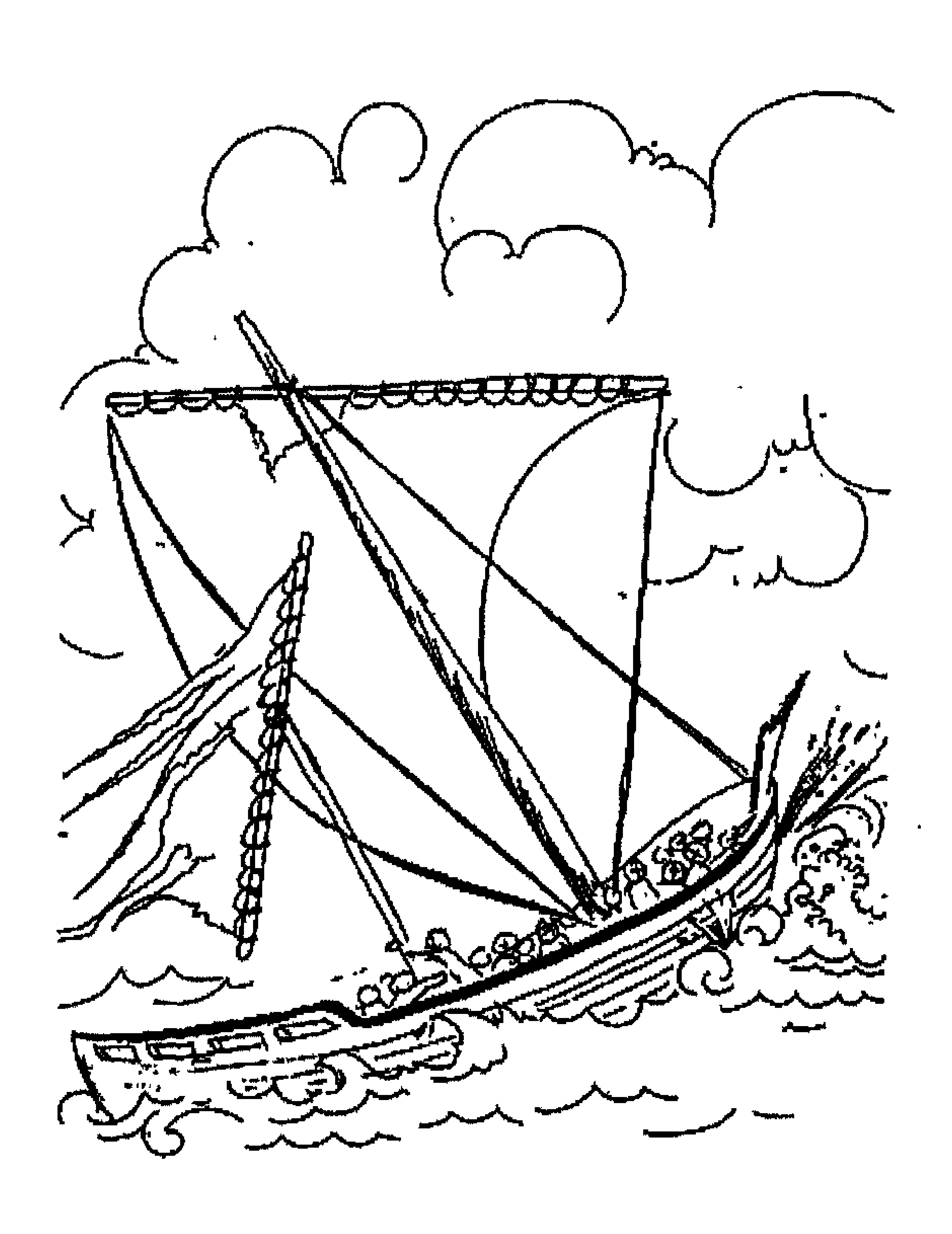
وبعد انتهاء صلوات القداس الإلهي، وتناول المُعمّدين الجُدُد مع بقيّة الشعب من الأسرار المُقدَّسة، ولم تجرؤ هذه المرأة السريانية على الاقتراب من الأسرار المُقدَّسة لا هى ولا ابنيها فاليريوس وفاريانوس، وزفَّ الشمامسة المُعمَّدين وارتسمت البسمة على كنيسة مُتألمة جريحة. ثم استدعى البابا هذه السيدة وسألها: "*ما هى حكايتك يا ابنتي؟ أشعر أن هناك سرّاً وراء قصتك*".

أمّا هى فسجدت أمامه بمهابة وقالت: سامحني يا سيدي وحاللني .. أنا امرأة مسيحية، وزوجي سقراط يعمل في البلاط الملكي ..

بالرّغم من أنه كان صديقاً للشهيد العظيم أبادير وإيرائي أخته، إلاَّ أنه ضعف وأنكر الإيمان .. أردت أن أُعمِّد طفليَّ في أنطاكية فلم أتمكّن بسبب الاضطهاد الشديد الذي يسود مدينتنا .. طلبت من زوجي أن نأتي إلى الإسكندرية فأخبرني أن للملك عيون في كل مكان .. وفي أحد الأيام أخذت طفليّ واتجهت إلى شاطئ البحر، لا أعرف ماذا أفعل، ولا أين وجهتي، فقط كنت أُصلِّي وأطلب من إلهي أن يرشدني، وإذ ترامى إلى أذاني أن هناك مركباً ستقلع حالاً

إلى الإسكندرية، وعلى الفور استأذنت ربانها ودفعت أجرتي واستقليت المركب مع طفليَّ دون أن أخبر أحداً.

وعندما دخلت السفينة للإعماق وقطعت مسافات طويلة، وإذ بنوء قوي وهيجان عظيم يحدث، وإذ المركب تتأرجح وكأنها لعبة صغيرة ..



احتضنت ابنيَّ وصرت في هلع عظيم وصرخت:

*" يا إلهي العارف بأعماق قلبي .. أنت تعلم أني لا أهاب ولا أرهب الموت، لكنني أرتعب من أجل ابني "**فاليريوس**" و"**فاريانوس**" لأنهما لم ينالا العماد بعد.. هوذا اليمّ يبتلعنا ولجج البحر تغطينا .. يا إلهي أنت تعلم أنني من أجلهما تركت زوجي وبيتي وبلدي .. فهلا يهلكان؟! .. أرجوك أرشدني ماذا أفعل".*

وإذ بي آخذ طفليَّ وأُغطّسهما في الماء ثلاث مرات بِاسم الثالوث القدوس، وإذ بي أجرح ثديي وأرشم بدمي ولديَّ .. وإذ بثورة الأمواج تهدأ، ويكُفّ البحر عن هيجانه، وعاد للجو صفائه وجماله، وسارت السفينة في سلام. وفي اليوم الثالث من إبحارنا لمحنا ألسنة اللّهب تتصاعد من الفنار كشمعة مُضيئة في حُجرة مُظلمة تدعونا إلى النور، ورويداً رويداً بدأ يتكشف لنا الفنار العظيم، ورويداً رويداً مع أول ضوء الفجر ظهرت أبنية الإسكندرية وكأنها علب صغيرة تكبر وتتضح معالمها كلما اقتربنا منها، ورويداً رويداً دخلتْ السفينة إلى الميناء، فتركتها سريعاً وجئتُ إلى هذه الكنيسة.

فقال "**قداسة البابا بطرس**": *ليتشدّد قلبك يا ابنتي .. لا تخافي فإن الرب معك .. في الوقت الذي جرحتِ ثديكِ*

ورشمتي ابنيكِ بدمكِ، فإن الله الكلمة المُتجسد صلَّب بيده الإلهيَّة على ولديكِ وهو الذي عمَّدهما .. حقاً يا ابنتي إن ***المعمودية واحدة****، وقد احتسبت السماء معموديتكِ لابنيكِ في وقت الخطر صحيحة، فهكذا علَّمنا الإنجيل وعلَّمتنا الكنيسة* "ربٌّ واحدٌ، إيمانٌ واحدٌ، معمودية واحدة" (أف ٤ : ٥).

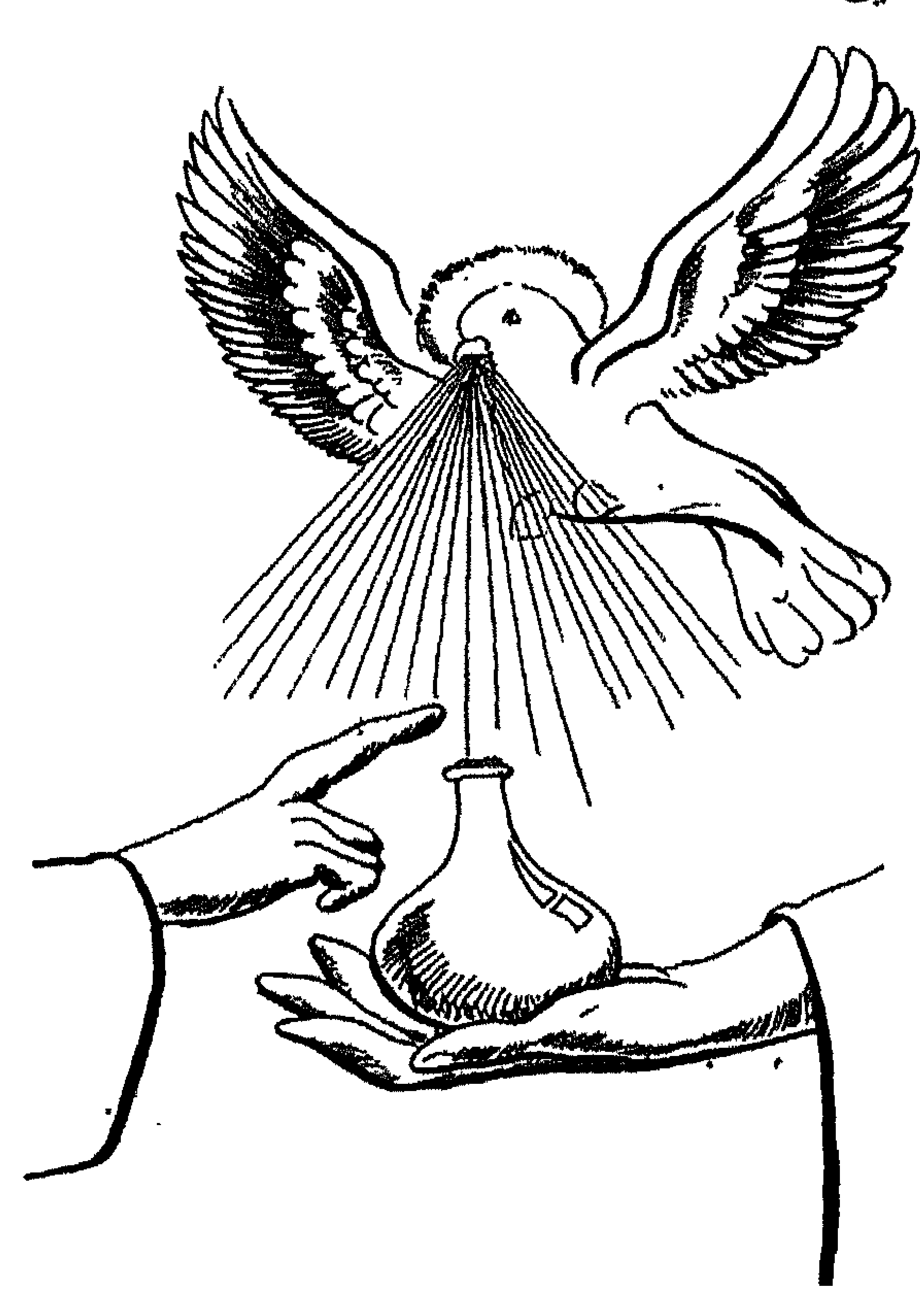
فـي جـرن المعموديـة	**زي الحجر صارت الميـة**
الصبغة واحـدة بإيمـان	**مثـال صـليب الـديان**

وأمسك "**قداسة البابا بطرس**" بقارورة زيت الميرون المُقدَّس ليتمّم سرّ التثبيت لفاليريوس وفاريانوس، وإذ بيد البابا تستضيء بنور سماوي، فإن حمامة نورانية، أو قل أن النور اتخذ شكل حمامة ظهرت أعلى قارورة الميرون .. حقاً إن سرّ الميرون هو سرّ حلول الرُّوح القُدُس داخل الإنسان المولود ولادة جديدة من الماء والروح، وقال: "**قداسة البابا**" للمرأة السريانية:

*" إن "**فاليريوس**" و"**فاريانوس**" سيكون لهما شأناً عظيماً ومستقبلاً باهراً".*

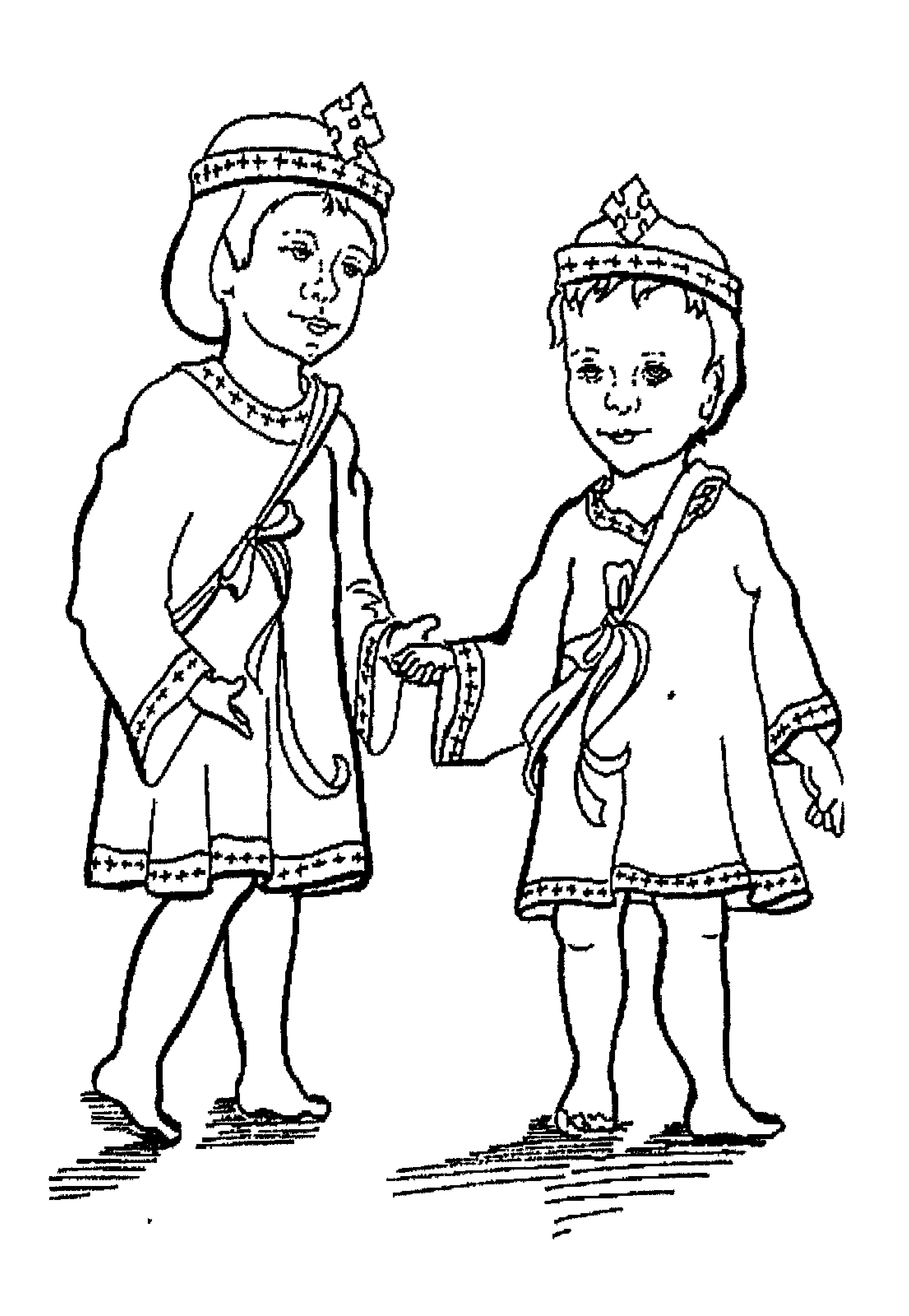
فقالت المرأة المُبارَكة: "*بصلواتك يا سيدنا* ".

وأردف "**أرشيلاوس**" قائلاً: "وفعلاً تحقَّقت نبوة "**قداسة البابا بطرس**" إذ صار لابني سقراط وأمهما شأناً عظيماً ومستقبلاً باهراً في ملكوت السموات.. كيف؟ .. هذا ما سنراه بعد قليل.



وبعد أن رشم "**قداسة البابا بطرس**" الأخّان، كل منهما ٣٦ رشماً، ثمانية رشومات للرأس، وفتحتي الأنف، والفم، والعينين، والأذنين، وهو يُصلِّي: "*بِاسم الآب والابن والروح القدس. مسحة نعمة الروح القدس. آمين*"، ثم أربعة رشومات للقلب والسُّرّة والظهر والصُلب وهو يُصلِّي: "*مسحة عربون ملكوت السموات. آمين*"، ثم ستة رشومات لكل يد، وهو يُصلِّي: "*دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة. آمين.. مسحة مُقدَّسة للمسيح إلهنا، وخاتم لا ينحل. آمين*"، وأخيراً ستة رشومات لكل رجل، وهو يُصلِّي: "*كمال نعمة الروح القدس، وزرع الإيمان والحق. آمين .. أدهنك يا "فاليريوس" بدهن مُقدَّس بِاسم الآب والابن والروح القدس. آمين*".

ثم وضع "**قداسة البابا**" يده على رأسيهما، وهو يُصلِّي: "*تكونان مُباركان ببركات السمائيين، وبركات الملائكة، يباركما الرب* يسوع المسيح، وباسمه" ونفخ في وجهيهما: "*اقبلا الروح القدس، وكونا إناءً طاهراً من قِبَل يسوع المسيح ربنا*". ثم ألبس قداسة البابا كل منهما زناراً (شريط أحمر) مثال الصليب، ووضع على رأس كل منهما إكليلاً، **فلا يوجد إكليل بدون صليب، ولا صليب بدون إكليل.**



وأكمل "قداسة البابا بطرس" الصلوات:

" *بالمجد والكرامة كلِّلهما .. الآب يبارك، والابن يُكلِّل .. والروح القُدُس يُقدِّس ويتمِّم .. اقبلا يا "فاليريوس" و"فاريانوس" الروح القدس، يا من نلتما الصبغة المُقدَّسة .. اقبلا يا "فاليريوس" و"فاريانوس" روح الله الذي يملأكما من المسرة .. اقبلا يا "فاليريوس" و"فاريانوس" الروح المُعزِّي والبركة السمائية من قِبَل مسحة الميرون المقدس أيها الطفلان المُباركان .. لقد صرتما يا "فاليريوس" و"فاريانوس" مسكناً للرُّوح القدس*" وعقب كل مقطع كان الشمامسة يرتِّلون: *أكسيوس .. أكسيوس .. أكسيوس*".

ثم أوصى "قداسة البابا" المرأة السريانية:

" *فالآن .. اعلمي أنك تسلّمتي ولديكِ من المعمودية المقدَّسة الطاهرة الروحانية .. اجتهدي في تعليمهما الكُتب المُقدَّسة وملازمة الكنيسة باكر وعشية، وصومي يومي الأربعاء والجمعة والأربعين المُقدَّسة وكل الأصوام، ولا تمكنيهما من المضي إلى الأماكن غير المرضية كي يحرسهما الرب من التجارب الشيطانية. ازرعي فيهما الخصال الجميلة .. ازرعي فيهما البرّ والتسبيح .. ازرعي فيهما الطهارة .. ازرعي فيهما الطاعة والمحبة والقداسة ..*

ازرعي فيهما الرحمة والصدقة والعدل .. ازرعي فيهما التقوى والصبر والصلاح .. ازرعي فيهما الصدق وكل عمل صالح يرضى الله به. لكي بهذا تحيا نفوسكم ويحيا ابنيكِ".

ثم أكمل "**أرشيلاوس**" حديثه: وبعد ذلك وضع قداسة البابا ميمراً عن مراحم الله التي تتنازل لمستوى الإنسان، وبدأ الميمر بقوله: "أن الله هو الذي يُنزل رأفته على الناس ..".

وأمضت هذه المرأة السريانية وطفليها عدة أيام في ضيافة قداسة البابا، فتذوّقوا الأبوّة والمحبّة الغامرة في شخص قداسة البابا بطرس، فقد أعطاهم من رعايته وعنايته ووقته ما أشبع قلوبهم العطشى، وسمعت المرأة السريانية الكثير والكثير من قصص الشهداء الأبطال المعاصرين، فاشتاقت لإكليل الشهادة، وأخذت تتصوّر نفسها مع طفليها لو أن الله قَبِلهم وحسبهم من مصاف الشهداء .. فكم ستكون سعادتهم !! .. وخلال هذه الفترة صارت صداقة قويّة بين أخي "**ألكسندروس**" وبين "**فاليريوس**" و "**فاريانوس**"، فالحقيقة أن عقليهما أكبر بكثير من عمريهما ..

وبعد عودة هذه المرأة وطفليها إلى أنطاكية حدث أمر مُرعب أدمى قلوبنا .. لقد ظلّ أخي "**ألكسندروس**" أيّاماً تفيض دموعه بلا توقّف .. فقد سمعنا أن سقراط الرَّجُل

قاسي القلب، زوج المرأة السريانية عندما عاد ذات يوم إلى بيته فوجد زوجته وابنيه قد عادوا من السفر، أطلق ضحكته الساخرة، وصاح في زوجته: *أين كنتِ يا سيدة نساء أنطاكية؟* .. ولم ينتظر إجابة لأنه يعلم أين كانت؟ ولماذا؟.. صفعها بكل قوّته، فاختل توازنها من هذه الصفعة الشيطانية، ولكنها استطاعت أن تدير خدها الآخر، فصرخ وكأن به مسّ من الشيطان: أتريدين أن تحرقيني بتنفيذ وصية إلهك ؟!



وترك سقراط بيته سريعاً وهرول نحو قصر الملك، وشكى للملك من زوجته، وسريعاً ما أحضرها الجند لتمتثل أمام الملك.

الملك: أيّتها المرأة المُستحقة الموت .. لماذا تركتِ زوجكِ وسعيتِ إلى الإسكندرية، وزنيتِ مع المسيحيين ؟

الزوجة: إن المسيحيين أُناس أطهار قديسون لا يزنون ولا يعبدون أوثاناً، بل أنهم لا ينظرون مُجرّد نظرة شريرة.

الملك: ولماذا لا تزعنين لزوجكِ ؟! .. ألم يوصيكِ إلهكِ بالخضوع له وطاعته ؟

الزوجة: إنني أطيع زوجي فيما لا يُخالف شريعة إلهي، لأنه "***ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس***".

الملك: إنني أتعجّب .. كيف تعبدون رَجُلاً ضعيفاً صُلِب عرياناً ؟

الزوجة: إنه ليس مُجرّد رَجُل، إنما هو الله الخالق العظيم الذي تجسَّد وتأنس من أجل خلاصنا من الموت الأبدي الذي تسلط علينا .. وإن كان صُلب عرياناً فلكيما يكسونا، وإن كان صُلب ومات وقُبِر، فإنه انتصر على الموت وقام من بين الأموات.

ودار الجدل بين الملك وهذه المرأة الفاضلة المُبارَكة التي أظهرت شجاعة فائقة، فشعر بضعف حُجته، فأصدر أمره القاسي: "*لتُحرق هي وابنيها*".

وتنفّست الأم القديسة الصعداء وكأنها وصلت إلى مبتغاها الذي تصبو إليه، واستضاء وجهها بنور سماوي رائع.

وفي ساحة الاستشهاد كان استعلان شجاعة الشجعان، إذ شدّ الجنود زراعي الأم خلف ظهرها، وربطوا ابنيها على بطنها ووضعوا عليهما الحطب والأخشاب.

فاليريوس: أماه .. أماه .. انظري .. هوذا السماء مفتوحة .. ما أكثر الجنود القادمين إلينا من العلاء ..

الأم: إنهم جيوش الملائكة والقديسين .. إنها المعونة السماوية التي حدّثنا عنها من قبل الأخ "**ألكسندروس**".

فاريانوس: ومن هذه الملكة المُنيرة التي في وسطهم يا أُمّاه ؟

الأم: السلام لكِ يا عذراء، السلام لكِ يا أُمّ النور، اطلبي من ابنكِ ليغفر لنا خطايانا، ويقبلنا إليه في ملكوته.

وسريعاً ما أشعل أحد الجنود النيران فارتفعت ألسنة اللهب عالية، فالوقود ليس مُجرَّد حطب وأخشاب، إنما أجساد بشرية.

وسريعاً ما أسلم الأبطال أرواحهم، وسُمِع في الآفاق صوت شجي لموسيقى سمائية .. إنها تسابيح الملائكة التي حملت أرواح الشهداء الأبطال نحو دهور النور .. بركة هؤلاء الشهداء تكون معنا. آمين.



وهنا جاء "**ألكسندروس**" وإذ أدرك أنهم كانوا يتحدّثون عن "**فاليريوس**" و"**فاريانوس**" وأُمّهما فاضت عيناه بالدموع من جديد.

وتنهّد "**ديمتري**" قائلاً: كثيرون ينالون أكاليل الشهادة، وأنا أشتهي المعمودية ولا أجدها!!

أرشيلاوس: المعمودية قريبة منك جداً يا ديمتري .. ثِق أنه في الوقت المُناسب ستصطبغ بالصبغة المُقدَّسة.

ميناس: هل سمعتم عن إصرار قداسة البابا على عدم الاستجابة لمطالب الشعب؟

ألكسندروس: نعم .. دائماً ترى بابانا الحبيب جالساً على درجات كرسي مارمرقس، وعندما صاح الشعب: "*اجلس على العرش الذي رُسِمت عليه يا رئيس الأساقفة* " .. أومأ للشعب فعاد للهدوء، وبعد انتهاء الخدمة عاتب "**قداسة البابا بطرس**" الآباء الكهنة:

"*أمَا تخجلون أنكم تشتركون مع الشعب في صرخاتهم توبخونني ؟!*

ومع هذا، فإنني أعلم أن مشاعركم لم تصدر من عاطفة الزهو المُفسد، إنما من ينابيع الحُب الخالص، لذلك أكشف لكم سرّ هذا الأمر ..

إننـي كلَّما فكّرت فـي الاقتراب من الكرسـي أرى قـوة الله حالّـة علـى هذا العرش ببهاء عظيم، فتنتابنـي مشاعر الفرح والخوف، وأدرك أنني غير مُستحق علـى الإطلاق للجلوس علـى هذا الكرسـي، ولـولا تخـوّفي مـن عثـرة الشـعب فـإنني بلاشك ما كنت أجسـر علـى الجلوس علـى سلم الكرسـي نفسه".



الفصل الثـالث عشر: وصار السجن سماءً

وفي شهر أغسطس (أول مسرى) سنة ٣١١م، ومع بداية صوم "**العذراء مريم والدة الإله**" أقامت كاتدرائية العذراء مريم ذات الألف عمود نهضة روحية، فأُقيمت القداسات صباح كل يوم والعشيات والعظات مساء كل يوم، واحتشدت الجموع وارتفعت أصوات الترانيم والتسابيح .. **هوذا المسيحيون الشجعان يتحدّون الموت، فلم يَعُد منظر الاستشهاد وسفك الدماء، وذبح الأباء والأبناء أمام أعينهم يهزهم**، إنما كانوا يحيطون بساحات الاستشهاد، يطلقون صلوات سهمية تجاه السماء من أجل المُتقدمين للاستشهاد، ليصلوا بسلام إلى أورشليم السمائية حيث الأحضان الإلهيَّة، والسماء لم تبخل أبداً عن إعلان مساندتها للشهداء، إذ تفتح أعينهم ليعاينوا شيئاً من أمجادها، **وأيضاً تُعين السماء وتعضّد هؤلاء الأبرياء فيحتملون من الألم على قدر طاقتهم، وكل ما زاد عن طاقتهم لا يشعرون به على الإطلاق، لأن سيدهم المصلوب يحملها عنهم ..**

واختلط الاستشهاد بالأمجاد، والموت بالحياة، وهكذا سارت الحياة ولم تتوقف، فالناس هنا في الإسكندرية مدينة

الشهداء المحلّيين والوافدين إليها يعيشون حياتهم في وداعة ورضى وسلام، بل يعيشون أمجد أيامهم، لأن السماء قد انفتحت على الأرض .. حقاً أنه أمر عجيب أن تعيش في مجتمع كهذا، فأبيك أو ابنك الذي يعيش معك اليوم، قد لا يُكمِل اليوم معك، بل يُفارقك سريعاً إلى ساحة الاستشهاد، وينطلق منها إلى السماء، وقد غيَّر عنوان إقامته .. عجيب أن تعيش في حرب عجيبة وصراع غريب كهذا، فهو حرب وصراع من جانب واحد، متُغطرس قوي ومُتجبِّر عنيد، أمَّا الطرف الآخر فالوداعة هي سِمَته وطيبة القلب عنوان حياته.. إنها حياة الحِملان الوديعة التي لا تعرف العداوة، إنما تحب الذئاب وتصلّي بلجاجة من أجلهم، وصلواتهم تُستجاب، حتى أن أعداد المُتنصرين تفوق كثيراً أعداد الشهداء .. انظر كم جذب مارجرجس من نفوس ضالّة وشريدة ؟!.

"إن ذئباً واحداً لو أُلقي بين غنم كثير ولو بلغ عدة آلاف لارتعب القطيع كله رغم عدم قُدرة الذئب على افتراس الكل!! لكن الكل يخافونه .. فأي مشورة، أو أي تدبير، وأيّة قوة هذه حتى لا يبث الله ذئباً وسط الغنم، بل يُرسل غنماً وسط

الذئاب!! .. إنه لا يقترب بهم نحو الذئاب بل في وسط الذئاب.

انظر !! .. لقد كان هناك قطيع من الذئاب وقلّة من الغنم فعندما افترست الذئاب الكثيرة الغنمات القليلة .. تحوّلت الذئاب إلى غنم!!" (٩٤).

وفي قداس عيد العذراء مريم ابتهج الشعب السكندري إذ فرَّح "**قداسة البابا بطرس**" القلوب بسيامة تلميذيه المشهود لهما من الجميع "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**"، فمنحهما نعمة الكهنوت، إذ سامهما قسّيْن على كنيسة الله الجامعة المُقدَّسة بالمدينة العظمى الإسكندرية، باسميّ "**القس أرشيلاوس**" و"**القس ألكسندروس**".

ومرّت أيام قلائل، وإذ جلبة وضوضاء في فناء الكاتدرائية، وأسرع أبوينا أرشيلاوس وألكسندروس يستطلعا الخبر، وإذ بخمسة من كبار الضباط مع جنودهم الرومان في الفناء .. لماذا جاءوا ؟! .. وماذا يريدون ؟! .. وفي لحظات احتشد الفناء بالمسيحيين الذين أسرعوا على عجل يستوضحون الأمر، والأمر العجيب أن هؤلاء الجنود القُساة الذين ترتسم ملامح الشراسة على وجوههم في مأموريتهم هذه يبدو عليهم السلام والاطمئنان الكامل، فهم يثقون ثقة عمياء

أنهم لن يضطرّوا لاستخدام سيوفهم قط، ولن يدخلوا في معركة مع هذا القطيع الوديع. واستفسر "**أبونا ألكسندروس**" بلباقة وأدب جمّ من قائد المهمة عن طبيعة مهمتهم فأخبره القائد بأنهم مُرسَلين من قِبَل الإمبراطور "**ماكسيميان**" لإلقاء القبض على "**البابا بطرس**" أسقف الإسكندرية للأسباب الآتية:

١ـ تحقير البابا بطرس للآلهة، وتحريض الآخرين على رفض السجود لآلهتنا العظيمة.

٢ـ تجرؤ البابا بطرس على إقامة الشعائر المسيحية جهراً.

٣ـ شكوى سقراطيس ضد البابا الذي عمَّد ابنيْه بدون رغبته.

وإذ بباب القلاية البطريركية يُفتح، وإذ بـ "**قداسة البابا بطرس**" يخرج وبيده عصا الرعاية، يرتدي ملابسه وكأنه ذاهب في مهمة رسميّة، وإشراقة جميلة تطلّ على وجهه الوديع، وتقدَّم بهدوء ووقار فحيًّا قائد الجند .. لم يسأله: لماذا أتيت ؟! أو ماذا تريد ؟! بل تصرَّف وكأنه عالِم بكل شيء، إذ قال لهذا القائد: *هيا بنا* ..

وحلّت الدهشة والوجوم على الوجوه، وكأن على رؤوسهم الطير، فالكل فقد القدرة ليس على التصرُّف فقط، بل حتى عن التعبير عمّا يعتمل من مشاعر داخل نفسه .. فما دام البابا سلَّم نفسه بإرادته، فمَنْ يجرؤ أن يُدافع عنه، وجالت نظرات البابا سريعاً بين تلك الوجوه .. إنها نظرات وداع أب عظيم لأبناء عظماء .. يبدو الموقف وكأنك في جنازة مهيبة والمصيبة جَلَل .. الكل يُدرك أن خروج البابا من هذا المكان مع هؤلاء الجنود الرومان يعني أمراً واحداً لا غير، وهو أن قداسة البابا لن يدخل هذا المكان ثانية على قدميْه .. كان من السهل على الحشد أن يعيق هذه القوة الرومانية ويمنح الفرصة للبابا للهرب، لكن ماذا يفعلون إن كانت هذه إرادة البابا ورغبته التي اشتهاها على مدار أعوام طويلة .. إن أحداً من الواقفين لن ينطق ببنت شفّةٍ.

واكتسب "**قداسة البابا بطرس**" إعجاب واحترام ضباط الإمبراطور وجنوده، فلو لم يُسلِّم هذا الرَّجُل الشجاع نفسه لهم ربما لاستحال عليهم تأدية المُهمّة المُكلّفين بها وسط حشد يفيض حُباً ووجداناً تجاه باباه، فكل منهم مُستعد أن يموت عشرات المرات ولا يُسلَّم أبيه للموت، ولا سيما أبوينا "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**"، والبحار المغامر الضابط

"**ديمتري**" الذي توافق وجوده في هذه اللحظات الأليمة، وهو يبدو عليه التوتر، وأنه يبذل قصارى جهده لضبط نفسه، حتى لا يرتكب حماقة، وهو المتمرّن على فنون القتال والمعارك، ممّا يُغضب أبيه الروحي، فظلّ مُلاصقاً للبابا لم يقدِر أحد على زحزحته، وعندما تقدَّم البابا ليعتلي العربة الرومانية التي يجرّها اثنان من الجياد البيضاء المختارة، وضع ديمتري في نفسه أن يُرافق البابا مهما كان الثمن، وأدرك البابا ما يمكن أن يحدث من اشتباك وسفك دماء، وإذ بالبابا يأمر ديمتري: *ابقى هنا يا ابني* ..

فكان هذا أصعب أمر يتلقاه "**ديمتري**" في حياته المدنية والعسكرية، وبصعوبة تفوق الوصف أطاع ..

وما أن جلس البابا في العربة بين جنديّيْن رومانيّيْن مفتولي العضلات حتى أطلق قائد المركبة العنان لجياده لتعبر إلى الطريق الكانوبي الذي يصل بك إلى السجن العمومي على بُعد نحو ثلاثة كيلومترات.. انطلقت الجياد تُسابق الريح، وسط كوكبة من الفرسان، وكأنه موكب إمبراطوري، وأعيُن الكل تتعلّق بالموكب ..

وقف "**ديمتري**" مصدوماً، و"**أبونا أرشيلاوس**" يطلب من الواقفين الدخول إلى داخل الكنيسة ليرفعوا شكواهم للسماء.

أمّا مشاعر "**أبونا ألكسندروس**" فهى كانت مشاعر أليشع ومُعلِّمه يُخطَف منه، وليس له إلاَّ الصراخ الصامت من عُمق القلب "***يا أبي يا أبي .. مركبات إسرائيل وفرسانها***"..

وسريعاً ما طارت الأخبار فعمّت الأرجاء وارتجت المدينة العُظمى الإسكندرية .. منذ أن قُبِض على البطريرك الأول وسُحِل في شوارع الإسكندرية، منذ أكثر من مائتي عام، وحتى البابا بطرس السابع عشر لم يُقَد أحد من الآباء البطاركة إلى ساحة الاستشهاد، ولهذا ارتجت المدينة العُظمى لهذا الحدث الجلل، وتباينت المشاعر، فالذين يعلمون شخصية البابا جيداً، وأن هذه هى رغبته منذ سنوات، سلّموا الأمر لله ضابط الكل، وارتضوا بالوضع القائم، وعلى رأس هؤلاء أبوينا أرشيلاوس وألكسندروس، أمّا البعض الآخر فكان الأمر أصعب من احتمالهم، فصاروا يصارعون مع الله: *لماذا يارب ؟! .. إلى متى ؟! .. أين قوتك وعملك وسط شعبك ؟!* .. وعلى رأس هؤلاء الضابط الصالح "**ديمتري**" وصديقه "**ميناس**" .. وقليل من المسيحيين امتلأت صدورهم بالغضب والثورة العارمة، وجميعهم من الشباب المملوء بالحيوية والغيرة، فأخذ يُنادي أن الحل في المقاومة المُسلّحة للمُستعمر الروماني، فيجب أن يَرحل.

لم تمرّ دقائق قليلة إلاَّ وكان **"قداسة البابا بطرس"** في أعماق السجن العام، وما أن وطأت قدماه السجن حتى ارتج السجن، فمئات من الكهنة والشمامسة والأراخنة الذين سبق القبض عليهم تجمّعوا في غمضة عين، وكأنهم كانوا في انتظار البابا، وإذ هم يقفون مواجهة أمام باباهم الحبيب، تضاربت المشاعر، فالقلوب تهلَّلت فرحاً برؤية باباها، وفي نفس الوقت حلَّ بها الأسى العميق على الراعي الأمين، فمكتوب " ***اضرب الراعي فتتشتَّت الغنم***"، لذلك لم تكُن رغبة أحد منهم أن يرى باباه في هذا المكان ..

أمَّا **"قداسة البابا بطرس"** بوجهه البشوش الوديع فقد أضفى سلاماً على تلك القلوب الواجفة، ورحّب بهم وكأنه في قلايته البطريركية، وطلب منهم الجلوس، فجلس الجميع ولم يعد يُسمَع صوت في المكان ولو همس بسيط، فكل ما يُسمَع هو الصوت الوديع الهادئ صوت البابا بطرس المُحب الذي حمل صورة سيّده الفادي، فأخذ يعظ أولاده ويثبّتهم على الإيمان: ***فجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون، ولم يعد السجن ولا العذابات ولا القتل عقوبة، إنما بركة للأجيال تجدد شباب كنيسة المصلوب من جيل إلى جيل.*** **ثم سُمِع بين جدران السجن**

صوت التسبيح، وتحوّل السجن إلى سماء .. عجباً يا ربي عجباً .. أليس هذا المكان هو مكان اللصوص والمجرمين وسافكي الدماء .. فما بالي أراه قد امتلأ بالنفوس الوديعة البريئة حلوة المعشر، حتى أنه بالحقيقة لم يَعُد هنا مكان لقاتل أو زاني ؟! .. فقد رأت السُّلطات أن المتهم بالمسيحية هو الأولى بالسجن من أي مُجرم آخر، فالمسيحية هى الأشد خطراً على الإمبراطورية الرومانية من أي شر آخر .. فرح الإمبراطور بإيداع أتباع يسوع الوديع الهادئ هذه السجون، وفرحت السماء بهذه النفوس التي تُمجِّد اسم يسوع بما تتحمّله من آلام وعذابات تفوق الوصف شهادة للحق.

وفي مساء هذا اليوم عاد "ديمتري" إلى منزله، وكل مشاعره مُنهمكة بالحدث الجَلَل، وجافى النوم جفونه، فظلّ مُستلقياً على ظهره، بينما حلَّقت أفكاره في الآفاق العالية علو السَّمَوات: ماذا كان يمكن أن يحدث اليوم لو لم يقلْ لي أبي البابا بطرس "*ابقَ هنا يا ابني*" ..

بلا شك أن الجنود كانوا سيتصدّون لي، وبلا شك أيضاً أنني لن أقدر على ضبط نفسي. إذاً الأمر كان سيُحسم بمُجرَّد أن يبدأ، فعدة لكمات من قبضتي وعدة طعنات نافذة

من خنـاجرهم، تسيل دمـائي علـى أعتـاب الكاتدرائيـة، وهوذا المقابر خلف السور الغربي..

حقاً كان هذا شرف لـي حُرِمت منـه فإن كنتُ لا أستطيع فداء أبـي، لكنني أكون قد أخذتُ فرصتي فـي التعبير عن حُبي بدمائي .. لكن لا تنسى يا ديمتري أن إلهك قال: "*رُد السـيف إلـى غمـده فالـذين يأخـذون بالسـيف بالسـيف يؤخذون*" ..

.

ثم تنبه "ديمتري" لكلمة "إلهك" !! .. وحلَّقت أفكاره أعلى وأعلى: *انظر يا ديمتري أن أبيك الصالح البابا بطرس قد فداك من موت مُحقَّق اليوم وذهب إلـى السجن، فلمـاذا ترفض الحب الذي يقود المُحب للتضحية .. يهوه يصير إنسـاناً !! .. ربمـا من أجل الحـب الأبوي .. يهوه يُضرب ويُهان ويُعرى ويُصلب ويموت !! .. ربما من أجل الحب الإلهي الذي قال لي عنه أبي البابا بطرس أنه يفوق الحُب الأبـوي* .. ولحظـات لـم يـدري ديمتـري بنفسـه، إذ نـام نومـاً هادئـاً، فلـم يَعُـد صـوت العقـل يُزعجـه، ويـدأ يسـتريح لفكـرة التجسُّد الإلهي والفداء .. وقال في نفسه : *آه .. لو كان هذا الأمر حقيقة .. فما أجمله وما أعظمه أن يهوه يقترب منـي*

بهذه الصورة .. يصير إنساناً مثلي، ويموت ليفديني، ويقوم ويقيمني معه ..

ومرّت الأيام، والبابا قابع في سجنه، يعمل عملاً جباراً، فقد صيَّر السجن سماء من جهة، ومن جهة أخرى التهبت الكنيسة بأصوام وصلوات قويّة، وسَرت موجة عارمة من الروحانية عمّت الشعب .. صارت السماء مُنفتحة على أرض الإسكندرية، فصارت الإسكندرية بكل أحياءها سماء، لأنه لا يوجد حي واحد من أحياء الإسكندرية يخلو من الشهداء والمُعترفين. وصار أبوينا أرشيلاوس وألكسندروس وسيلة الصلة بين قداسة البابا وشعبه، يحملون له آمال شعبه وآلامهم ويحملون للشعب صلوات البابا ونصائحه الثمينة لهم.

وأرسل والي الإسكندرية للإمبراطور "**مكسيميانوس دايا**" يخبره بأن أوامره المُقدَّسة قد تمّ تنفيذها بالتمام، وهوذا "**البابا بطرس**" أسقف الإسكندرية رَهن السجن، وطلب مشورته، هل يُرسله إليه أم ماذا يفعل إزاءه؟ ..

وفي الإسكندرية تجد شخصاً قلقاً للغاية على حياة البابا ليس بسبب محبّته له، بل بسبب محبّته لنفسه، فهو شخص لا مبدأ له، يظهر غير ما يبطن، ولذلك ادَّعى كذباً أنه عاد

إلـى الإيمـان المُسـتقيم، ويخشـى أن البابـا يستشـهد وهـو غاضـب عليـه، والحقيقـة أنـه كـان يَطمـع فـي سـماحة البابـا ورضـاه عنـه، لأن آمالـه العريضـة وأحلامـه المُتسـعة صـوَّرت لـه أنـه يمكـن أن يكـون البابـا القـادم بعـد استشـهاد البابـا بطرس..

فمـاذا فعل "**أريـوس**"؟ .. لقـد خـدع بعض الآبـاء الكهنـة والأراخنـة مُتمسكناً أمامهم، طالباً وساطتهم لدى البابا ليحلّه من الحُـرُم الـذي سبق وأوقعـه عليـه، ونـجـح هـذا الوفـد فـي الحصول على تصريح جماعي للقاء قداسة البابا في سجنه.

وسـعد الوفـد بلقـاء بقداسـة البابـا .. قبّلـوا يديْـه فـي لهفـة وشوق، وانحنوا أمامـه طالبيـن بركتـه ونصـائحه، ثـم قـالوا لـه: *نحـن نتقـدَّم إلـى قداسـتكم، ونلجـأ إلـى عطفكـم وحنـانكم، ونخضـع لرئاستكم، فقد تحمّلت يا سيدنا الآلام والاغتراب من أجل السـيد المسـيح. حقـاً دعـاك الـرب أيهـا الآب المُثلـث الطوبي لتقبل إكليل الاستشهاد وذلك لسمو إيمانك .. فهل يحـق لنـا أن نطمـع فـي تقـواك كمـا اعتـدنا بـأن تصـفح عـن القس أريوس*".

ومـا أن سـمع الآب البطريـرك اسـم "**أريـوس**" حتـى احتـد

رافعاً يمينه قائلاً: *ليكن أريوس محروماً في هذا العالم وفي الدهر الآتي ..*

ليس له نصيب في مجد ابن الله يسوع المسيح إلهنا ".

فارتعب الواقفون لأنهم لم يتعوّدوا قط من الآب البطريرك الوديع هذه الحدّة، ولم يجرؤ أحد أن يراجع قداسة البابا، أمّا هو فقد انتحى جانباً بتلميذيه القسيسيْن "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**" وكأنه يريد أن يطلعهما على سرّ خطير:

يا أولادي أطلب مِن الرب إله السموات أن يُعينني حتى أُتمِّم شهادتي على اسمه القدوس ..

أنت يا أبونا أرشيلاوس ستأتي بعدي على هذا الكرسي وأبونا ألكسندروس يكون بعدك ..

لا تظنا إني قاسي القلب أو عنيد .. لكن صدِّقوني إن خداع أريوس يفوق كل كُفر ويعلو كل شرّ .. إنني لا أحرمه من ذاتي.. ففي هذه الليلة بعد أن صلّيت ونمت، رأيتُ وكأني واقف في قلايتي أُصلّي، وإذ بصبي يبلغ حوالي الثانية عشرة من عمره دخل فجأة إلى قلايتي .. بهاء وجهه لم أقدر على مُعاينته، إذ أبرق بنور عظيم ملأ القلاية كلها.. كان يرتدي ثوباً كتانياً مشقوق إلى اثنين من الرأس حتى

القدمين، وقد أمسك بيده جانبي الثوب، وهو يضُمهما إلى صدره ليُغطِّي عريه ..

إذ رأيتُ ذلك انتابتني دهشة، ولمّا تمالكت نفسي صرخت: *من الذي شقّ ثوبك يا سيدي ؟*

أجابني: *أريوس هو الذي شقّه، فاحذره تماماً ولا تقبله في الشركة، فإنه سيأتيك بالغد بعضاً يشفعون فيه لديك فلا يرضى قلبك عليه، ولا تحلّه، بل زيده حرماناً .. بالحري أوصِ أرشيلاوس وألكسندروس الكاهنين اللذين يجلسان على الكرسي من بعد رحيلك ألاّ يقبلاه، فإنك سرعان ما تصير شهيداً ..*

والآن، ها أنتما تنظران أنه ليس للرؤيا معنى آخر ..

لقد عرّفتكما بكل شيء، وأخبرتكما بكل ما أُمِرت به، وصار الأمر بين أيديكما تفعلان ما تشاءان في هذا الأمر.. **هذا بخصوص أريوس.**

أيها العزيزان .. أنتما تعرفان تماماً كيف كنت أسلك بينكما، وتعرفان التجارب التي حلّت بي من الوثنيين الذين لم يكفّوا في جنونهم، فدعوا من ليسوا هم آلهة أنهم آلهة، إذ جهلوا الرّب المُخلِّص .. أنتما تعرفان كيف كنتُ أهرب من موضع إلى آخر، مُتجنِّباً ثورة مُضطهديّ ..

وسط كل هذه الكوارث لم أكف ليل نهار عن الكتابة لقطيع الرب الذي أؤتمِنت أنا الضعيف عليه، وكنت أُثبِّتهم في الاتحاد بالسيد المسيح ..

كان قلبي يئن بغير انقطاع متألِّماً، لا يجد راحة، وليس لي سوى تفكيري في تسليم هذا القطيع بين يديّ القدرة الإلهيّة ..

أنتما تعلمان أيضاً كيف كنت قلقاً للغاية من جهة الأساقفة المطوّبين "**فيلاس**" و"**هيثيخوس**" و"**باخوميوس**" و"**ثيؤدورس**" الذين تقبّلوا دعوة الاستشهاد باستحقاق من قِبَل نعمة الله، هؤلاء الذين احتملوا مع بقيّة المُعترفين عذابات كثيرة من أجل الإيمان بالسيد المسيح. فإن هذا الصراع قد ضمّ لا كهنة فحسب، بل علمانيين معروفين ومُعلِّمين. فكنت أخاف جداً لئلاّ يخوروا بسبب الضغط المُستمر فيكون ارتدادهم عثرة ويُسبِّب جحداً للإيمان، فقد وُجِدَ معهم أكثر من ستمائة وستين نسمة مسجونين معهم في الحبس الداخلي.. الأمر الذي يرعبني الحديث عنه. وبالرّغم ممّا كنت أُعانيه من ضغوط وأتعاب كثيرة لم أكُفُّ عن الكتابة إليهم، أُذكِّرهم بالعبارات النبوية، وأحثّهم على نوال إكليل الشهداء، وذلك بقوة الوحي الإلهي.

وعندما سمعت بمثابرتهم العظيمة، وما بلغت إليه آلامهم من نهاية مجيدة، سجدت حتى الأرض أُمجِّد السيد المسيح وأشكره من أجل عطيّته لهم من جهة قوة الإيمان وثباتهم في مسيحيتهم .. وما هيأه لهم من أكاليل المجد والغلبة، وقد توَّج بها رؤوسهم، **كما سألته أن يحسبني معهم ..**

ولماذا أتحدّث عن "**ميلتيوس**" أسقف ليكوبوليس ؟! .. أي اضطهادات ومكائد صبَّها ضدي .. أنكم تعرفون ذلك جيداً .. أنه لا يخشى تمزيق الكنيسة المُقدَّسة التي فداها ابن الله بدمه الثمين .. لم يكُفّ "**ميلتيوس**" عن زج البعض في الحبس الداخلي، وإلقاء الأحزان على كاهل الأساقفة القديسين، حتى **هؤلاء الذين منذ قليل اخترقوا السموات خلال الاستشهاد** .. احذروا حيله المملوءة خداعاً ..

إنكم ترون كيف سلكت بالمحبة الإلهيَّة، مُفضِّلاً بالحري أن أُتمّم إرادة الله فوق كل شيء .. ولا أحسب حياتي الزمنية أثمن من نفسي .. **بالحري أشتهي أن أُكمِّل سعيي** الذي قدَّمني إليه ربي يسوع المسيح، وبأمانة أرد إليه الخدمة التي تقبّلتها منه.

صلّيا عني يا إخوتي، فإنكما لن تریاني في هذا الحياة بعد ..

إنــي أشــهد أمــام الله وأمــامكم إنــي سـلكت قُـدّامكم بكـل ضمير صـالح، فإني لم أمتنع عن أن أخبركم بأوامر الرّبّ ولا رفضت أن أُعلِمكم بما سيكون ضرورياً لكم ..

كونـا حـذريْن واهتموا بـالقطيع الـذي يُقيمكُم الـرُّوح القُدُس عليه بالتتـابع أنـت يـا أبونـا أرشيلاوس أولاً، ثـم أنـت يـا أبونـا ألكسندروس من بعده.

أتوسّل إليكما، أنتما أحشائي أن تسهروا، فإن شدائد كثيرة تلحـق بكمـا، فإننـا لسـنا أفضـل مـن آبائنـا .. هـل تجهـلان بالحق بأبي ثاؤنا الأسقف المُثلث القداسة الذي قام بتربيتـي، والذي تعهّدت أن أكون أميناً علـى كرسيه الكهنوتي .. نعمـة الله التـي حفظـت هـؤلاء جميعـاً تحفظكمـا أنتمـا أيضـاً .. **أسـتودعكم الله وكلمــة نعمتــه القــادرة أن تحفظكـم وتحفـظ قطيعه** (٩٥).

وبعد أن أنهى البابا حديثه مع تلميذيه جثى علـى ركبتيـه وصلّى معهما، فقبّل تلميذاه يديْه ورجليْه، ثم عاد البابا إلـى بقيّة القسوس والأراخنة فبارَكهم وصرَفهم بسلام.

وما أن عاد الوفد الكنسي إلى الكاتدرائية، وإذ بأريوس فـي انتظــارهم علــى أحــرّ مــن الجمــر، يُمنــي نفســه بكرســي مــارمرقس، وإذ رأى الوجــوه واجمـــة، وقــد أشـــاح القسّـــان

أرشيلاوس وألكسندروس الوجه عنه، واستفسر عن الأمر، فصُدِم بالنتيجة وأصيب بخيبة أمل، وأسرع بالانصراف من الكاتدرائية يجر أذيال الخيبة، واضعاً في نفسه أنه لن يكف عن عناده، وسيدافع عن عقيدته للنفس الأخير.



الفصل الرابع عشر: البابا على كرسيه

وصدر الأمر الإمبراطوري من الإمبراطور "**مكسيميانوس دايا**" إلى والي الإسكندرية بالحكم على بطرس أسقف الإسكندرية بالإعدام بحد السيف، وما أن وصل هذا الأمر للثغر السكندري حتى تسرَّب سريعاً، وانتشر انتشار النار في الهشيم، وبحركة عفويّة، وبدون أي تنظيم من أي شخص، أحاط بالسجن عشرات الألوف في لحظات .. آباء كهنة وشمامسة وعذارى .. رجال ونساء .. شيوخ وأطفال، وكأن لم يبقَ إنسان مسيحي في بيته بعد .. نحو مائة ألف أحاطوا بالسجن لا يحملون سلاحاً، لكنهم يحملون مشاعر مُلتهبة أفاضت أنهاراً من الدموع .. الجميع بلا استثناء على أهبة الاستعداد للتضحية بأرواحهم رخيصة جداً فداءً لباباهم الحبيب .. مُستعدّون أن يُذبَحوا جميعاً ولا يَروْن باباهم يُذبَح أمامهم .. ازدحموا حول السجن كالحصن الحصين: "***لو أنكم قتلتمونا جميعاً، فلن ندعكم تقتلون بابانا ورئيسنا وبطريركنا***" ..

وعَلت الهتافات: "***يا بابا .. بنحبك***" .. "***بنحبك .. يا بابا***" .. "***نحن معاك (معك) .. حياتنا فداك***".

وإذ رأى القائد هذه الانفعالات الجيّاشة، تحاشى حدوث تصادم مع هذا الشعب الهادر، وأرجأ تنفيذ حكم الإعدام للغد، ظناً منه أنه متى خيّم الظلام وأرخى الليل سدوله، فإن المُتجمهرين سينفضون إلى حال سبيلهم، ولا سيما أن الليلة تبدو شديدة البرودة، ليلة التاسع والعشرين من شهر هاتور، ولكن يبدو أن ظنه قد خاب، فالجميع عزموا على قضاء ليلتهم مُرابضين في موقعهم أمام السجن، لن يسمحوا بخروج البابا من السجن إلى ساحة الاستشهاد، وارتفعت نبرة الهتافات التي دوَّت في سماء الإسكندرية: "***اقتلونا اذبحونا.. من بابانا لن تحرمونا***".

أقبل المسيحيون جميعاً يزوّدون عن باباهم الموت، وأقبل غير المسيحيين ليشاهدوا منظراً فريداً لم يَره أحد من قبل، فأي سجن مثل هذا أحاط به عشرات الألوف من مختلف الأعمار والأعمال والثقافات من أجل الإفراج عن شخص واحد فقط.. وإذ بالقائد في حيرته لا يجد سبيلاً للخروج من هذا المأزق الذي يُهدِّد المدينة بالاشتعال، وإذ بـ "**قداسة البابا بطرس**" بحكمته وأبوّته الوديعة وهو لا يريد حدوث تصادم بين قوات رومانية باطشة مُسلّحة وبين شعب أعزل، ولا يريد أن تُسفك دماء سواء كانت بريئة أو غير بريئة، رأى أن

يُسلِّم نفسه فدية عن شعبه ولا يُمَس أحد من أولاده، فسريعاً ما وضع خطة الخروج من المأزق، والإنسان المسيحي دائماً هو المُطالب بامتصاص الصدمات .. أرسل يستدعي القائد، والتقى به بكل حب، واقترح عليه أن يتسلّل بعض رجاله إلى خلف السجن، حتى يثقبوا الجدار، فيخرج إليهم ويفعلون به ما أُمِروا به، واستحسن القائد الفكرة جداً.

وبعد منتصف الليل تسلّل بعض الجنود بأدوات الحفر إلى خلف السجن، وإذ شعروا بطرقات خفيفة تأتي من الداخل حدَّدوا المكان، وبدأوا عملهم، وإذ في الأفق صوت أزير الرياح، وأيضاً صوت الهتافات التي تدوي، وهذا وذاك غطّى على صوت المعاول التي تنهال على جدار السجن ..

ومن ثقب الجدار خرج "**قداسة البابا المُعظّم بطرس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية**" .

فاختشى منه الضابط المُكلّف بأداء المُهمّة مع جنوده الرومان الأشداء الخمسة، وسار البابا يحف به الجنود وقائدهم، وقد اكتسب احترامهم وتقديرهم وثقتهم .. من يُسلّم نفسه للموت من أجل أحبائه لهو جدير بالتقدير والتبجيل.

ومازالت هتافات الشعب الثائر الهادر تدوي في سماء الإسكندرية، ولاحظ بعض رجال المخابرات الرومانية الذين

يرتدون الملابس المدنية، ويندسون وسط الجماهير، يشاركونهم الهتافات، ويراقبون حركاتهم وسكناتهم .. لاحظ هؤلاء الرِّجال أن من أكثر المُلتهبين حماساً ويلهبون حماس الجماهير أحد الأشخاص ذو البنية القوية، فاحتالوا عليه، ونجحوا في اجتذابه بعيداً عن الجماهير بحجة أن لديهم أخباراً سريّة تخُصّ البابا بطرس، وسريعاً ما كان هذا الرَّجُل مُقيّداً يقف ليُحاكم ليلاً أمام قاضي الظلمة:

القاضي: من أنت؟ وما اسمك؟

الرجل: أنا ضابط بحري بالأسطول الروماني، واسمي ديمتري منسّى.

القاضي: ضابط بحري بالأسطول الروماني وتهيج الشعب ضد روما .. هل أنت روماني؟

ديمتري: لستُ رومانياً .. أنا من أصل يهودي والتحقت بالبحرية الرومانية، وكثيراً ما عرَّضتُ حياتي للخطر من أجل سلامة وبحار الإمبراطورية .. بعد أن أنهي خدمتي سأحصل على الرعوية الرومانية.

القاضي: إذاً أنت تحب الإمبراطورية الرومانية وتطمع في رعويتها، وثانياً أنك يهودي، فما بالك بمشاكل المسيحيين الخونة؟ وإن كانوا يهتفون لبطرس أبيهم، فما شأنك به؟

ديمتري: قلتُ أنني من أصل يهودي، ولم أقل أنني مازلتُ يهودياً .. أنا مسيحي أؤمن بالسيد المسيح ابن الله الحي الذي تجسّد وصُلِبَ من أجل خلاص كل البشرية، أمّا "**قداسة البابا بطرس**" فهو أب لي، أعرفه ويعرفني معرفة شخصية، وطالما تمتّعت بأبوّته.

القاضي: إذاً أنت مسيحي؟!

ديمتري: نعم أنا مسيحي .. أعيش مسيحيّاً وأموت مسيحيّاً .. أعتز وأفخر بهذا.

القاضي: ألاَ تعلم أنه بموجب تصريحك هذا، الذي يعني عدم ولاءك لآلهتنا وأباطرتنا، تستوجب الموت.

ديمتري: وهل تظن أن تماثيل الذهب والفضة والحجر والخشب هذه آلهة ينبغي لها السجود، وكيف تكون آلهة وهى لا تنفع ولا تشفع، لا حيلة لها ولا قوة، وإن قلت أنها رمز فلماذا تسجدون لها وتقدِّمون لها الذبائح ؟! .. أمَّا الإمبراطور فإنني أكنُّ له الاحترام اللائق، لكنني لا يمكن أن أؤلّهه، فهو مُجرّد إنسان مثلي ومثلك.

القاضي: أنت ضابط سليط اللسان تحتاج إلى التأديب.

ديمتري: هذه نظرتك لي. أمّا نظرة السماء فهى شيء آخر.

وسريعاً ما أصدر القاضي حُكمه على ديمتري ..

من رأى محاكمة كهذه، لضابط عظيم كهذا، تجري في جناح الليل، لا تستغرق سوى دقائق معدودة، ومن الجلسة الأولى يصدر الحُكم ؟!!

أمّا ديمتري فأمضى ليلته مُكبّلاً بالأصفاد، لم يغمض له جفن، فإن قلبه هناك في السجن العام حيث باباه البابا بطرس.

وأخذ الضابط ديمتري يستجدي الأخبار، فتنامى إلى سمعه أن البابا البطريرك طلب من القائد أن يثقب الجدار الخلفي للسجن، وفعلاً تم ثقب الجدار، وخرج البابا إلى ساحة الاستشهاد ليفدي أولاده من أي أذى، فالتهبت مشاعر ديمتري أكثر فأكثر، فمَنْ يُطلِقه ليُخلِّص بابا من الذبح؟!

وأيضاً تسامى وارتفع قدر "**قداسة البابا بطرس**" في نظره:

الأب يسلِّم نفسه للموت عن أولاده ..

يهوه يصير إنساناً من أجل حياة أولاده ..

يهوه يُضرب ويُهان ويُعرى من أجل إنقاذ أولاده ..

يهوه يُصلب ويموت من أجل أحبائه ..

نعــم " لـيس لأحــدٍ حُــبٌّ أعظـمُ مــن هــذا: أن يَضــعَ أحــدٌ نفســهُ لأجـل أحبائـه " (يو ١٥ : ١٣).

يـهوه يُدفن ثلاثة أيام ويقوم مُنتصراً على الموت ..

بالموت دحر الموت ..

وتعجّب ديمتري من نفسه، إذ بعد أن شهد ليسوع إلهـه، قد أدرك تمامـاً قضيـة التجسد والفداء .. لـم تعُد عثرة فـي طريقـه .. هوذا العقل يسلّم الرايـة للإيمـان، والإيمـان يُكمل المشوار الـذي عجز العقل عن استكماله .. تنهّد ديمتـري قائـلاً :

أؤمن يا ربي .. أؤمن يا إلهي .. أؤمن يا سيدي.

وفـي الطريـق مـن السجـن إلـى سـاحة الاستشـهاد طلـب "**قداسـة البابـا بطرس**" من القائد أن يسمح لـه بـالمرور علـى قبـر مـارمرقس، وهل لهذا القائد أن يرد للبابا الشـجاع البطـل طلبـاً، وهـو الـذي يـود لـو يُطلِقـه لـولا أن هـذا يعـرّض حياتـه وحيـاة جنـوده لحكـم الإعدام، فقـال لـه: "*افعـل مـا تريـد أيهـا الأب، لكن بسرعة*".

فتوجّـه البابـا بطـرس إلـى ذاك الموضـع الـذي حـوى جسـد سلفه البطريرك الأول، وجثـا علـى رُكبتيه، وأخذ يُناجيه قائلاً:

"*أيها الأب كُلّي التبجيل ..*

كاتب إنجيل ابن الله المُخلِّص ، والشاهد لآلامه ..

لقد اختارك مُخلِّصنا لتكون أول رئيس للكهنة في مصر، وعاموداً لكنيستها .. عهد إليك بالكرازة في هذه المدينة وكل كورة مصر وتخومها ..

كنت ساهراً على الخدمة التي ائتمنك عليها لخلاصنا، وجزاء لهذا العمل المجيد نلت إكليل الشهادة ..

استحققت بذلك كرامة الإنجيلي، وكرامة رئيس الأساقفة..

*أنت اخترت "**أنيانوس**" الطوباوي لأنه كان مُستحقاً، ومن بعده "**ميليوس**"، ومن كان بعدهما، ثم الآباء "**ديمتريوس**" و"**ياراوكلاس**" و"**ديونسيوس**" و"**مكسيموس**" والطوباوي ثاؤنا الذي قام بتربيتي منذ الطفولة وقام بتهذيب قلبي ..*

وقد صرت أنا الخاطئ غير المُستحق أن أكون خليفتك على كرسيك رغم عدم استحقاقي، فأطلب إليك يا سيدي أن تجعلني مُستحقاً لأن أكون خليفتك في بذل الروح أيضاً.

*نعم .. **يا لغنى فيض مراحم الله عليَّ، أن يُوهب لي أن أكون شهيداً من أجل صليبه الثمين والقيامة المُفرِحة .. ليسمح لي أن أسكب تقدمة دمي ..***

الآن .. أطلب إليك يا أبي أن تصلِّي من أجلي لتسندني القوة الإلهيَّة، فأبلغ غاية هذه الآلام بقلب شجاع وإيمان راسخ..

أيها المثل المجيد .. أستودعك قطيع المسيح الذي كنتُ مسئولاً عن رعايته، مُتضرِّعاً إلى رب المجد أن يكون موت خادمه خاتمة هذا الاضطهاد، فلا تقوم له قائمة بعد اليوم"[٩٦].

ثم رفع البابا بطرس صلاته الختامية ذبيحة مقبولة عن شعبه:

" يا ابن الله الوحيد، يسوع المسيح، كلمة الآب الأبدي ..

اسمع لي طالباً رأفاتك ..

أتضرَّع إليك أن تقول سلاماً، فتهدأ العواصف التي تهز كنيستك ..

وليكن سفك دمي أنا خادمك خاتمة هذا الاضطهاد الحال بقطيعك الناطق. آمين " [٩٧].

وكان بالقرب من هذا الموضع مسكناً تُقام فيه العبادة تكريماً للإنجيلي ناظر الإله، وكانت في تلك الساعة صبية

عذراء مع أبيها الشيخ ساهرة تصلّي، فسمعت صلاة البابا بطرس، وسمعت صوتاً يقول:

"**بطرس آخِر شهداء هذا الاضطهاد**".

انتهى "**قداسة البابا**" من مُناجاته لمارمرقس وصلاته السهمية، فنهض، **وإذ وجهه يُضيء كوجه ملاك، فدخل الخوف قلب الجنود** .. أكمل البابا مسيرته نحو ساحة الاستشهاد وضوء الفجر كاد ينبلج، وفي الطريق رأى البابا شيخاً ومعه امرأة عجوز، فسألهما: إلى أين أنتما ماضيان؟ وهل أنتما مسيحيان؟

فقالا: نعم نحن مسيحيّيْن، ونحن ماضييْن إلى المدينة لنبيع ما معنا.

البابا: الله يعينكما يا ولديَّ المؤمنين .. هل تقفا معي ساعة.

وإذ أدركا أن مُحدِّثهما هو البابا بطرس انحنيا أمامه يُقبِّلان يديْه ويُظهران طاعتهما وخضوعهما له، وسارا مع البابا والجنود، وقد أدركا أيضاً حجم الكارثة.

ووصل موكب السلام إلى أرض الاستشهاد ففرش العجوزان الجلود التي بحوزتهما على الأرض، وجثا "**قداسة البابا المعظم بطرس خاتم الشهداء**" على ركبتيْه، وخلع عنه

البلّين كاشفاً عن رقبته الطاهرة وقال لهم بقلب ثابت: افعلوا ما أُمرتم به.

وإذ بالجنود يلحقهم الخوف والخشية من أن تلحقهم عقوبة السماء إذا ألحقوا الأذى برَجُل الله، فصار كل منهم يشير للآخر أن يضرب الرَّجُل .. ارتبك الجنود الرومان الشجعان وشعروا أن موقفهم صار مخزياً. أمّا قداسة البابا فقد أخذ يتعجّلهم:

" *اسرعوا يا أولادي قبل أن يدرككم الصباح، ويدرك المرابضون أمام السجن حقيقة الأمر* ..".

ومازالت الربكة والحيرة تأخذ بالجنود مأخذاً، حتى قائدهم عجز عن أن يعطي أحدهم أمراً ليضرب الرَّجُل الجاثي أمامهم .. الدقائق تمرّ ثقيلة مُتباطئة والصمت يلفّ المكان.

أحد الجنود: ليدفع كل منّا خمسة قطع ذهبية، ومن يضرب رَجُل الله يأخذ المبلغ.

فأخرج كل واحد من الجنود القِطع الذهبية، ووضعت على الأرض بجوار القديس، فأثارت هذه القطع الذهبية مطامع أحدهم من مُحبّي الفضة، فتجرّأ وضرب عُنق ذاك البطل المغوار ..

تدحرجت الرأس المُقدَّسة، وأسرع الضابط وجنوده يهربون من المكان، تلازمهم مشاعر اللصوص القتلة .. هربوا قبل أن يعلم الشعب الثائر فيفتك بهم، وما أن وصل الضابط بالقرب من السجن العام، حتى سرَّب خبر بأن البابا بطرس خرج من خلف السجن وتوجّه إلى ساحة الاستشهاد.. ركضت الجموع نحو الساحة ويكاد بعضهم يدوس البعض، من أجل إنقاذ باباهم الحبيب من ضربة السيف ..

وما أن وصلوا حتى وجدوا جسد البابا مسجي على الأرض ورأسه مُنفصلة، وبجواره الشيخ والمرأة العجوز ينتحبان وينوحان .. صُدِمت الجموع، وارتفعت أصوات البكاء والنحيب، والتنديد بظلم المُستعمر الروماني .. أسرع الآباء الكهنة بلفّ الجسد مع الرأس بقطعة من الجلد، وبصعوبة بالغة منعوا الشعب من الاقتراب إليه، فكل إنسان يطمع في قطعة صغيرة من ثياب البابا بركة لبيته وأولاده.

وحمل الآباء الكهنة جسد البابا الشهيد في مشهد ضم عشرات الألوف في طريقهم إلى الكاتدرائية وصاروا يهتفون بكل قوة وحماس، وكأن البابا في وسطهم حيًّاً، وجندياً رومانياً لم يحرك ساكناً، وضابطاً رومانياً لم يتفوه ببنت شفّة، وكأن الرومان قد اختفوا عن وجه الأرض. فقد أدركوا خطورة

الموقف وخافوا أن تحترق الإسكندرية بكل من فيها من ثورة الغضب العارمة هذه، فأفسحوا المجال للمسيحيين للتنفيث عن أنفسهم، وقد علت صرخاتهم:

† "*كيرياليسون .. كيرياليسون*" ..

† " أوكيريوس .. أوكيريوس" ..

† *"السلام السلام احنا أولاد ملك السلام"*

† *"إلهي إلهي هو خلاصي ودائماً رافع راسي"*

† *"ألف سلام وألف تحية على شهيد المسيحية"*

† *"يا شهيد نام وارتاح احنا هنكمل الكفاح"*

† *"يا والي نام وارتاح عمر مسيحي ماشال سلاح "*

† *"عمر مسيحي ماشال سلاح واللي بيذبح ده سفاح"*

† *"أنتم معاكم سلاح ونار واحنا معانا إله جبار"*

† *"اهتف اهتف وعلّي الصوت عُمر مسيحي ماخاف من الموت"*

† *"أنا مش خايف .. أنا مش خايف طيِّر طير طيِّر راسي"*

وإذ أخذوا يستصرخون السماء اهتزّت أعتاب السموات وصدر الحكم الإلهي بنهاية وسقوط الإمبراطورية الرومانية، أعظم إمبراطوريات التاريخ كله، التي مثّلت رجلي التمثال الذي أبصره نبوخذنصر في حلمه

المصنوعتان من الحديد (دا ٢)، والتي مثّلت الحيوان الهائل القوي ذو الأسنان الحديدية في رؤيا دنيال النبي (دا ٧).

وصل الموكب المَهيب إلى كاتدرائية العذراء ذات الألف عمود بحي راكوتي، فلفّوا الجسد في ستائر من الحرير، وألبسوه ملابس التقديس، ووضعوا عليه أطياباً كثيرة، وأجلسوه على كرسي مارمرقس الذي لم يجلس عليه قبلاً، وهتف الشعب يحيّون شجاعته وفداءه لأولاده .. صاروا يهتفون للراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف .. اختلطت الزغاريد بأصوات النحيب، واختلط التصفيق بالصرخات، واختلطت فرحة الانتصار بحرقة الألم .. امتلأت كنيسة الألف عمود التي تسَعْ عشرين ألف شخصاً وفاضت .. آباء أساقفة وكهنة .. شمامسة وعذارى .. رجالاً ونساءً .. حيَّا الآباء الأساقفة قداسة البابا البطل الشجاع المِقدام، رافعين الأنظار إلى فرحة السماء باستقبال هذا الراعي الأمين، وتجاويت معهم هتافات شعب يتيم: *" يا بابا .. بنحبك " .. " بنحبك .. يا بابا ".*

رأى البعض أن يُدفن البابا بطرس بجوار سَلَفه وشفيعه البطريرك الشهيد "**مارمرقس الرسول**"، ورأى البعض أن يُدفَن

فـي الكاتدرائيـة، وانتهـى الأمـر إلـى قـرار دفنـه بـالمقبرة التـي أعدها لنفسـه فـي "لوكـابتس" بغرب المدينـة (القبـاري) **فحملـوه مـن الكاتدرائيـة بموكـب مَهيـب رافعـين الصـلبان، والآبـاء الأسـاقفة والكهنـة حملوا المجامر، والشـعب سـعف النخيـل، وقطـع الموكـب الطريـق بالألحـان الكنسـية حتـى اهتـزت أساسـات المدينـة .. واسـتراح البابـا بطـرس بعد أن جلـس علـى كرسـي مـارمرقس تسـعة سـنوات وعشـرة أشـهر فـي اضـطهادات مُتصـلة سُـفِكت فيهـا دمـاء مئـات الآلاف مـن المسيحيين الأبرياء.**

استقرّ جسد البابا في مسواه الأخير، وكانت نحو السـاعة الثانيـة عشـرة ظـهراً، وإذ لفَـت أنظـار البعض أنـه بـالقرب مـن المقبـرة كـان هنـاك صـليباً مرفوعـاً سُمِّر عليـه رَجُل فـي نحـو الأربعين من عمره، وعيناه ترنوان نحـو مقبرة البابـا الشـهيد .. ظنـوه فـي البدايـة مُجرمـاً .. وإذ "**مينـاس**" ينظـر إلـى الصـليب مليئـاً، ثم يركض تجـاه الأبوين "**أرشيلاوس**" و"**ألكسندروس**" يخبرهمـا عـن المصـلوب .. يـركض الآبـاء وميـنـاس وخلفهـم المئـات تجـاه الصـليب .. تحـت الصـليب نسـوة انحنـت تفيض عيونـهن دمـاً أقصـد دمعاً وقلوبـهن تنفطـر .. إنـهن "**سوسنا**" وبنـاتـها الخـادمات "**راحيل**" و"**دينـة**" و"**ميراب**"..

لقد اجتمع الأصدقاء الأربعة من جديد ولكن أحدهم قد اعتلى الصليب .. إنه الضابط الشجاع البحار المُغامر "ديمتري" .. التفت الجموع حوله، أمّا الجنود المُكلّفين بحراسة المصلوب، فقد أطلقوا سيقانهم للريح .. أراد الأصدقاء الثلاثة إنقاذ المصلوب، أمّا هو فرفض بشدة .. إنه يريد أن يختبر ما سَمع عنه كثيراً أن الشهيد يحتمل على قدر طاقته، وأن يسوع المصلوب يشاركه آلامه ..

وقفت الجموع تصلّي في خشوع ودموع حول الضابط المصلوب ..

وأُعلنت للمصلوب رؤيا رائعة، إذ أشرق فجر جديد، تلاه نهار صحو جميل، وإذ بسحب الاضطهاد السوداء تخف حدتها كثيراً، وإذ بالسماء تستضيء بنور سماوي لا يُعبّر عنه، وإذ بالكنائس ترتدي ثوباً قشيباً (جديد) .. ما تهدَّم منها أُعيد بناؤه .. الأماكن الخاوية شُيّدت بها أبراج الصلاة، آية من الروعة والجمال الروحاني، وسُمِع فيها صوت الدّف والتريانتو مع أصوات التسبيح .. عادت الأعياد، وأُقيمت الاحتفالات، ونُصِبت الولائم الفَخمة للفقراء، وتوافدت الشعوب إلى المدينة المُحبّة للمسيح الإسكندرية التي قدّمت

اثنين من بطاركتها شهداء للحَمل، **مارمرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء ..**

وإذ بالقرون تمر والسنون تفر، سبعة عشر قرناً تعبر على ذلك اليوم بالتمام والكمال، ولاح لديمتري في شرق المدينة كنيسة شامخة، ترتفع منارتها إلى عنان السماء، تحمل اسم البطريركين الشهيدين، تتصاعد منها الصلوات النقيّة ليل نهار، فسُرَّ الرب بها، **وكان لابد من الاحتفال بمرور سبعة عشر قرناً على استشهاد باباهم الحبيب "البابا بطرس خاتم الشهداء" ومع الدقائق الأولى وبعد مرور واحد وعشرين دقيقة من عام ٢٠١١م سُمِع صوت دوي هائل على أعتاب تلك الكنيسة هزَّ المكان، وسُمِع صوت صرخات ودماء وأشلاء متناثرة على الأرض وعلى الجدران تُدشِّن ذلك المكان وتُعلِن سرور الرب به، وإذ بالبابا بطرس يُسرِع مُتلهّفاً يحتضن عشرين نفساً من أولاده ويُقدِّمهم أمام العرش الإلهي ليتوَّجوا بأكاليل الشهداء.. هؤلاء هم أيضاً شهداء .. والشهادة تجديد لشباب الكنيسة.. بالإضافة لأكثر من مائة معترف ..**

صارت هذه الكنيسة منارةً ومزاراً .. يتوافد إليها الأفراد والجماعات، وتتبادل المحبة والمساندة في أسمى صورها ..

صار الجميع بنفس واحدة، وإيمان واحد يهتفون بترنيمة واحدة، ترنيمة الحب لله وللبشرية وللوطن .. ظل الآباء الكهنة يرفعون صلواتهم ويرعون أولادهم، وصار الأولاد الصغار يلهون في فناء الكنيسة، حتى صارت ألعابهم تمثل شجاعة وبطولة الشهيد إزاء قوى الظلم والطغيان .. **وصار الشعار "محدِّش يخاف"** ..

هذا ما رآه ديمتري المصلوب في رؤياه.

وهنا ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي المصلوب، لاحظها الأصدقاء المُرابضين تحت الصليب وتعجّبوا .. إن "**ديمتري**" لا يصرخ ولا يتلوى من شدة الآلام التي لا تُطاق..

رابض الأصدقاء بجوار المصلوب بينما انصرفت الجموع.. أخيراً سمعوا همسات حبيبهم ديمتري:

يا ربي يسوع المصلوب عني .. أشكرك من أجل شركة آلامك،

يا أبي بطرس .. لست أنا البحار المُغامر .. إنما أنت..

أنت البحار والربان الماهر ..

يا مَنْ قُدت السفينة بمهارة ..

ومع غروب شمس ذاك اليوم الرهيب سُمِعت الهمسات الأخيرة للبحار المغامر، البطل الشجاع، حلو المعشر، الضابط "ديمتري":

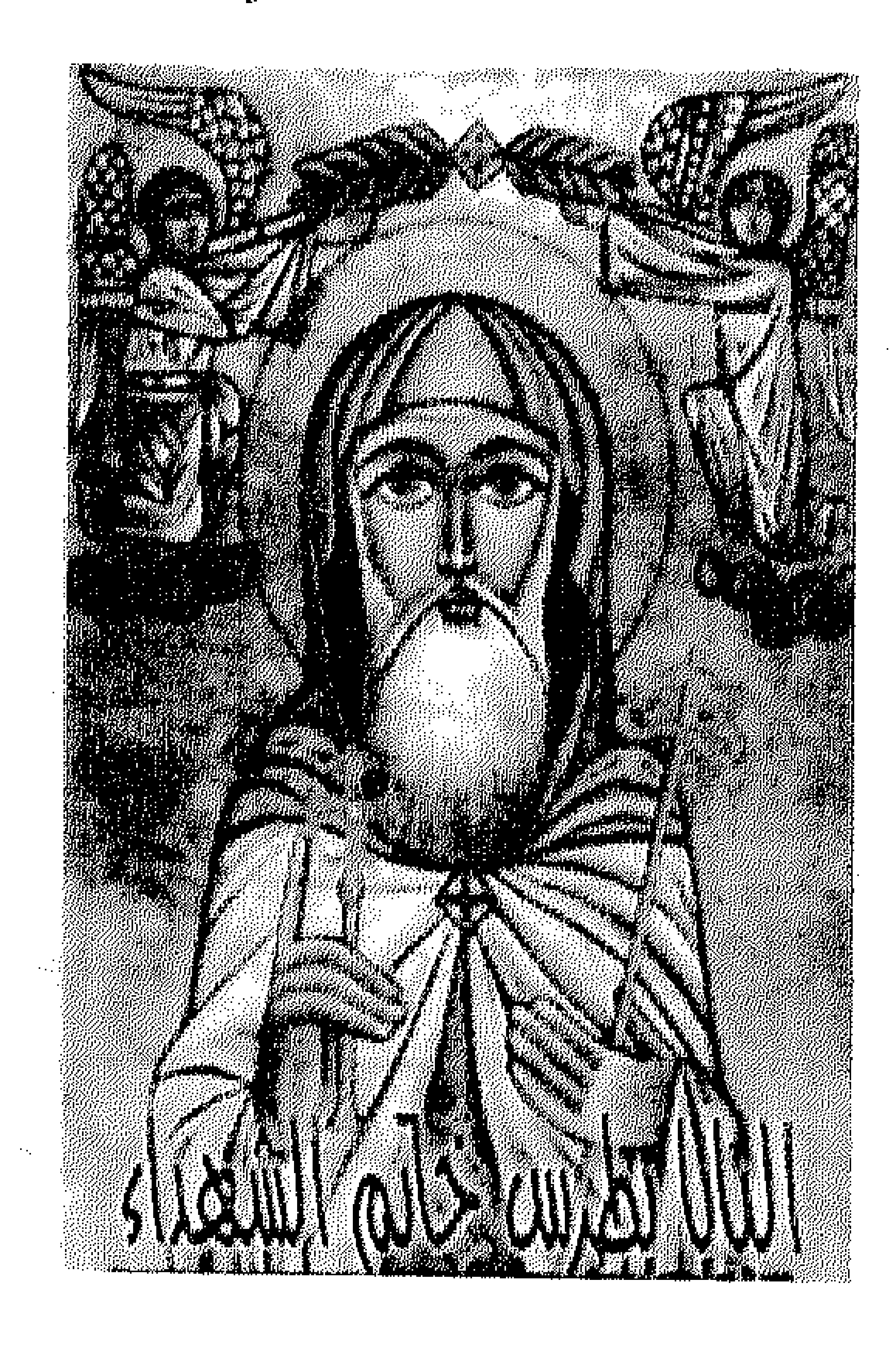
" اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك "

الإسكندرية في:

١٧ أبيب ١٧٢٧ش - ٢٤ يوليه ٢٠١١م

تذكار شهادة القديسة أوفيميه

أمام دقلديانوس



❖ تمجيد للبابا بطرس الأول خاتم الشهداء ❖

عيد استشهاده ﴿ ٢٩ هاتور - ٩/٨ ديسمبر ﴾

....

أفتح فاي بالتمجيد   وأذكر للتخليد   رئيس الكهنة الشهيد

بنيوت آفا بطرس

أخبركم يا أحباء   عن بطرس خاتم الشهداء   عظيم ورئيس آباء

أبوه كان قسيس   مقامه رفيع ونفيس   طاهر ورجل قديس

طلب كزكريا   من إله كل عطية   أن يرزقه ذرية

أمه نسل الأبرار   بكَتْ بدموع غزار   في عيد الرُّسل الأطهار

رأت في رؤيا المنام   بطرس وبولس الكرام   بشَّروها بغلام

رُزِقَتْ بهذا النذير   وكان فصيح وقدير   في العلم والتبشير

رسمه البابا ثاؤناس   في رتبة الشماس   فكاهن لقدس الأقداس

اختارته السماء   كاهن فرئيس آباء   هو خاتم الشهداء

راعي صالح وأمين   حَصَّن شعبه تحصين   من بدع المُبتدعين

ويسوع في رؤيا ناداه   عن آريوس قد نهاه   من أنكر ابن اللَّه

إياك يا قديس   تقبل آريوس قسيس   أوقفه عن التقديس

فأطاع لصوت السماء   وجمع مجمع آباء   فنَّدوا كل الآراء

حرموا آريوس حرمان   مع حزب الشيطان   وحفظوا لنا الإيمان

رأيتَ قوة إيسوس   على كرسي مارمرقس   فأبيتَ الجلوس

طلبت من إله السماء   أن تُحقن الدماء   وتكون آخِر الشهداء

أعطاك سؤل قلبك   ومضيت إلى ربك   اختارك وأحبك

السلام لك يا آفا بطرس   يا راعي شعب إيسوس   وموصِّلهم إلى الفردوس

السلام لك يا قديس   يا ابن القسيس   يا حَبر ونفيس

طوباك ثم طوباك   أكسيوس أكسيوس أكسيوس   يا مَن أكملت مسعاك

اذكرنا يا أبانا   لنكمِّل مسعانا   ونحظى برجانا

تفسير اسمك في أفواه   كل المؤمنين   الكل يقولون يا إله

الأنبا بطرس أعنا أجمعين

(1) د. محمد السيد محمد عبد الغني ـ لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان ص ١٦١

(2) المرجع السابق ص ٣٢٩، ٣٣٠ ومحمد عبد القادر راشد ـ مدينة الإسكندرية البطلمية وإقليمها ص ٢٠٢ (رسالة ماجستير).

(3) د. محمد السيد محمد عبد الغني ـ لمحات من تاريخ مصر تحت حُكم الرومان ص ٢٨٣

(4) د. مصطفى عبادي ـ من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ٢٦٥

(5) نافتالي لويس ـ ترجمة د. أمال الروبي ـ الحياة في مصر في العصر الروماني ص ١٠٣

(6) المرجع السابق ص ٩٨

(7) المرجع السابق ص ١٠٥

(8) المرجع السابق ص ٦٨

(9) المرجع السابق ص ١٦٢

(10) د. يسرية عبد العزيز ـ البعث الجديد ـ اكتشاف الآثار الغارقة في أبي قير والإسكندرية ص ٢٢٤

(11) المرجع السابق ص ٢٢٥، ٢٢٦

(12) المرجع السابق ص ٢٢٢، ٢٢٣

(13) د. سيد كريم ـ مكتبة الإسكندرية وتخطيط المدينة ص ٢٥، ٢٦

(14) راجع زكي شنوده ـ الشهداء ص ٤٧، ٤٨

(15) راجع نيافة المتنيح الأنبا يؤانس ـ الاستشهاد في المسيحية ص ٤٨

(16) المرجع السابق ص ٤٨

(17) أ. لويزا بوتشر ـ تاريخ الأمة القبطية ـ طبعة ١٨٩٧م ص ١٥٧.

(18) المرجع السابق ص ١٥٩، ١٦٠

(19) المرجع السابق ص ١٥٩

(20) المرجع السابق ص ١٥٩

(21) د. سيد كريم ـ مكتبة الإسكندرية ص ٨٥، ٨٦

(22) الراهب بولا البراموسي ـ النبوات والآثار ص ٥٦، ٥٧

(٢٣) د. سيد كريم ـ مكتبة الإسكندرية ص ٥٩، ٦٠

(٢٤) ونفرد هولمز ـ ترجمة سعد أحمد حسين ـ كانت ملكة على مصر ص١٣٦، ١٣٧

(٢٥) وصف أميانوس مرسيلينوس ـ سليم حسن ـ موسوعة مصر القديمة جـ ١٥ ـ أورده عادل فرج عبد المسيح ـ الإسكندرية منارة الشرق والغرب ص ٣٤

(٢٦) ملاك لوقا ـ البابا بطرس خاتم الشهداء ص ١٩

(٢٧) القمص تادرس يعقوب ـ آباء مدرسة الإسكندرية ص ٦

(٢٨) د مصطفى العبادي ـ من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٦٨

(٢٩) القمص تادرس يعقوب ـ آباء مدرسة الإسكندرية ص ٤٨

(٣٠) المرجع السابق ص ٨

(٣١) القس منسّى يوحنا ـ تاريخ الكنيسة القبطية ص ٣٢

(٣٢) يوسابيوس القبصري ـ ترجمة القس مرقس داود ـ تاريخ الكنيسة ص ٢٨١

(٣٣) المرجع السابق ص ٢٩٤

(٣٤) القمص تادرس يعقوب ـ آباء مدرسة الإسكندرية ص ٢٧٤

(٣٥) المرجع السابق ص ٢٧٥

(٣٦) المرجع السابق ص ٢٧٧

(٣٧) قول أراتوستينيس بدوران الأرض حول الشمس صحيح وهذا ما أكده كوبرنيكوس في القرن الخامس عشر الميلادي، كما أن الرقم الذي وصل إليه كمحيط للكرة الأرضي لا يفرق عن الرقم الصحيح إلاّ بخمسين ميلاً فقط.

(٣٨) نافتالي لويس ـ ترجمة د. أمال الروبي ـ الحياة في مصر في العصر الروماني ٣٠ ق.م ـ ٢٨٤م

(٣٩) محاضرات جريجينوج ـ ترجمة كامل ميخائيل عبد السيد ـ من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي.

(٤٠) ونفرد هولمز ـ ترجمة سعد أحمد حسين ـ كانت ملكة على مصر ص ١٢٨

(٣٩) المرجع السابق ص ١٤٨، ١٤٩

(٤١) د. الحسين أحمد عبد الله ـ مصر في عصر الرومان ـ أصداء الاستغلال وأنشودة البقاء ص ٥٢

(٤٢) ونفرد هولمز ـ ترجمة سعد أحمد حسين ـ كانت ملكة على مصر ص ١٦٥

(٤٣) د. حسين يوسف، د. حسن الإبياري ـ تاريخ وآثار مصر في عصر الرومان ص ٣٩

(٤٤) د. الحسين أحمد عبد الله ـ مصر في عصر الرومان ـ أصداء الاستغلال وأنشودة البقاء ص ٥٣

(٤٥) قول بـ H~Volknann أورده د. عبد اللطيف أحمد علي ـ مصر والإمبراطورية الرومانية ص ٢٩

(٤٦) قول ليوحنا النيقوسي ـ أوردته ونفرد هولمز ـ ترجمة سعد أحمد حسين ـ كانت ملكة على مصر ص ١٧٢

(٤٧) راجع رأفت عبد الحميد ـ الدولة والكنيسة جـ ٢ ص ٤٧، ومعالي حسين محمد ـ الإمبراطور دقلديانوس (رسالة ماجستير) ص ٧١

(٤٨) القمص تادرس يعقوب ـ البابا بطرس الأول خاتم الشهداء ص ٢٣

(٤٩) تصوير شكسبير للرحلة ـ ونفرد هولمز ـ ترجمة سعد أحمد حسين ـ كانت ملكة على مصر ص ١٧٣، ١٧٤

(٥٠) ونفرد هولمز ـ ترجمة سعد أحمد حسن ـ كانت ملكة على مصر ص ١٧٦

(٥١) المرجع السابق ص ١٧٦

(٥٢) نيقولا يوسف ـ أعلام من الإسكندرية جـ ١ ص ٤٣

(٥٣) دكتور عبد اللطيف أحمد علي ـ مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ص ٣١، ٣٢

(٥٤) المرجع السابق ص ٣٦ ـ ٤٠

(٥٥) ونفرد هولمز ـ ترجمة سعد أحمد حسين ـ وكانت ملكة على مصر ص ١٨١

(٥٦) المرجع السابق ص ١٨٠

(٥٧) د. حسين يوسف، د. حسن الابياري ـ تاريخ وآثار مصر في عصر الرومان ص٤٨

(٥٨) المرجع السابق ص ٥٤

(٥٩) د. أبو اليسر فرج ـ الدولة والفرد في مصر ـ ظاهرة هروب الفلاحين في عصر الرومان ص ١٥٠، ١٥١

(٦٠) نفتالي لويس ـ ترجمة دكتورة أمال الروبي ـ الحياة في مصر في العصر الروماني ٣٠ ق.م ـ ٢٨٤م ص ١٧٨

(٦١) منيرة محمد الهمشري ـ النظام الإداري والاقتصادي في عصر دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م) ص ٥٨

(٦٢) المرجع السابق ص ٥٩

(٦٣) راجع لويزا بوتشر - تاريخ الأمة القبطية - طبعة ١٨٩٧م

(٦٤) راجع معالي حسين محمد - رسالة ماجستير عن الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م).

(٦٥) راجع كامل صالح نخلة - حياة البابا بطرس الأول خاتم الشهداء ص ١٩

(٦٦) ترجمة القس مرقس داود - تاريخ الكنيسة ص ٣٧٨

(٦٧) منيرة محمد الهمشري - النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس ٢٨٤ - ٣٠٥م ص ١٤٧، ١٤٨

(٦٨) دليل متحف الإسكندرية - تأليف برشا ص ١٠٠، ١٠١ - كامل صالح نخلة - حياة البابا بطرس الأول خاتم الشهداء ص ٢٠

(٦٩) د. حسن يوسف، د. حسن الإبياري - تاريخ وآثار مصر في عصر الرومان ص ٥٨

(٧٠) معالي حسين محمد علي - رسالة ماجستير - الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) ص ٧٦، ٧٧

(٧١) القمص مكسيموس وصفي - القديس موريس والكتيبة الطيبة ص ١١، ١٢

(٧٢) راجع منيرة محمد الهمشري - النظام الإداري والاقتصادي في عهد دقلديانوس ٢٨٤ - ٣٠٥م ص ٦٤

(٧٣) راجع معالي حسين محمد علي - رسالة ماجستير - الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤ - ٣٠٥م

(٧٤) يوحنا النقيوسي ص ٤١٨، ٤١٩ - كامل صالح نخلة - حياة البابا بطرس الأول خاتم الشهداء ص ١٩، ٢٠

(٧٥) ملاك لوقا - البابا بطرس خاتم الشهداء ص ٧٠

(٧٦) المرجع السابق ص ٧٠

(٧٧) المرجع السابق ص ٧١

(٧٨) المرجع السابق ص ٣٠، ٣١

(٧٩) المرجع السابق ص ٣١

(٨٠) من الرسالة إلى ديوجنيس - الأنبا يوأنس أسقف الغربية - الاستشهاد في المسيحية ص ١٩

(٨١) ترجمة القس مرقس داود - تاريخ الكنيسة ص ٤٢٧، ٤٢٨

(٨٢) راجع زكي شنوده - الشهداء ص ١٠٦ - ١١٠

(٨٣) المرجع السابق ص ٧٢، وراجع يوسابيوس القيصري - ترجمة القس مرقس داود - تاريخ الكنيسة ص ٣٦٩، ٣٧٠

(٨٤) ترجمة القس مرقس داود - تاريخ الكنيسة ص ٣٦٩

(٨٥) د. ميخائيل مكس إسكندر - تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر ص ١٨٢، ١٨٣

(٨٦) زكي شنوده - الشهداء ص ٧٢، ٧٣

(٨٧) د. مصطفى العبادي - من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٨٢

(٨٨) ترجمة القس مرقس داود - تاريخ الكنيسة ص ٣٦٨

(٨٩) المرجع السابق ص ٣٧٥، ٣٧٦

(٩٠) القمص تادرس يعقوب - القديس بطرس خاتم الشهداء ص ١٢ - ١٤

(٩١) المرجع السابق ص ١٥

(٩٢) د. مصطفى العبادي - من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٨٢

(٩٣) أ. لويزا بوتشر - تاريخ الأمة القبطية طبعة ١٨٩٧م ص ١٨٨ - ١٩٠

(٩٤) قول للقديس أغسطينوس أورده القمص إيسوذورس البرموسي - البابا بطرس خاتم الشهداء ص ٣٠، ٣١

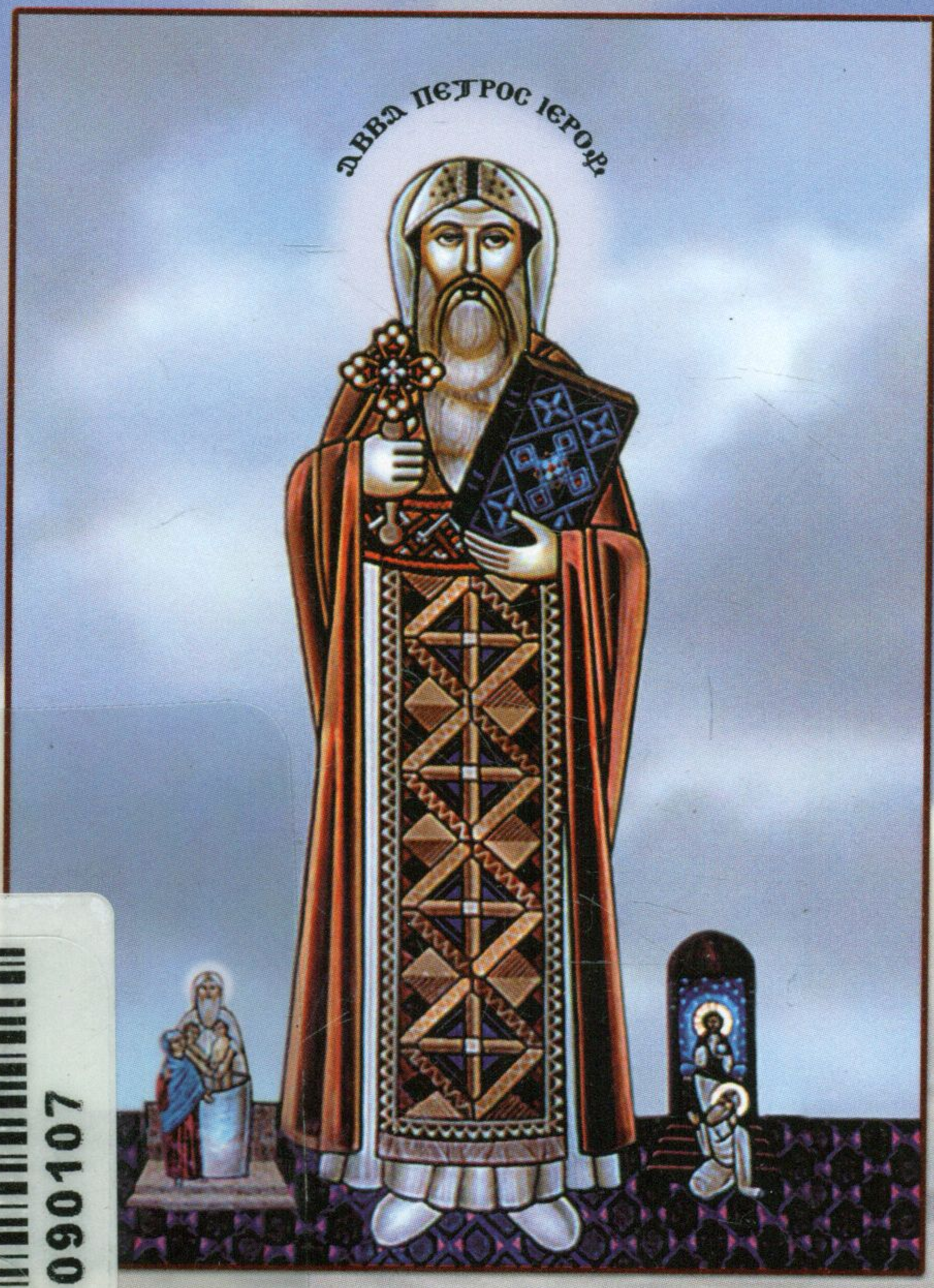
(٩٥) راجع القمص تادرس يعقوب - البابا بطرس الأول خاتم الشهداء ص ٢٨ - ٣٤

(٩٦) المرجع السابق ص ٣٧، وكامل صالح نخلة - حياة البابا بطرس الأول خاتم الشهداء ص ٤٨، والمستشار زكي شنوده - الشهداء ص ٢٣٥

(٩٧) القمص تادرس يعقوب - البابا بطرس الأول خاتم الشهداء ص ٣٨

الفهـــرس

....



روايات إيمانية

- غـــــروب
- في النـم نـــام
- هزيمة ملك الأهوال
- أيام في نجـران
- كنز قمـ
- جبال طرس
- هناك كنت معـه
- البحـار المغـامر

الثمن: ستة جنيهات